

مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية  
«الجزء الرابع»

مذكرات، ودراسات، وأحاديث، ورسائل

– القسم الثاني –

بسم الله الرحمن الرحيم      وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

## مقدمة

بعد أن أصدرت القسم الأول من الجزء الرابع من مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، أوجت لي المذكرات التي كنت وجهتها للملكين المرحومين: محمد الخامس، والحسن الثاني، والتي وجدت أنها سجلت بعض أحداث وقعت، وبعض ذكريات خلدت بعض ما كنت أفكر فيه في تلك الظروف، والتي يمكن أن تستفيد منها بعض الإطّلاع عليها، الأجيال الجديدة من الشباب، الذين سيتابعون مسيرة العمل الوطني في مختلف المجالات، بنشر مذكرات أخرى كتبتها في ظروف خاصة مرت بها القضية المغربية والقضايا الإسلامية بصورة عامة، وهكذا تذكرت أنه يوجد ضمن أوراقى المشتتة، بعض المذكرات التي كنت وجهتها لإخواني في حزب الاستقلال في مناسبات متعددة، تتعلق بالتوجيه والتنبيه لبعض القضايا الأساسية لحياة الحزب، والتي تعتبر من رسالته الأساسية في التوجيه الوطني، والتي أعتبر أنه لا يمكن التخلي عنها، أو إغفالها مهما كانت الظروف والتقلبات. وفي هذا النطاق وجدت رسالة واحدة من الرسائل التي كنت أوجهها للأخ المرحوم عبد الرحيم بوعبيد في مناسبات وطنية، تذكيراً بالمبادئ التي عاهدنا الله عليها ونحن في معمعة الكفاح، والتي يجب أن تبقى دائماً نصب أعيننا، مهما اختلفت وجهة نظرنا السياسية.

وفي هذا المجال، عثرت على مقدمة كنت كتبتها للكتاب المفيد الذي جُمعت فيه الافتتاحيات التي حررها المرحوم عبد الرحيم بوعبيد في جريدة (الاستقلال) باللغة الفرنسية، وترجمت بمناسبة الاحتفال بذكرى وفاته رحمه الله، والتي أعطت صورة واضحة عن تفكير عبد الرحيم السياسي المتوفى، والحازم، والناظر إلى المستقبل. بمرآة فيها كثير من التبصر، وكثير من الحكمة في مخاطبة الخصم بلغته.

وفي مجال المذكرات أيضاً، وجدت من بين أوراقى مذكرات قصيرة ومتوسطة، في مواضيع مختلفة، كنت وجهتها لبعض الجمعيات أو الشخصيات أو المؤتمرات، رأيت أن نشرها مفيد للذين يودون أن يعرفوا اتجاهاتنا السياسية الإسلامية، وضرورة المحافظة على التضامن الإسلامي في القضايا الإسلامية، وفي طليعتها القضية الفلسطينية.

وهكذا كان القسم الأول من الجزء الرابع خاصاً بما أشرت إليه.

أما القسم الثاني من هذا الجزء الرابع، فيتعلق بدراسات متنوعة كنت حررتها في مناسبات مختلفة، ورأيت فائدة في إثباتها في مذكراتي، وأشير إلى عناوينها، لعلها تجعل القارئ الكريم يرغب في التعرف عليها، لإدراك بعض ما كنت أفكر فيه، وأعمل له جهد الإمكان، وعنوان هذه الدراسات كما يلي: (1) المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، (2) حق الشعوب في تقرير مصيرها، (3) الإسلام وضرورة تجنيد العالم للسلام، (4) مسؤولية المسلمين في تحرير القدس الشريف، (5) أعمدة الهوية المغربية، (6) تجديد الفكر الديني الإسلامي.

ويأتي في القسم الثالث من هذا الجزء الرابع تحت عنوان: قضايا عامة، ويعالج فيه: موضوع العمل على وضع ميثاق وحدوي إسلامي وميثاق شرف للصحافة الإسلامية، والصهاينة يهدمون حيّ المغاربة في القدس الشريف، وخطاب في مؤتمر الحزب الفلاحي البلغاري، بالإضافة إلى حديث صحفي نشر معي في الموقع الإلكتروني (إسلام أون لين).

أما القسم الرابع في هذا الجزء فتحت عنوان ذكريات في مناسبات، ومن أهم هذه الذكريات، خطابان كنت ألقيتهما في السنوات الأخيرة، بمناسبة ذكرى المطالبة بالاستقلال (حادي عشر يناير 1944).

وفي القسم الأخير المتعلق بموضوع: (شخصيات في التاريخ) كان الموضوع: (حوارات وأحاديث صحفية) وهما حديثان صحفيان، كان الأول أجرته معي جريدة (الشرق الأوسط) والثاني أجرته معي جريدة (الأيام).

وبعد، فلربما يعتبر البعض، أن ما نشر في هذا القسم الثاني من الجزء الرابع، ليس من المذكرات، لأنه لم يسجل أحداثاً وقعت شاركت فيها من قريب أو بعيد، حسب ما كتبه في الجزءين الأول والثاني، ولكنني رغم أنني كنت عازماً على تتبع الأحداث التي وقعت في المغرب بعد سنتي 1944 و1945، والتي لم تتح ظروف في الصحبة أن أتابعها، ارتأيت أن أنشر الذي ينشر اليوم، لأني أعتبره من جملة نشاطي في المجال الوطني والثقافي، والذي لا بد أن أنشره لعل ما فيه يفيد الأجيال الجديدة. على أنني مصمم - إن مد الله في الأجل - أن أتابع الحديث عن الأحداث التي قامت به الحركة الوطنية: (حزب الاستقلال) بعد سنة 1945 إلى تحقيق الاستقلال سنة 1956.

ولكنني مع ذلك، يمكن لي أن أعدّ هذه المذكرات السياسية والإسلامية والدراسات الفكرية والعروض التاريخية التي أنشرها في هذا القسم من هذا الجزء، تمييزاً لمذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، باعتبار أنه لا يشترط في المذكرات الشخصية أن يلتزم فيها صاحبها التقيد بالترتيب الزمني في كل الأحوال، وحسبي أني أروي هنا ما كتبه بخط يميني، في فترات من حياتي، من مذكرات ودراسات ورسائل وكلمات، سجلتُ فيها آرائي ومواقفي، وعبرت عن رؤيتي إلى الإصلاح في وطني الصغير المغرب، ووطني الكبير العالم العربي الإسلامي، فهذا الذي أنشره في هذا القسم هو جزء من حياتي العملية والنضالية والفكرية، أمل أن يجد فيه القارئ ما يفيد الفائدة التي تنير الفكر وتحفز إلى العمل.

والله سبحانه يهديني سواء السبيل، وهو نعم المولى ونعم النصير.

أبو بكر القادري

27 شعبان الأبرك 1425هـ

12 أكتوبر 2004 م

## مذكرات في مواضيع مختلفة :

- مذكرة إلى الأمين العام لحزب الاستقلال.
- مذكرة إلى الأمين العام لحزب الاستقلال.
- مذكرة إلى الأمين العام لحزب الاستقلال حول التعليم.
- مذكرة إلى المرحوم عبد الرحيم بوعبيد.
- مذكرة إلى الأمين العام للمجلس الأعلى للمساجد.
- مذكرة إلى الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين.
- مذكرة إلى مجلس التنسيق الإسلامي الإفريقي.
- مذكرة إلى رئيس مجلس النواب العراقي.
- مذكرة إلى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.
- خطاب مفتوح إلى المؤتمر الإسلامي لوزراء خارجية.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والعصر إن الإنسان لفي خُسْرٍ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ صدق الله العظيم.

أخي الأمين العام لحزب الاستقلال .  
إخواني أعضاء اللجنة التنفيذية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

منذ مدة وأنا أفكر في الكتابة إليكم، في شأن سير حزبنا ومواقفه ورسالته، خصوصاً في هذه الظروف العصيبة التي تجتازها بلادنا، والتي أصبح مجتمعنا يشاهد تغيرات وتطورات، لا تسير في النهج الذي كنا نطمح إليه، والذي جاهد من أجله إخوان لنا مجاهدون، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدّلوا تبديلاً.

لقد أصبحنا نشاهد تغيرات وتطورات في الأفكار، والأخلاق، والمقاييس، والمعايير، والمفاهيم، والأعمال، ولقد انحدرت المفاهيم والمقاييس، لدرجة أننا أصبحنا نعيش في شبه غربة، فبعد أن كانت الوطنية الصادقة التي استمدت جذورها من الحقائق الإيمانية، والمبادئ الإسلامية، والتي تهدف أولاً وأخيراً إلى خدمة الأمة، والنهوض بها، خدمة مجردة عن كل غرض أو نفع مادي دنيوي، أصبحت مجرد تعبير عن انتماء ظاهري سطحي، لا حقيقة كامنة فيه، لقد كان الوطني الصادق، هو الذي يتعد كل البعد عن أي غرض شخصي، ويربأ بنفسه أن تصبح الوطنية أحبولة يتصيد بها أطماعاً شخصية، ويحقق عن طريقها أغراضاً نفعية، لقد كان الذي يعتنق الفكر الوطني، وينتظم في سلك الوطنيين الصادقين، هو الذي يعرض مصالحه للضياع، ومكاسبه الدنيوية للتفتيت، ويعتبر نفسه جندياً من جنود هذا الوطن، مهمته

أن يدافع عنه ويحميه، ويقيه شرور المفسدين والعابثين من الاستعماريين والمارقين من المواطنين. كانت التضحية هي الأساس الذي التقى عليه أعضاء حزبنا، التضحية بالوقت، والمال، والجسد، وكل ما نملك، من أجل غرض واحد لا ثاني له، هو اعزاز هذا الوطن، والنهوض به، وتحريره من جميع أنواع العبودية، وبناء نهضته على الأسس المثلى المستمدة من تعاليم ديننا الحنيف، وتشريعاته الصالحة لكل زمان ومكان، وتحرير المواطنين من الخوف والجوع والجهل والأخلاق الشريرة، وكل ما يفقدهم شخصيتهم وذاتيتهم الحقيقية، المتمثلة في استمسакهم بدينهم وعقيدتهم وأخلاقهم ومغربيتهم ومقدساتهم.

لقد كان الأساس الذي انتظم عليه الحزب، هو توعية المواطنين بواجباتهم نحو دينهم، ووطنهم، وملكهم، وتربيتهم على الفضيلة والصدق، والتعلق بالمثل العليا المستمدة من تعاليم ديننا الحنيف، الذي دعانا أن نعمل لدينا كأننا نعيش أبداً، وأن نعمل لدينا كأننا نموت غداً، والذي حضنا على أن نهتم بأمور إخواننا مثل ما نهتم بأمورنا (فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

وهكذا انطلق حزبنا يؤدي واجبه بصدق يقين، وتفان في العمل، قلّ أن يوجد له نظير، وهكذا كتب الله له التوفيق والنجاح، فما خطا خطوة إلا وكتب لها فيها التوفيق، وما قام بعمل إلا وكانت عاقبته محمودة، لقد كان الحزب يكافح ويناضل في واجبات متعددة، لم يكن الاستعمار إلا أحدها.

وأهم ما قام به حزبنا في ميدان النضال والجهاد، هو تغيير واقع سيء كان في المغرب، وتغيير عقلية جامدة كانت متمكنة، واستبدال يأس كان مسيطراً على النفوس، وتنظيم صفوف المواطنين على أساس من الثقة بالنفس، والعمل للمستقبل، وتوجيه الشباب، وتكوينه على أساس الالتزام بالمثل العليا، وخدمة الوطن، والابتعاد عن مغريات الحياة.

ولقد كان الدرس الذي أعطاه المجاهدون الأولون من إخواننا على اختلاف طبقاتهم، وتنوع مهامهم، هو إعطاء المثل من أنفسهم، في العمل والتضحية والوفاء، والتحلي بجميل الأخلاق.



لقد كان الوطني الصادق يشار إليه بالبنان، وكانت الوطنية من خلاله، تفرض وجودها كنموذج جديد، يجب أن يسير على نهجه كل مواطن يود أن يعيش كريماً معززاً.

لم تكن الوطنية تباع وتشتري، ولم تكن دعوى يدعيها المتملقون المنافقون، الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وإنما كانت التزاماً يتبعه عمل، وعملاً يدفعه إخلاص، وإخلاصاً لا يتطلب جزاء ولا شكوراً.

كانت وطنيتنا تنبع من إيماننا بالله الذي دعانا إلى الأعمال الصالحة، وإلى الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وبهذا الإيمان كانت وطنيتنا، تختلف عن باقي الوطنيات، فهي ليست وطنية ملحدة أو علمانية، وليست وطنية نفعية مادية. كان الوطني ينتظر الجزاء من الله، ويتقرب إلى الله بكل عمل يقدمه بين يديه، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

وهكذا أخي إخواني استجاب الشعب لوطنيتنا التي رأى فيها ما يغذي طموحه وآماله الدفينة، وهكذا التفّ علينا وسار معنا حيث ما سرنا به، وهكذا كتب الحزب صفحات بيضاء في تاريخه، وخاض معارك ضارية بمواقفه ضد الاستعمار البغيض، تجاوب فيها كل التجاوب مع ملك البلاد، الذي باذله حباً بحب، ونصحاً بنصح، وتضامناً بتضامن، فكانت العاقبة محمودة، وكان النصر للمتقين، ولم يكن العدوان إلا على الظالمين.

وجاء الاستقلال، وظفر شعبنا بحريته، نتيجة كفاح دام سنوات عديدات، ونتيجة تضحيات من الملك والشعب، ونتيجة تلاحم في الصفوف، وتوحيد في الأفكار، ونتيجة إخلاص مُتناه، وثقة في الرب العظيم الذي لا يخيب من قصده، والذي كتب النصر لرسله وأتباعهم الصادقين ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾، إن الله لقوي عزيز ﴿ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز﴾ جاء الاستقلال ليتمكننا في أرضنا، ﴿ونريد أن نؤمن على الذين استضعفوا في الأرض الآية﴾، وليحررنا من كل القيود والأغلال التي كانت تعوقنا عن إصلاح بلادنا، وليفصح لنا المجال لتطبيق

برامجنا في مجالات الإصلاح التي تتطلبها بلادنا، وليعيش مواطنونا أحراراً كما كانوا يمتنون أنفسهم، وليظفروا بنيل الحقوق التي كانوا محرومين منها، وليعيشوا شرفاء كرماء، لا يجنى عليهم أحد، ولا يظلمهم ظالم، ولا يتسلط عليهم أي حاكم جبار، ولينعموا بما ينعم به كل المواطنين الأحرار.

ومضت السنوات الأولى بعد الاستقلال في التطهير والترتيب والإعداد للبناء، وكنا نظن أن معركة البناء، سنخوضها بنفس الروح التي خضنا بها معركة الاستقلال، فلا نقع فيما وقع فيه غيرنا من الشعوب، من الاختلاف، والتطاحن، وتفريق الكلمة، ولكن الرياح جرت بما لا تشتهيهِ الأنفس، وسرنا فيما سار فيه غيرنا، فبدأ الانفصال، وتبعه انفصالات، واختلط الحابل بالنابل، وطغى الطالح على الصالح، وبقي القابض على دينه ووطنيته كالقابض على الجمر.

إنني لا أريد أن أحاكم أحداً بهذه الرسالة الموجهة إلى إخواني، وإنما أريد أن أدق ناقوس الخطر بعد ما مضى على استقلال بلادنا ما يقرب من ثلاثين سنة، أريد فقط، أن ألتمس من إخواني أن نقوم جميعاً بنقد ذاتي، ومراجعة حقيقية لأعمالنا، ومواقفنا، وما تتطلبه رسالتنا.

لقد كانت لحزبنا رسالة، أداها جهد استطاعته وهو يكافح الاستعمار الأجنبي، أداها بصدق وتفان وإخلاص، ومهما حاول المغرضون أن يقللوا من العطاءات التي أعطاها حزبنا، والجهود التي بذلها في سبيل عزة المغرب وتحريره، وفي سبيل عزة المواطنين وكرامتهم، فإنهم لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً، إذ التاريخ لا يمحي بجزات أقلام، ولا بأكاذيب البائعين لتلك الأقلام.

ولكن السؤال المطروح علينا الآن وبكل إلحاح، هو: هل لازال حزبنا يؤدي رسالته كما كان يؤديها من قبل، بنفس الروح، ونفس العزيمة، ونفس الإخلاص؟ وهل تأثيره في الأحداث، وفعاليته في المواقف، لازالت كما كانت من قبل؟ وأخيراً هل لازال شعبنا متمسكاً بنا، وبمبادئنا وبرامجنا ومخططاتنا وبأخلاقنا؟

حقاً إن الأوضاع تختلف، فليس الوضع أيام الحماية، هو نفس الوضع بعد الاستقلال، وليست الأهداف التحريرية التي استقطبت جهودنا أيام كفاح المستعمر، هي نفس الأهداف التي كان علينا أن نكافح من أجلها بعد الاستقلال؟ ولربما كان الكفاح بعد الاستقلال أصعب وأشد منه قبل الاستقلال، لأن كفاح المستعمر واضح ظاهر للعيان، أما الكفاح بعد الاستقلال، فهو الجهاد الأكبر، جهاد النفس أولاً، وجهاد العدو الخفي ثانياً، وجهاد التخلف الموروث ثالثاً. وكل من هذه الأنواع في الجهاد، تتطلب إرادة قوية وتخطيطاً قوياً، والتزاماً صحيحاً، وممارسة مستميتة، ووضوحاً في الرؤية، وسياسة حكيمة، ومراجعة دقيقة لكل موقف يقفه الحزب، ووعياً لانعكاسات كل قرار يتخذه ويسير فيه. فلا مجال للارتجال في أي موقف أو قرار يتخذه حزب وطني إسلامي له رصيد من الكفاح يتجاوز الخمسين سنة، ولا مبرر لأية سياسة يسير على هديها الحزب، ولا تكون مدروسة من جميع جوانبها، معروفة قدر الإمكان نتائجها، إنني لا أقول أن النتائج تكون دائماً إيجابية، ولا أقول أن الخطوات التي خطاها الحزب بعد الاستقلال، كانت كلها مرتجلة، فكثير من الاجتهادات التي اجتهدنا حزبا أعطت ثمرتها، وكثير من التجارب السياسية كانت نتائجها سلبية، وسواء هذه أو تلك، فإن للمجتهد إن أصاب أجرين، وإن أخطأ أجراً واحداً. وليس من العيب أن يخطئ الإنسان في اجتهاده، ولكنه من العيب الكبير أن يتمادى في خطئه، إذا ما تبين له أنه أخطأ. وهنا يكون من الضروري التأكيد، والواجب المحتتم على كل حزب ذي رسالة في الحياة، أن يراجع أعماله ومواقفه وخططه وتنظيماته وسياسته وبرامجه في كل مناسبة ممكنة، حتى تكون الخطوات التي سيخطوها في مستقبله، سائرة في النهج الذي ارتضاه لنفسه، والذي عاهد الله على أن يبقى وفيّاً له إلى أن يلقاه.

إن هذه المراجعة ضرورية، يفرض عليّ واجبي نحو ديني وبلادي وملكي وإخواني أن أطالب بها، فمستقبل حزبنا متوقف عليها، والالتزام بأداء رسالته يتطلبها.

إن حزبنا حزب وطني إسلامي، وأكرر على لفظتي : وطني وإسلامي، والسياسة في نظرنا ضرورية لا بد منها، ولكنها يجب أن تكون خاضعة الخضوع المطلق للوطنية والإسلام، فالسياسة في خدمة الأهداف الوطنية، والعكس ليس بصحيح. ومن هنا فلا مجال لأن يسير حزبنا مع أية سياسة مهما كانت، إلا إذا كانت تحقق عن اقتناع منا ما نريده لوطننا من خير، ومن هنا أيضاً فإنه لا بد أن نتدارس بعمق ومسؤولية مواقفنا من قضايانا الداخلية، وقضايا أمتنا العربية والإسلامية، حتى نسير على بينة من أمرنا.

لقد آمن حزبنا بفكرة الديمقراطية، كنظام تسيير عليه الأمور في بلادنا، ولكننا أردناها ديمقراطية حقيقية، يربى على أساسها شعبنا، ويدرب على أن يساهم المساهمة الفعالة في تسيير شؤونه بنفسه، ويتحمل مسؤوليته في نهضة بلاده وتطويرها لما هو أفضل، ومبدأنا الديمقراطي منبثق من مبدأ الشورى الذي دعا إليه الإسلام، فهل نحن مرتاحون للطريقة التي يطبق بها هذا المبدأ؟ وهل نحن مطمئنون للنتائج التي تنتج عن هذا التطبيق؟

الحقيقة أيها الإخوة، أنني شخصياً غير مرتاح وغير مطمئن، وأخوف ما أخافه أن يكون السلوك الذي تسلكه الديمقراطية في بلادنا، يأتي بعكس ما أراده المخططون لها، المقتنعون بصلاحياتها الذين كافحوا في سبيلها.

إن الديمقراطية الحق هي التي تأتي عن إقتناع، وإن الإقتناع الحق لا يكون إلا عن تبصّر، وإن التبصر لا يحصل إلا عن توعية حقيقية بالقيام بالواجب نحو الوطن والمواطنين، فهل الطريقة التي تطبق بها الديمقراطية ببلادنا، خاضعة لهذه الشروط؟ وهل بعض الأحزاب التي تساهم في الانتخابات، مومنة بأنها تقوم بواجب وطني يحقق رغبات وآمال المواطنين؟ وهل الساهرون على تطبيق الانتخابات، مؤهلون خلقياً حتى تعطى النتائج السليمة المرجوة منها؟ ومن جهة أخرى، ألا نلاحظ أن التسابق إلى البرلمان، وإلى بعض المجالس المنتخبة أصبح يهدف لأغراض هي بعيدة كل البعد عن تحقيق الأهداف الوطنية؟ وأن الكثيرين الذين يحتلون المناصب البرلمانية، لا يهتمون إلا بحصولهم على صفة العضوية، ليستعملوها في قضاء مصالحهم الشخصية؟

لست أدعي أنه لا يوجد ضمن المنتخبين نزهاء وطنيين صادقين، لكن التجارب أفادتنا أن أصواتهم تبقى مغمورة، ومطالبهم تبقى مطموسة، إلا في أقل القليل، والدليل على ذلك أن السياسة المطبقة في كثير من الميادين الاقتصادية، والاجتماعية، لا تستجيب للطلبات الشعبية، ولا تحقق المطامح التي يطمح إليها الشعب.

لقد تقدم فريقنا الاستقلالي وغيره من بعض الوطنيين الآخرين، بملتمسات ومشاريع قوانين تمس جوهر الاختيارات التي اختارها المسؤولون، وتعتبر مطالب شعبية، تتلاءم مع ما يؤمن به شعبنا وما يريد، ومع ذلك أغفلت وأهملت، رغم ضرورة تحقيقها وصلاحتها، بل ووجوبها، ولا أحتاج لإعطاء الأمثلة، فمراجعة للتدخلات الهامة التي تدخلها إخواننا تعطي الدليل على ما نقول.

والواقع أن موضوع الانتخابات يتطلب منا دراسة واعية صريحة ومسؤولة، حتى لا نبقى نتيه في الانحراف، وبالأحرى حتى لا نبقى نزكي الانحراف.

إن نظام الملكية الدستورية، هو النظام الصالح لبلادنا، فنحن نؤمن به وندافع عنه، ونحميه ونثبث به بكل ما لدينا من قوة عزيمة، وصلابة في الإرادة، ومن إيماننا بهذا النظام وتشبثنا به ننطلق في المطالبة بأن تكون الانتخابات في بلادنا نزيهة وأمينة، حتى لا يفسح المجال للمنافقين والمغرضين، الذين لا تهمهم إلا مصالحهم الشخصية دون أي تقدير أو اعتبار للمصالح العليا للوطن.

لقد برهن حزبنا طوال تاريخه على تشبثه بالنظام الملكي الدستوري، وعلى ضرورة التجاوب الصادق المخلص بين العرش والشعب، ولقد أكد جلالة الملك المرحوم محمد الخامس وجلالة الحسن الثاني حفظه الله على أن أحسن نظام تسيير به البلاد هو النظام الديمقراطي الذي يزيد في ارتباط الملك بشعبه، وارتباط الشعب بملكه لخدمة هذا البلد العظيم، والدفع به إلى الأمام.

وإن أخشى ما أخشاه أن تكون هناك أياد خفية، تعمل على تحطيم ما آمن به الملك والشعب، وإبرازه بمظهر التزييف والتزوير، حتى تحصل على أغراضها في عرقلة تقدم المغرب وتلاحمه، وحتى تفسح الطريق أمام المفسدين والمعرضين الذين يضمرون السوء لهذا البلد الأمين.

أبها الإخوة :

إن المغرب في مفترق الطرق، وإن مسؤوليتنا تفرض علينا أن ندرك الحقائق كما هي دون تغطية أو إهمال. لقد تدهورت الأخلاق في بلادنا تدهوراً خطيراً، ويتجلى هذا التدهور في كثير من مجالات الحياة، فالرشوة انتشرت بشكل مخيف، والمحسوبة أصبحت متحكمة في كثير من المرافق، والانحلال الخلقي عم جميع الطبقات، والمقاييس الوطنية أصبحت غريبة في التعامل بين الناس، وحتى التقاليد الاجتماعية التي كانت متحكمة في صيانة الأخلاق، صارت تنحل وتضعف وتتراخي، وهكذا أصبحنا نسمع أو نقرأ عن حوادث تقع في بلادنا ووسط أسرنا ما يندى له الجبين، وما يبذه كل دين. ومنشأ ذلك كله هو إهمالنا الإهمال الكلي للتربية الدينية والخلقية ﴿إلا من رحم ربك﴾ سواء في أسرنا، أو في مدارسنا، ولم يبق الكثير منا يهتمون بقضية الحلال والحرام، بل أصبح الحلال والحرام قضايا شخصية، لا يجب أن يتدخل فيها الأولياء أو غيرهم، ولا تلاقى من اهتمام المسؤولين أية عناية.

لقد غزتنا عوائد وتقاليد غريبة لا أخلاقية، أصبحنا مملوكين لها، وأصبح أبنائنا متمسكين بها ولقد أسندت بعض المسؤوليات في بلادنا لمن لا يقدرونها قدرها، ولا يحسنون التصرف فيها، فنشأ عن ذلك أضرار وانحلالات وأخطار اجتماعية، لسنا ندري طريق الخروج منها، لقد اهتم الكثير من المسؤولين بالمظاهر والسطحيات، وتركوا الحقائق والجوهريات، وهكذا أصبحنا نعيش مظاهر خداعة، إن خدعت الغرباء والطارئين، فهي لا تخدع الذين يعايشون بلادهم عن قرب، ويتعرفون إلى أدوائها بتبصر، ويشفقون كل الشفاق على مستقبلها. إنني لست من المتشائمين، ولا من المنكرين للحقائق، فبلادنا قطعت أشواطاً هامة في كثير من الإنجازات

العمرانية والاقتصادية والتعليمية في عهد الاستقلال، ونحن نحمد الله على ذلك، ولكن مأساتنا الكبرى تتجلى في الانحرافات الخلقية، وفي عدم تقدير الكثيرين لمسئولياتهم، وفي التبذير في بعض المنجزات والمشاريع والأعمال التي تتطلب الاقتصاد والتقتير.

لقد غدونا نلاحظ انبعاث تيارات متطرفة متشددة، تتجلى في تكوين أحزاب وتأسيس جمعيات، البعض منها تطرف إلى أقصى اليمين، والبعض الآخر تطرف إلى أقصى اليسار، وجميعها تهدف كما تقول إلى التغيير، تغيير بناء المجتمع المغربي، لأن المجتمع في نظرها سائر في طريق الانحراف والسقوط، نتيجة سوء التسيير لشؤون البلاد.

وأرى أن من جملة الأسباب التي جعلت هذه الجماعات أو الأحزاب تظهر على السطح، هو فقدان التوجيه السليم، وفقدان التربية الروحية، وعدم الاهتمام بالتكوين السياسي الصحيح، بالنسبة للشباب على الخصوص.

إن المغرب بلاد الشباب، والجيل الذي وجد بعد الاستقلال، هو الأغلبية الساحقة في أمتنا الفتية، والاعتناء الجدي بهذا الجيل هو الذي افتقد بعد الاستقلال مع الأسف الشديد. وهنا أتساءل بكل صدق وإخلاص وصراحة، ما هو مقدار اهتمام حزبنا بقضية الشباب؟ وماذا قدمناه لهم من معونة؟ وماذا كان عملنا لتوجيههم وتربيتهم وتكوينهم على المثل العليا الوطنية والدينية. ولماذا أصبحت الأكثرية من الشباب، لا تلتزم بعقيدتنا وخطنا ومبادئنا؟ إنني لا أريد أن أغالط نفسي، فعلى حسب معرفتي المتواضعة، ألاحظ أن الشباب الجامعي والمدرسي لا يقبل علينا، ولا ينخرط في سلكنا، ويتهمنا بالرجعية، والجمود، وعدم الدفاع عن قضايا ومطالب الشعب الدفاع الحق، بينما آخرون يتهموننا بأن ما ندعيه بأن منطلقاتنا منطلقات إسلامية، إن هو إلا كلام تلوكة ألسنتنا، ولا تصدقه تصرفاتنا وأعمالنا ومواقفنا وسلوكنا، وهكذا لا ترضى عنا، لافئة الشباب المتمركسة، ولا فئة الشباب المحافظة، والتي تدعي أنها متدينة.

والواقع أن اهتماماتنا بقضية الشباب، ليست في المستوى، وعملنا لتوجيههم التوجيه الصحيح، يكاد يكون معدوماً، ولو أعطينا لقضية الشباب ما تستحقه من عناية، ولو درسنا الوسائل التي من شأنها أن تغذي أفكارهم، وتشحذ أذهانهم بالمبادئ الصحيحة، ولو أعطيناهم من أوقاتنا وجهودنا ما يستحقونه، وما من شأنه أن يجعلهم يدركون حقائق اتجاهاتنا ومبادئنا وبرامجنا، لجعلناهم يقبلون علينا، ويلتفون حولنا، ويسيروا في نهجنا.

إن الاتصال بالشباب، والاحتكاك بهم، والتواضع معهم، والاهتمام بمشاكلهم، وتربيتهم على الفضيلة والتقوى، وتلقينهم المبادئ المثلى، وإعطاءهم الدروس الوطنية المتتابعة، وتزويدهم بالمعلومات عن تاريخ الحركة الوطنية، وما قام به الحزب في ميدان النضال والكفاح، وما يتبع ذلك ويؤيده من إعطاء المثال من أنفسنا في القيام بالواجب، والتضحية الضرورية للدفاع عن أفكارنا، ومبادئنا، وعقيدتنا، إن ذلك وحده هو الكفيل باسترجاع ما افتقدناه من التأثير على الشباب.

لو نظمنا الشباب الاستقلالي على الطريقة التي يسيّر بها الكشاف المغربي، مثلاً لاستفاد الحزب، واستفاد المغرب من شبابه، ولما بقي هذا الشباب يتيه في منحرجات لا تستفيد منها البلاد.

لو أعطينا الأهمية المطلوبة للشباب، بالشروط التي ذكّرتُ لقطعنا الطريق على الأفكار الأحادية، والطرق المتزمتة، والتطرف المرفوض، ولاستعاد الحزب نشاطه وقوته وحيويته مثل ما كان عليه الحال في عهد الكفاح، فهل نحن فاعلون؟

وما قلته عن الشباب، يمكن أن أقوله عن الجنس النسوي، فالمرأة المغربية أصبحت تلعب دورها في المجتمع، والفتيات أصبحن يشاركن في مجالات الحياة جميعها، سواء داخل الأحزاب السياسية، أو في المنظمات النقابية، وحتى في المجتمعات الدولية، ولكن تزويدهنّ بالمبادئ الصحيحة والأفكار النيرة، عن طريق حزبنا لازال قليلاً.



ورغمًا عن أن اللجنة التنفيذية تدارست كثيراً موضوع الاهتمام بقضايا المرأة، ورغمًا من تكليف بعض الأخوات بهذه المهمة، فالذي يترآى لي أننا لا نتقدم في الموضوع التقدم المطلوب، ولعل السبب راجع إلى أننا لازلنا لم نهتد للطريقة المثلى التي من شأنها أن تساعدنا على النجاح.

وعندما أتحدث عن قضية المرأة أود أن ألحّ بالخصوص على الاهتمام بالطالبات في الجامعات، وعلى التلميذات بالأقسام العليا في الثانويات. والاهتمام بهؤلاء الفتيات ليس من السهولة كما يتصور، إذ رعايتهن وتوجيههن يتطلب اختيار الأشخاص الصالحين المتخلقين، حتى لا نقع في محاذير نحن في غنى عنها.

لقد أصبحت الطالبة المغربية بدورها موزعة بين تيارات متباينة، ومذاهب متناقضة، ففيهن المتحررات كل التحرر من أي مقياس خلقي أو اجتماعي، وفيهن المتحجبات المتزيمات المبالغات في التضييق على نفوسهن، المتشددات فيما يعتقدن أن دينهن يامرهن به. وإني وإن كنت من أنصار الفتاة التي تتربى على الدين والفضيلة والأخلاق والحشمة، فإني أرى أنه لا يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، ولذلك فلا مجال للتضييق والتشديد، إلا بالمقدار الذي فرضه الإسلام.

إن دور حزبنا في توجيه الفتيات على اتباع الطريق الوسط الذي ينظر إلى تحرير المرأة من العادات والتقاليد الفاسدة نظرة إسلامية، يجب أن يظهر للوجود، وهو يقتضي منا التخلي عن الأساليب التي كنا نستعملها في الماضي، وإبدالها بأساليب جديدة تجب دراستها، والاستفادة مما يستعمله الغير للتأثير على الفتيات وجلبهن، بشرط أن تكون أساليب شريفة ملتزمة بكل الأخلاقيات التي يفرضها الدين.

وفي هذا المجال ومجال الشباب أقترح أن نستفيد من الطرق والأساليب التي تقوم بها بعض الأحزاب والمنظمات سواء في الشرق العربي كمصر أو غيره، حيث نرى هناك التيار الإسلامي جارفاً في الجامعات والكليات سواء لدى البنين أو لدى البنات.

إن حزبنا الذي قام بالدور الأول في معركة التحرير، لا يمكنه أن يقوم بدوره الكامل في معركة البناء إلا إذا اعتمد على الشباب من الجنسين : كل في موقعه، والاعتماد على الشباب، يقتضي مضاعفة الاهتمام به، لا مطلق الاهتمام بتكوين اللجان والفروع وما شاكل ذلك، ولكن الاهتمام بالتكوين والتربية والتوجيه.

يجب أن يظهر الشاب الاستقلالي بالمظهر اللائق به، من حيث الإيمان بالمبادئ، والدفاع عنها، ومن حيث الالتزام بالخط الاستقلالي والنضالي في سبيله، ومن حيث التعرف إلى فلسفة الحزب ومذهبيته، ومن حيث الاطلاع على برنامج الحزب وأهدافه، ومن حيث الالتزام بالخط الإسلامي في معركة الحياة.

يجب تزويد الشاب الاستقلالي بكل ما من شأنه أن يجعله يستطيع أن يقارع الخصم بالحجة والبرهان، وما يجعله فخوراً معتزاً بالمبادئ التي تلقاها، مدافعاً عنها، مكافحاً في سبيلها، وهذا يقتضي اختيار من يقوم بمهمة توجيه الشباب، والذين تشترط فيهم شروط الدين والمعرفة والالتزام والأخلاق والمواظبة.

إن التفريط في توجيه الشباب، تفريط في مستقبل البلاد، وتفريط في استمرارية وجود رسالة الحزب، وليس توجيه الشباب يكون بالاتصال بهم الآونة بعد الأخرى، وإلقاء بعض الكلمات والتوجيهات عليهم، ولكن توجيه الشباب يتطلب عملاً منظماً متواصلاً، وبرنامجاً محكماً مدروساً، واختياراً للموجهين في مختلف الأقاليم، يتلقون هم بدورهم دروساً متتابعة، ويراقب سلوكهم مراقبة صارمة، حتى يكونون مؤهلين لمهمة توجيه نيابة عن الحزب، وحتى يحصلوا على الثقة الضرورية من إخوانهم.

إن قيام الحزب بدوره الملقى على عاتقه، يتطلب مراجعة أساسية في هيكله التنظيمية سواء على المستوى المركزي أو على مستوى الفروع،

فمسؤولية القادة الأولين مسؤولية دقيقة، تتطلب منهم كثيراً من الالتزامات، وكثيراً من التضحيات، حتى يكونوا أمثلة صالحة لمن هم في المرتبات التي تأتي بعدهم.

ومن أهم ما يطالبون به أن يكونوا كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأن تكون أخوتهم وتعاونهم وتضامنهم مضرب الأمثال. فالعضو في اللجنة التنفيذية يجب أن يتخلى عن كل حساسية فيه مع إخوانه، ويجب أن يتسامى عن كل مواخظة إلا مواخظة الإخلال بالواجب.

إن المقياس الذي تقاس به كل منظمة، هو جدية المسؤولين عنها، وأخلاقيتهم ورجولتهم، واستماتتهم في الدفاع عن مبادئهم، ووحدة آرائهم، وحرصهم على أداء واجبهم الذي طوّقوا به من إخوانهم. وحزبنا لم يستطع الصمود والبقاء أزيد من خمسين سنة إلا بالالتزام المسيرين له بالالتزام الكامل للمبادئ والأخوة والتعاون، وهكذا كانت لهم في نظر إخوانهم قدسية، تمتعوا بها طوال أيام نضالهم، وهكذا بقي ذكرهم ملء الأسماع والأبصار والقلوب.

إن مراجعة الهياكل التنظيمية للحزب لا تقع بين عشية وضحاها، وإذا ما أشرت إليها الآن، فإنما ذلك من أجل أن يقع التفكير الجدي في تنظيمات الحزب مستقبلاً، أي لدى انعقاد مؤتمر الحزب المقبل بحول الله.

لقد جرب الحزب عدة طرق في التنظيم، وتكوين المؤسسات، فلا بد أن نفحص معطياتها الإيجابية والسلبية، حتى نستفيد الاستفادة المطلوبة، وحتى نختار مستقبلاً ما تكون جدواه مضمونة بحول الله.

وفي مجال التنظيم أرى أن لا تسند أية مهمة إلا لمن يستطيع القيام بها، ويلتزم بذلك أمام إخوانه، حتى لا نبني على غير أساس، وليس المطلوب الكثرة، ولكن المطلوب هو النجاعة، والفعالية، والصدق في الالتزام.

إخواني :

لعلي أطلت كثيراً فيما عرضته عليكم، ولعل فيه الغث والسمين،  
والمقبول والمرفوض، وأقسم لكم أنني ما قصدت بهذه المقترحات إلا خير  
حزبنا، وخير أمتنا، وصلاح مستقبلنا، وإن ما دفعني إلى كتابته هو محبتكم  
والحرص على أخوتكم ونجاحكم في مهمتكم، فإن أنا أصبت فهو توفيق من  
الله، وإن أنا أخطأت فإني ألتمس عذرکم وتجاوزکم، والله يهديني وإياكم  
لأقوم سبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم :

أبو بكر القادري

إفران في : 5 ذي القعدة 1404هـ

3 غشت 1984م

بسم الله الرحمن الرحيم  
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

أخي الأمين العام،

إخواني وأخواتي أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فلقد خرجنا من المؤتمر العام الثالث عشر لحزبنا، منتصرين مظفرين، ولله الحمد والمنة، وبدأنا مرحلة جديدة تمتد أمامها آفاق العمل الوطني، وتتعهد المهام الكبرى التي علينا أن نهض بها لنصل الحاضر بالماضي، ولنحقق الاستمرارية، ولنستشرف المستقبل، ببصيرة متفتحة، وبإرادة مصممة على كسب الرهانات التي تنتظرنا.

وإنني إذ أهنئكم جميعاً بما تحقّق من إنجاز وطني كبير، قوى تماسكنا، وعزّز حضورنا، وجدّد فينا الأمل، أستسمحكم في أن أتوجّه إليكم بهذا الخطاب، من منطلق الأخوة في العقيدة، ومن موقع المشاركة في النضال للدفاع عن الحرية والديمقراطية والعدالة، قياماً بواجبي باعتباري أخاً لكم، كان له نصيبه المقدّر في تأسيس الحزب مع طائفة من إخوانه، منهم من أفضى إلى ربّه تعالى وقضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدّلوا تبديلاً.

لقد تأسّس حزبنا في غمرة الكفاح الوطني الذي خضناه في تلك المرحلة الصعبة من تاريخنا، وقام على قواعد راسخة من الإيمان بالمبادئ والقيم والمثل السامية التي يؤمن بها شعبنا، فاصطبغ بالصبغة التي اختارها الله لهذا الشعب، ولا تبديل لصبغة الله، وهي الإسلام، والعروبة، والتعلّق بالنظام الملكي الدستوري، والتشبث بالقيم والأخلاق وبالفضائل والسجيا التي

طبعت الشخصية الوطنية المغربية المتمسكة بتراثها الحضاري وإرثها الثقافي . ولذلك كان حزبنا متميزاً بين الأحزاب التي نشأت في العالم العربي الإسلامي، فهو حزب ذو رسالة حضارية إسلامية مغربية أصيلة، وليس مجرد حزب سياسي يخدم أهدافاً سياسية بالوسائل السياسية التي يتعارف عليها الناس في كل زمان ومكان.

إن حزب الاستقلال، وهو الحزب السياسي الذي يعمل من أجل المصالح العليا للوطن بالوسائل والطرق السياسية من خلال برامجها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، يلتزم في العمق والجوهر، برسالة الإسلام، يؤمن بها، ويعمل من أجلها، ويدافع عنها. وهو بذلك حزب يستمد شرعيته من القيم الإسلامية، ومن المبادئ الوطنية المغربية، ومن انتمائه الحضاري الإسلامي. وإن التمسك بهذه القيم، هو الذي يُعطي لحزبنا قوته وصلابته وتماسكه، ويكسبه المناعة ضد كل عوامل الضعف والانحلال.

إن حزب الاستقلال لم يمارس السياسة قط إلا في إطار التشبّع بالمبادئ والقيم الإسلامية، ولم تكن السياسة في مفهوم حزبنا، إلا وسيلة لخدمة المبادئ، والقيم، والأخلاق، ومصالح الوطن والمواطنين. ولقد كان بناء الحزب ومؤسسه الأولون، مؤمنين ومتشعبين بهذه السجيا الخلقية الرفيعة التي تجمع بين الإيثار، ونكران الذات، وحب التضحية، والتفاني في العمل، ووضع المصلحة العامة فوق كل مصلحة شخصية. وبهذه الأخلاق الرفيعة الراقية، استطاع حزبنا أن يحافظ على كيانه، وأن يصمد أمام الأعاصير، وأن يواجه الأزمات، وأن ينتصر دائماً على المؤامرات، وأن يثبت أمام الشدائد والحن، ولو لم يكن مؤسسو الحزب ورواده على هذا القدر من التحلي بالأخلاق، ومن التشبث بالقيم، والحرص على المصالح العليا للوطن، لما كان له أن يصل إلى يومنا هذا قويّ الكيان، موحد الصف، مؤثراً وفاعلاً في الحياة المغربية، ولما بقي الشعب المغربيّ جميعه متمسكاً بمبادئه، واثقاً من نضالته ودفاعه عن مصالح الوطن، مقتنعاً بأنه هو الذي يعبر بصدق وإخلاص عن ضميره ورغباته وطموحاته.

إن هذه القيم والمبادئ التي نشأ عليها حزبنا، كانت أقوى حافز لنا على التمسك بوحدة الصف، والدعوة إليها، والتبشير بها، باعتبار أن الوحدة الوطنية، هي الطريق الوحيد المؤدي إلى ضمان سلامة الوطن وتحقيق أهداف الشعب. وبوحدة الصف استطاع حزبنا أن يتغلب على العديد من الصعاب، وأن يجتاز الاختبارات التي تعرض لها. فكان بذلك حزب القيم والأخلاق والوحدة المذهبية والفكرية، في ظل التشبث بمبدأ الحرية واحترام الاجتهاد في الرأي، يكافح من أجل بناء مغرب جديد، متطور تَوَاقٍ إلى التقدم والرقي، مع الحفاظ على مقوماته الحضارية وقيمه الإسلامية.

ولعل الظروف الدقيقة التي يمرّ بها وطننا، في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية، وفي أفق ما ينتظرنا من مهام وطنية، لعلّ ذلك كله، يتطلب منا أن نقف وقفة تأمل ومراجعة للنفس، للقيام بنقدٍ ذاتيٍّ صريح، وللوقوف على مكامن الضعف في صفوفنا، وللمعرفة الأخطاء التي اعترضت طريقنا، حتى نتدارك ما يجب تداركه، ونتجنّب العثرات، ونبت روحاً جديدة في شعبنا تقوّي كيانه، وتشدّد نسيجه، وتبصره بمعالم الطريق وبآفاق المستقبل.

إنني أدعو إلى القيام بنقد ذاتي حصيف، وصريح، وجرىء، حتى نهَيِّئ المناخ الملائم لتجديد ديناميكية الحزب، ولضخ دم جديد في شرايينه، ليواكب المستجدات التي طرأت في الساحة الوطنية، وليسائر التحولات التي يعرفها العالم اليوم.

إننا في أشدّ الحاجة إلى أن نصارح أنفسنا، على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي، وإلى أن نواجه أنفسنا بالحقائق التي قد تصدمنا.

إن الوضع الراهن الذي عاشه حزبنا في الأعوام الأخيرة، لم يكن قط نتيجة التزيف الذي طبع الحياة السياسية في المغرب فحسب، وإنما هو في بعض مظاهره، ناتج عن ضعفنا نحن، وعن عدم مراجعتنا الدائمة للخط السليم الذي يجب أن نسير فيه، وعن عدم اهتماماتنا بواجباتنا نحو شعبنا الذي التزمنا بالعمل لصالحه. فلقد تغلّبت على بعضنا روح الأنانية، وانتشر

في صفوفنا حبّ الذات، وغفلنا عن أن مهمتنا الرئيسية هي الدفاع عن المصالح العامة، والعمل على تحقيق ما يطمح إليه أبناء شعبنا، والاهتمام بتكوين قواعدا الشعبية، وتعهدها بالتربية الوطنية القويمة والتوجيه السليم، وإعطاء القدوة الحسنة والمثل الأسمى من عملنا وسلوكنا ونضالنا جميعاً، لتكون قيادة الحزب في مستوى الثقة التي وضعها المواطنون فيها.

لذلك فإنني أدعو إخواني في قيادة الحزب إلى مضاعفة الاهتمام بالجماعات والخلايا والمنظمات الموازية، من حيث التوجيه الوطني السليم، والتكوين النضالي الصحيح، لبعث روح جديدة في أوساط قواعد الحزب، على اختلاف فئاتها ومستوياتها، استمراراً على الخط الذي كان يسير فيه الرواد الأولون.

لقد كنا دائماً حزب الطليعة عن جدارة واستحقاق، نحمل الراية ونتقدم الصفوف، ونكافح من أجل المصالح العليا للوطن، وأن لنا اليوم، وحزبنا يبدأ مرحلة جديدة بقيادة شابة مؤمنة برسالة الحزب، وبمبادئه الخالدة، وحريصة على استمرار إشعاع هذه الرسالة، أن نسترجع مكانتنا الرائدة، وأن نستعيد ثقة الشعب بنا، وذلك كله مرهون بتقوية الإرادة، وبمعرفة مصادر الخطأ، ومكامن الضعف. إن الشعب المغربي شعبٌ حي، يقظ، واع كلّ الوعي بواجباته، وبحقوقه، وبما ينتظره من مسؤوليات. ولا يجوز أن يبقى فرد واحد منا بعيداً عن أداء واجبه نحو هذا الشعب.

إخواني وأخواتي أعضاء اللجنة التنفيذية،

إنني سعيد ومتفائل بانتقال قيادة الحزب إلى الطليعة الشبابية فيه، إلى هذا الجيل الجديد الذي شبّ وترعرع في حضن المبادئ والقيم المثلى، فأنتم القيادة الشابة المتحفزة، أمل الحزب في التجديد والتطوير والتغيير، في دائرة القيم والمبادئ التي قام عليها حزبنا. ولي اليقين، أن القيادة الجديدة للحزب قادرة - بمشيئة الله تعالى - على الاضطلاع بالمسؤولية، والنهوض بالأمانة، والدفع بمسيرة الحزب إلى الأمام.



إن أمامكم مسؤوليات ثقيلة، في شتى المجالات، وبالأخص في مجال تكوين الشباب المناضل، وإذكاء جذوة الحماس في نفوسه، وذلك من خلال برنامج دقيق يعني بصفة خاصة بتكوين شباب الحزب، وبتهيئته لممارسة المهام الوطنية التي تنتظره، وبتوجيهه الوجهة الوطنية القويمية، التي تتفق ومبادئنا وقيمنا، حتى لا يضيع منا هذا الشباب الحي المتوثب المتحفز المتطلع إلى الحركة والعمل، والذي ينتظر منكم - أنتم القيادة الشابة الجديدة - كل الاهتمام. على أن يشمل هذا البرنامج أيضاً، العناية بالعنصر النسوي بكل الدقة والتركيز، لأن المناضلات في الحزب، هن حجر الزاوية في بناء قواعدنا الشعبية.

وفي موازاة مع الاهتمام بالشباب والمرأة في قواعدنا الحزبية، يجب أن نركز تركيزاً شاملاً على الطبقة الشغيلة، من خلال الاهتمام بأوضاعها، والبحث عن الحلول لمشاكلها، والدفاع المستميت عن حقوقها ومكتسباتها، وبت الروح الوطنية النضالية في نفوسها، وتركيز مبادئ الحزب في صفوفها، فالعمال هم وقود العمل السياسي الوطني الهادف، وهم القاعدة العريضة لتحركاتنا على الساحة الوطنية.

وفي هذا السياق من التجديد والتغيير، يجب إعارة الاهتمام لصحافة الحزب، بحيث نقوم بتطوير شامل لها، شكلاً وموضوعاً، مادياً وأديباً، حتى ترقى إلى المستوى الذي نطمح إليه. ويجب أن يساهم قادة الحزب في هذا التطوير بمواظبتهم على الكتابة فيها، حتى تؤدي صحافتنا رسالتها على النحو الذي يؤثر في المجتمع، ويوصل رسالة الحزب إلى المواطنين، وحتى تكون هذه الصحافة مرآة صافية لحزب الاستقلال، ومحوراً يستقطب حوله النخبة الراقية من الكتاب والصحافيين والمفكرين والمبدعين في كل حقول الإبداع.

لقد أصبح مجتمعنا مع الأسف الشديد، يعيش حالة من الفوضى الفكرية، والتفسخ الأخلاقي، وهو يسير نحو الانحدار إن لم نتداركه بالعناية والتوجيه، ويجب علينا أن نعمل من أجل تصحيح أفكار الشعب، وإصلاح

أخلاقه وتقويم اعوجاج الاتجاهات السائدة فيه. وهذه المهمة الشاقة تتطلب منا جميعاً، قيادةً وأطراً ومسؤولين إقليميين، أن نعمل بهمة عالية وجدية قصوى، من أجل إنقاذ الوطن من الانهيار السائر إليه.

إن مسؤولياتنا في المرحلة الراهنة تتضاعف، فنحن أمام تحديات عاتية، على جميع المستويات، سياسياً واقتصادياً، اجتماعياً وثقافياً، مما يتطلب منا أن نخدم أنفسنا لخدمة الوطن والمواطنين، بروح الإيثار والتضحية، وبالصدق مع الله أولاً، ثم مع أنفسنا، ومع الشعب الذي عاهدنا الله على خدمة مصالحه العليا. إن مستقبل حزبنا مرهون بالنجاح في تنفيذ المهام الوطنية المستعجلة التي تفرض نفسها علينا. ونحن مطالبون، جميعاً، بالعمل الجدي المخلص الدؤوب من أجل أن نكون عند حسن ظن أبناء شعبنا بنا.

إن وطننا يتعرض لعواصف هوجاء تهدد باقتلاع كثير من الثوابت، مما يجعله في مهب الرياح، على كل المستويات، سياسياً واقتصادياً، ثقافياً وفكرياً، ولا يعصمنا من الوقوع تحت رحمة هذه المخاطر، إلا مراجعة النفس، ونقد الذات، وتصحيح المسيرة، وتقويم الأخطاء، والاعتصام بالمبادئ والقيم والثوابت التي انطلقنا منها، والتي صمدنا بها في الماضي في وجه أعتى الأزمات وأقسى الاختبارات.

إنني لا أدعو هنا إلى التفوق والانغلاق، فما كنا قطُّ من دعاة الإنكفاء على الذات والهروب إلى الخلف، فنحن حزب الطليعة، وكتيبة التقدم، نوؤمن بالمستقبل، ونفتح على آفاق العصر، ونتعامل مع المتغيرات بروح وثابة، وعقل متفتح، وعزم وحزم وإرادة وثقة بالنفس.

إننا بإزاء متغيرات هوجاء عاصفة، عاتية، يجب علينا أن نوطد العزم على مواجهتها والتصدي لها والتعامل معها، بالحكمة والعقل، وبالعلم والمعرفة المعمقة، وبوحدة الصف، وبالقدرة على مراجعة النفس، وإعادة النظر في أساليبنا ووسائلنا والأدوات التي نستخدمها في تحركاتنا وتصرفاتنا، وفي اتخاذ مواقفنا. وهذا يتطلب منا جميعاً، وأخص بالذكر وبالخطاب هنا،

القيادة الجديدة الشابة، الشجاعة في اتخاذ القرارات الحاسمة على مستوى تطوير آلياتنا، وتجديد الدماء في شرايين الحزب، والتركيز على اختيار الرجل المناسب، للمكان المناسب، على جميع مستويات المسؤولية في تنظيماتنا الحزبية. فبهذا نستطيع - بمعونة الله - على السير إلى الأمام دائماً، وعلى ترسيخ حضورنا في الساحة الوطنية، وعلى تجديد ثقة الشعب بنا.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصالح العام، والتقدم والرقى والازدهار لوطننا ومواطنينا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم :  
أبو بكر القادري  
عضو مجلس الرئاسة

سلا في : 7 ذو القعدة 1418هـ  
6 مارس 1998م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده  
وصلى الله وسلم على رسوله وآله وصحبه.

أخي الأمين العام، إخواني أعضاء اللجنة التنفيذية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إن قضية التعليم من أكبر قضايا النضال الوطني، سواء في الماضي، أم في الحاضر، وهي إلى ذلك، حجر الأساس في بناء مستقبل المغرب الذي نعمل جاهدين في سبيل أن يكون مستقبلاً مزدهراً تسود فيه مبادئ الحرية والكرامة وحقوق الإنسان، ويتدعم في ظلّه الاستقلال الوطني في جميع مجالات الحياة ومرافقها، سياسياً واقتصادياً، واجتماعياً، وقانونياً، وتعليمياً، وثقافياً، وإعلامياً.

ولقد جاءت إثارة موضوع التعليم، في هذا الوقت بالذات، وفي رسالة ملكية موجهة إلى مجلس النواب، لتؤكد على خطورة ما وصلت إليه أوضاع التعليم في بلادنا، وبكل الوضوح والصراحة والشفافية، ولتدق ناقوس الانتباه إلى ما يتهدد أجيالنا الحاضرة والقادمة من مخاطر، إذا لم يُنظر - كلياً لا جزئياً - وبصفة جذرية في مجمل قضايا التعليم المتداخلة المتشابكة الآخذة في التعقيد منذ زمن بعيد.

ولذلك، فإن حزبنا مدعوٌ إلى إيلاء هذا الموضوع ما يستحقه من اهتمام وطني بالغ، ينبغي أن يكون في هذه المرحلة الشغل الشاغل لحزبنا، والمحور الرئيسي في اهتماماتنا الوطنية.

وعلى هذا الأساس، فإن المطلوب منا - مبدئياً ووطنياً - هو دراسة أبعاد الرسالة الملكية دراسة واعية، حتى نصل إلى اتخاذ موقف وطني مبدئي، يقوم على أساس مبادئ الحزب واختياراته الوطنية الثابتة، ويجب أن يكون في هذه الدراسة إعادة صياغة لسياستنا الوطنية جملة وتفصيلاً.

وأود أن أبدأ رسالتي إليكم، أخي الأمين العام، إخواني أعضاء اللجنة التنفيذية، بمصارحتكم بشعور يملأ عليّ أقطار نفسي، ذلكم أن مستقبل المغرب، وبالتبعية مستقبل حزبنا أيضاً، سيكون في خطر داهم ما لم نعالج - جميعاً - قضية التعليم، تلك المعالجة الشاملة العميقة التي من شأنها أن تؤدي إلى انتظام مسيرة التعليم في الاتجاه الصحيح، وإلى قيام نهضة تعليمية، هي من أهدافنا الوطنية الغالية التي يُناضل حزبنا من أجل تحقيقها. ونحن جميعاً مسؤولون عن المستقبل، بدرجة أو بأخرى، مادام العمل الوطني يتطلب منا نحن في المقام الأول، أن نبذل أقصى الجهود - وبلا حدود - لإنقاذ ما يجب إنقاذه، ولنجنب بلادنا مصيراً يوشك أن يكون مصيراً مظلماً لا قدر الله.

لقد انهيار التعليم في المغرب انهياراً يكاد يكون شاملاً، سواء من حيث المردودية والنتائج، أو من حيث المحتوى والمضمون، ووصلت أوضاع التعليم إلى طريق مسدود، وليس من شأن الحالة الراهنة للتعليم، أن تؤدي إلى تقدّم المغرب وتطوره في دائرة هويته الوطنية وإنسيته؛ فهو تعليم مشلول، مبتور الأطراف، فاقد الروح، لا يحقق هدفاً ولا غاية، ولا يؤدي إلى نتيجة من هذه النتائج الإيجابية التي تؤدي إليها العملية التعليمية بصفة عامة في الظروف الطبيعية.

وإذا أردنا أن نصل إلى معرفة الأسباب الحقيقية لهذا الانهيار الذي يعرفه التعليم في بلادنا، فإن من أهم هذه الأسباب، السياسة الارتجالية العفوية التي سار عليها التعليم في كثير من التطورات السياسية التي وقعت في البلاد، باستثناء فترات محدودة، هي تلك التي كان يتولى فيها الحزب مسؤولية التعليم في الحكومة، فهذه السياسة التي قامت على غير الأسس الوطنية، والتي لم يكن الهدف منها بناء الأجيال على المبادئ الوطنية والعربية

والإسلامية، وعلى أساس سليم من التخطيط العلمي المدروس، هذه السياسة التي يمكن أن نصفها بكل صدق، بأنها كانت أبعد ما تكون عن الوطنية، هي المسؤولة عن تدهور أوضاع التعليم وانهيارها، وإلى ضعف مستوى التعليم شكلاً ومضموناً، برامج ومناهج وأهدافاً وغايات، مما أدى إلى الوضعية التعليمية الحالية.

ويتبدى هذا الانهيار بادئ الأمر في هشاشة التكوين وضعف المستوى، وقصور العملية التعليمية عن بلوغ الغايات التربوية السامية التي هي الهدف الرئيسي للتعليم في كل مكان، فقد أصبح أبناؤنا وبناتنا الذين يتخرجون من المؤسسات التعليمية في جميع مراحلها، سواء الابتدائية والإعدادية، أم الثانوية والجامعية، مطبوعون بطابع الضعف العام في التحصيل والتكوين والتأطير، فهم مواطنون غير أكفاء من الناحية العملية، وغير أسوياء - في الغالب الأعم - من الناحية الخلقية والتربوية، والمسؤولية ليست مسؤوليتهم، لأنهم أبرياء، ولأنهم ضحايا سياسة تعليمية تتخبط في خضم من المشاكل والأزمات بعضها يأخذ برقاب بعض، ولأنهم بعد هذا كله، يتعرضون لأبشع جريمة ترتكب في حق الأجيال الصاعدة، هي جريمة تعريض أبناء الوطن وبناته للتجارب التعليمية والتربوية، بحيث أصبحوا بمثابة حقول تجارب. وقد ترتب على هذا كله، أن صارت المدارس والثانويات والجامعات تخرج أفواجا من أنصاف المتعلمين، لا خبرة لهم، ولا دراية، ولا تخصص، ولا استعداد للإسهام في تنمية المجتمع. وهذا ناتج بطبيعة الحال عن عدم ربط التعليم بحاجيات التنمية ومتطلباتها.

لقد كانت الأهداف الوطنية في ميدان التعليم التي رسمها الحزب غداة استقلال البلاد، تشمل فيما تشمل تعريب التعليم، بالمعنى الوطني للتعريب الذي يعني صبغ التعليم بالصبغة العربية والإسلامية، ويجعل اللغة العربية لغة تلقين جميع العلوم والمواد الدراسية. وكان للحزب معارك وطنية خاضها من أجل إقرار هذا الهدف وتطبيق هذا البرنامج الوطني الخالص. وقد تحققت في هذا المجال بعض النتائج، خاصة في الفترة التي تولى الحزب فيها مسؤولية

التعليم في الحكومة. ولكن سرعان ما وقع التراجع عن هذا الخط الوطني، والعدول عن هذا الهدف، بحيث بقيت اللغة الفرنسية هي اللغة المفضلة سواء في الثانويات والكليات وحيث وقف التعريب في الثانويات ولم يخطط له ولم يطبق في الكليات العلمية. وكان من أثر هذه الردة أن ضُغِفَ المستوى العام للتلاميذ والطلبة ضعفاً بالغ الخطورة، نظراً لعدم العمل بالقاعدة العلمية، التي تقول إن تلقين العلوم باللغة الوطنية يساعد على فهم المادة والتجاوب معها واستيعابها، والتوفيق فيها أيضاً.

وهكذا، فإن من أسباب انهيار التعليم في جميع مستوياته، هذا التراجع المريع الذي حدث في سياسة التعريب. وهذا عنصر بالغ الأهمية، ولا أحد يتنبه له، لأن الرأي السائد، هو أن هيمنة اللغة الفرنسية على التعليم يُكسبه قوة، ويكفل له التطور والتقدم. وهذا ليس صحيحاً، من عدة وجوه، إضافة إلى أن الفرنسية لم تعد لغة علم في الوقت الراهن، بعد أن تراجعت وانكسرت وأصبحت تحتل المرتبة الثامنة في سلم فعاليات اللغات العالمية حسب تقديرات اليونيسكو.

ولقد كان لنا في الحزب، وعلى مستوى الجهود المبذولة في ميدان التعليم، منذ عهد الحماية، ومروراً بالمراحل الأولى من الاستقلال، وإلى عهد قريب، كان لنا دور متميز في إقرار سياسة التعريب في جميع الشعب الدراسية الأدبية والعلمية، وقد تخرج من مدارسنا ومعاهدنا وثانوياتنا تلامذة بزوا أقرناءهم في الجامعات، وأظهروا تفوقاً باهراً في الكليات العلمية، سواء في داخل المغرب أم في خارجه، وهم اليوم يتبوأون مناصب هامة في جميع قطاعات المجتمع، وهم قدوة لمن سواهم تكويناً وتأطيراً وثقافة، وإسهاماً في بناء الوطن وتنمية المجتمع. وليس صحيحاً أن الدارسين اللغة العربية في المواد العلمية، لم يستطيعوا أن يسايروا التعليم العالي في الكليات الأجنبية على اختلافها، والدليل أن كثيرين من هؤلاء الذين درسوا بالعربية يقومون بأداء واجباتهم على أحسن الوجوه، سواء في المجال الطبي، أو الاقتصادي أو غيرهما.

إن جميع دول العالم تتمسك بلغاتها الوطنية، بما فيها الدول التي لا تتوفر على لغة حيّة. ويرد في هذا السياق، وعلى سبيل المثال لا الحصر، إسرائيل، واليابان، اللتان تجعلان من لغتيهما العربية واليابانية لغة تدريس وتلقين في جميع المستويات الدراسية، وذلك وعياً منهما بالقاعدة العلمية المشار إليها، والتي تجاهلناها نحن، وأعرضنا عنها، إمعاناً في التبعية الثقافية والفكرية واللغوية والتعليمية.

وليس إلحاحنا على مبدأ التعريب، أننا نعادي الانفتاح الثقافي والتفتح الفكري، فنحن على يقين كامل، بأن تعلم اللغات العالمية الحيّة، من الإنجليزية، وألمانية، وإسبانية، وفرنسية، وروسية، هو ضرورة قصوى، وواجب من الواجبات التعليمية الملحة، وشرط رئيسي من شروط النهضة والتقدم والازدهار. ولكن ليس على حساب اللغة الوطنية، والهوية الحضارية لشعبنا، كما هو معمولٌ به في الوقت الراهن في بلادنا.

أخي الأمين العام، إخواني أعضاء اللجنة التنفيذية :

إذا رأينا أن لا نقدم مشروعاً لإصلاح التعليم، باعتبار أن مشاريع الإصلاح لا تؤخذ بعين الاعتبار في ظل التوجّهات الحكومية الحالية، ورأينا أن نترك للحكومة التصرف في هذا المجال، لأنها المسؤولة أمام التاريخ، ولا دخل لنا نحن في هذه المسؤولية، فلا يصح أن لا يكون لنا تصوّر واضحٌ نعرضه أمام الرأي العام الوطني، وندافع عنه دفاعاً واضحاً. وعلينا أن لا نتخوف من ذلك. إن قضية التعليم من القضايا الوطنية المقدسة، لأنها تتصل بالمبادئ، وبالقيم، وبالمقومات، وبالثقافة العربية الإسلامية، وبالحضارة المغربية القائمة على أساس العروبة والإسلام. ومن أجل الحفاظ على هذه القيم والمقومات تأسس حزبنا من أول يوم.

إننا لا ينبغي أن نتساهل في ربط التعليم بالتربية، وفي ربط العلم بالأخلاق، وفي الجمع بين التكوين والتنشئة والتأطير، وبين الوطنية والتشبث بمقدسات الوطن، والغيرة عليها والدفاع عنها.



واستناداً إلى هذه الحقيقة، فإن تصورنا لإصلاح التعليم يجب أن يبقى كما كان شاملاً لجميع هذه المعاني الوطنية والإسلامية، لأننا في الحزب ينبغي أن نتشبت بالمبادئ الوطنية الحققة، التي هي مبادئ العروبة، والإسلام، والإنسيّة المغربية، مع التفتّح على العصر. فالمسألة هنا بالغة الدقة والحساسية.

فينبغي أن يكون موقف الحزب من هذه القضية موقفاً واضحاً والوضوح كلّهُ، لا تردد فيه ولا التباس، ويجب أن نعرض هذا الموقف على الرأي العام الوطني، ليعرف المواطنون كيف يفكر الحزب وكيف ينظر إلى القضايا الوطنية الكبرى. فالتعليم قضية وطنية كبرى، وهي جزء من القضايا المصيرية المتصلة بالاستقلال الوطني المغربي.

والوضوح في السياسة الوطنية، يتطلب منا أن نعلن عن موقف الحزب من قضية الأمازيغية التي يثار حولها لغطٌ كثير، والتي يتطلع شعبنا إلى معرفة رأي الحزب بشأنها.

إننا لا نرفض الأمازيغية فهي جزء لا يتجزأ من تراثنا الثقافي والحضاري المغربي، كما لا نرفض اللهجات المغربية الأخرى التي يتحدثها مواطنونا في كثير من المناطق ببلادنا. وبذلك فلا ينبغي أن نستهيّن بالأفكار التي صارت تعرض من طرف بعض الشباب الأمازيغيين، والتي يلحون فيها على تسوية الأمازيغية باللغة العربية لغة المغاربة الأساسية، ولغة قرآنهم ودينهم وثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم.

ولكن لا بد من التأكيد على أن الأمازيغية لهجة مغربية، تحتل مكانتها تحت مظلة لغة الشعب المغربي قاطبة منذ الفتح العربي الإسلامي لهذه البلاد. ولذلك فإن الاعتناء بآدابها وتراثها من أكد ما يجب الاهتمام به. ويجب أن نصوغ موقفنا إزاءها في مخطط مدروس نستعين في وضعه ببعض إخواننا الأمازيغيين الصادقين في دينهم ولغتهم وعروبتهم، سواء منهم المنتمون إلى الحزب، أو غيرهم، كبعض إخواننا في الأطلس المتوسط، وسوس، والريف الذين يتمسكون تمسكاً حقيقياً بلغة القرآن.

ويمكن تكوين خلية من هؤلاء الإخوان لبحث هذه المسألة، حتى يكون موقف الحزب مدروساً وقائماً على أساس متين من الخبرة والدراسة والمعرفة.

ثم إن الحزب مدعوٌ إلى أن يؤكد على مسألة بالغة الأهمية، ويسلط الأضواء عليها، وهي أن للدعوة إلى الأمازيغية جوانب تتصل بمخلفات الفكر الاستعماري في بلادنا، الأمر الذي لا يعرفه كثير من الشباب الأمازيغيين، مما يقتضي الحذر واليقظة والتنبيه. فهذه الدعوة ليست دائماً بريئة خالصة لوجه الوطن، وهي غالباً ما تكون تدور في فلك سياسة استعمارية نعلم جميعاً ما هي القوى الأجنبية التي تقف وراءها.

ولابد من الربط بين هذه الخلفيات والسلبيات، وبين كفاحنا الوطني في فترة الحماية لمقاومة سياسة التفرقة بين الشعب المغربي المتجانس المترابط الموحد، مع إبراز كيف أن الحزب خاض أشرس المعارك السياسية والثقافية والتعليمية للوقوف في وجه دعاة التفرقة على الأساس العرقي.

وعلى هذا الأساس فإن من مسؤوليات الحزب في هذه المرحلة، وفي سياق مطالبته بإصلاح التعليم، أن يؤكد بكل الوسائل على إبراز الفرق الجوهرية بين الاعتزاز بالملكوّات الحضارية القومية، وبين الدفاع عن أصالتنا الحقيقية التي دعا إليها ديننا الإسلامي الحنيف، والتي تقوم على أساس الوحدة الفكرية، تحت ظلال القرآن ولغة القرآن.

وبعد هذا كلّه، فإن إصلاح التعليم عملية مركبة. ذلك أن إصلاح التعليم - وكما نعلم جميعاً - وثيق الصلة بالإصلاح في القطاعات الأخرى. ولا بد أن يقوم إصلاح التعليم على إعمدته الأربعة الأساسية، وهي المدرسة، والمعلم، والتلميذ، والمنهج. ولقد شمل الانهيار هذه الأعمدة الأربعة أو هو يكاد يشملها. والمعلم هنا عنصر بالغ الحيوية. وقد تعرض المعلم في بلادنا للإهمال الشديد، سواء من حيث التكوين الثقافي والديني والروحي والأخلاقي، أو من حيث ما لحقه من الحيف والظلم، حتى صار في أسفل

السلم الوظيفي. ومن هنا يأتي الخلل في العملية التعليمية، إذ أن المعلم ناقص التكوين، مهضوم الحقوق، لا يمكن أن يعطي عطاءً مجزياً ينعكس على مستوى التلميذ. ولذلك فلا بد من مراجعة أوضاع المعلمين مادياً وأدبياً، وثقافياً وتربوياً، بحيث يسترجع ثقته بنفسه، ويشعر بقيمة الدور الذي يقوم به في بناء المجتمع. والمعلم في معظم البلدان المتقدمة صناعياً في أعلى الرتب الوظيفية.

وإذا كانت قضية التعليم ترتبط بالتنمية، فإن موقف حزبنا من إصلاح التعليم عموماً، يجب أن يقوم على أساس ربط التعليم بالتنمية، ولكن دون أن يلهينا ذلك عن ربط التعليم بالتربية الإسلامية الحقيقية، وبالقيم الأخلاقية، وبالمقومات الثقافية والفكرية والحضارية لبلادنا.

وترد في هذا السياق مسألة هامة، وهي أن التعليم وسيلة إلى تطور المجتمع، ورفي البلاد وازدهارها، ولن يتم هذا التطور على الوجه الصحيح إلا في إطار الأخلاق الإسلامية، وإلا كنا كمن يحترق في البحر. ولقد مضى علينا ثلاثة عقود ونحن على هذا الوضع. وآن الأوان لتبرز العلاقة الوثيقة بين التعليم والتربية في مفهومها الإسلامي والوطني، حتى نعد أجيال الغد على أساس التمسك بالأخلاق الراقية والتشبث بالقيم المثلى. فلا خير في تعليم يخرج لنا مواطنين فاقدي الانتماء لحضارة بلادهم، مقطوعي الصلة بثقافة وطنهم، عديمي الإيمان بالمبادئ التي قامت عليها دولتهم المغربية.

وفي هذا المجال، وحتى لا تضيق الجهود التي بذلها الحزب من قبل، ولئلا نبدأ من الصفر، يتعين علينا أن نعود إلى الدراسات التي قام بها بعض إخواننا في ميدان التعريب بتكليف من الحزب. فيجب أن نستفيد من هذه الدراسات، فهي جهود بذلها الحزب لا ينبغي التفريط فيها، وذلك حتى تتكامل لدينا الرؤية، وتترابط حلقات عملنا الوطني في ميدان إصلاح التعليم.

إن المغرب الذي يتأهب اليوم لنهضة جديدة، يتعرض إلى هجوم كاسح من قبل الفرانكفونية، التي هي دعوة استعمارية - بالقياس الوطني - تهدف إلى اقتلاع جذور الهوية الحضارية للمغرب وللمغاربة.

كما ترمي إلى العودة بهذا الوطن إلى الوراء بالإبقاء على مخلفات عهد الحماية. وأمام هذا الوضع الخطير - الخطير فعلاً وواقعاً وحقيقياً - يتعين على الحزب أن يتخذ موقفاً واضحاً في القرارات التي سيتوصل إليها بشأن المشاركة في الميثاق الوطني حول إصلاح التعليم.

إنّ الفرانكوفونية صارت اليوم دعوة رجعية مغرقة في التخلف، ولا يصحّ أن يسير المغرب الحرّ المستقل في ركاب هذه الدعوة الاستعمارية. ويجب أن يكون الوعي بهذه المسألة حافزاً لنا إلى اتخاذ الموقف الوطني الذي يليق بحزبنا تجاه قضية إصلاح التعليم.

أخي الأمين العام، إخواني أعضاء اللجنة التنفيذية :

أرى حقاً عليّ لا مناص منه، أن أثير اهتمامكم جميعاً إلى ضرورة إيلاء قضية إصلاح التعليم القدر الكبير من العناية المركزة، إيماناً مني بأن الحزب مؤهل أكثر من غيره للمشاركة الفعالة في الجهود الوطنية التي دعا إليها جلالته الملك في رسالته الموجهة إلى مجلس النواب.

وخلاصة القول إن فشل الجهود المبذولة في مجال التعليم منذ الاستقلال إلى اليوم، يعود إلى عدم انتهاج السياسة الوطنية التعليمية التي خطط لها الحزب ودعا إليها وبشّر بها. وليس الأمر - كما يتوهم البعض - راجعاً إلى سياسة التعريب التي أكدنا عليها دائماً.

أخي الأمين العام، إخواني أعضاء اللجنة التنفيذية،

لا أحتاج أن أؤكد بهذه المناسبة على ضرورة الاهتمام بقضية تعميم التعليم سواء في البادية أو الحاضرة، فذلك من المسلمات التي لا يقبل التراجع عنها، ويجب أن تلقى العناية الكاملة حتى تزول العراقيل التي تعوق نشر التعليم في البادية بالخصوص. كما أغتنم هذه الفرصة لألح على ضرورة الاعتناء بجامعة القرويين والتعليم الإسلامي عموماً ودراسة موضوع إنعاشها بالروافد وإصلاح المناهج.

وتلك مسؤوليتنا جميعاً، أسأل الله أن يقويننا ويسدّد خطانا لتحقيق  
الأهداف السامية لحزبنا على هدى مبادئ الوطنية الحقّة.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم :  
أبو بكر القادري  
الرباط 4 ربيع الأول 1415هـ  
الموافق 12 غشت 1994م

تأكيد :  
آمل أن تلقى هذه الرسالة اهتماماً من أخوتكم، فتقرأوها بأجمعها رغم طولها، وآمل  
أن أتدارك مستقبلاً بحول الله ما فاتني من النقط التي كان لا بد من التعرض لها أو  
الزيادة في توضيحها.  
مع الشكر الجزيل.  
أبو بكر القادري

## رسالة إلى الأمين العام للمجلس الأعلى للمساجد

بسم الله الرحمن الرحيم.

معالي الأمين العام للمجلس الأعلى للمساجد الشيخ محمد علي الحر كان<sup>(\*)</sup>.  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فلقد رأيت من واجبي كعضو مؤسس من أعضاء مؤتمر رسالة المسجد، الذي دعت إليه رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، أن أتقدم إلى معاليكم بهذا الخطاب، في موضوع انعقاد الدورة الأولى للمجلس الأعلى للمساجد.

فلقد اطلعت من خلال الصحف اليومية، على جدول أعمال المؤتمر التي تتعلق كلها بموضوع رسالة المسجد من قريب أو بعيد، طبقاً لمقررات المؤتمر الأول، وتطبيقاً لما قرره من توصيات.

وإني أريد بهذه المناسبة أن أقترح على معاليكم، وعلى إخواني أعضاء المجلس، أن تضاف إلى جدول الأعمال، قضية الساعة بالنسبة للمسلمين في جميع أنحاء المعمور، وهي قضية تحرير المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، من قبضة الصهاينة الماكرين.

إن مسؤولية علماء الإسلام فيما يتعلق بهذا الموضوع، مسؤولية خطيرة، لا يحررهم منها إلا عملهم الدائب والجاد والحازم، وبجميع الوسائل التي بين أيديهم، على تحرير المسجد الأقصى وتطهيره من عبث العابثين شذاذ الأرض.

---

(\*) والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رحمه الله.

وليست القضية قضية بيان يكتبه المجلس، وتحدث عنه الصحافة ووكالات الإعلام الإسلامية فحسب، ولكنها قضية وضع تخطيط محكم، يقع تدارسه من لدن مجلسكم الموقر، ويعمل على تطبيقه بعناية واهتمام.

إن عنجهية اليهود الصهاينة، وتعنتهم وطغيانهم وغرورهم، لا يمكن أن يقاوم إلا بوسائل مضبوطة وحازمة وقوية، وإن تحرير الأقصى لا يقع إلا إذا ما تقوت عزائم المسلمين على تحريره، وشدوا الخناق على اليهود من جميع الجهات، واستقطبوا كل الإمكانيات التي يمكن أن يقع الضغط بها عليهم وعلى مناصريهم من الاستعماريين، وهذا الاستقطاب لا يمكن أن يتولاه إلا جماعة مؤمنة، تعاهد الله على أن لا يغمض لها جفن ولا يقر لها قرار، إلا إذا رأت ثالث الحرمين في قبضة المسلمين، كما كان منذ أن أخذ مفاتيح القدس الشريف، الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه.

إن المسلمين يتحرقون غيظاً وألماً من هذه الغطرسة التي يظهرها اليهود ضدّاً على العرب والمسلمين، وتحدياً لشعورهم الديني والوطني. ولذلك فإنه من الواجب الأكد على المجلس الأعلى للمساجد، أن يجعل قضية تحرير المسجد الأقصى، أولى القضايا التي تقع دراستها، وأخذ القرارات المناسبة فيها. وإني أقترح على المجلس أن يتخذ القرارات الآتية في هذا الموضوع :

أولاً : توجيه نداء إلى العالم الإسلامي، يشعر المسلمين بمسؤولياتهم في تحرير المسجد الأقصى، وإثمهم جميعهم إن هم قصروا فيما يجب عليهم القيام به من الضغط على اليهود الصهاينة، حتى ينسحبوا من القدس الشريف وجميع أراضي فلسطين.

ثانياً : القيام بدعوة ممثلي أهم الجمعيات الإسلامية في أنحاء العالم، لعقد اجتماع بمكة المكرمة، لدراسة الوسائل الناجعة والمؤثرة لتحرير المسجد الأقصى.

ثالثاً : الإعلان عن يوم عالمي، يدعى يوم تحرير المسجد الأقصى، يجتمع فيه المسلمون من جميع الأقطار في المساجد، ويعبرون عن استنكارهم

واستهجانهم للوجود اليهودي بالأقصى الشريف، ويطالبون هيئة الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية، أن تضغط على الصهاينة، حتى يتخلوا عن غرورهم وتمسكهم بالأراض الفلسطينية بما فيها المسجد الأقصى، وتصدر الصحافة الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، أعداداً خاصة في ذلك اليوم، تتحدث فيه عن مكانة المسجد الأقصى في الإسلام، ووجوب العمل على تحريره.

رابعاً : يرفع المجتمعون في كل الأقطار، رسائل وبرقيات إلى المنظمات الدولية على اختلاف أنواعها، يسترعون فيها على الصهاينة، ويطالبون هذه المنظمات أن تقوم بواجبها، وتطبق قراراتها في موضوع تحرير فلسطين.

خامساً : كتابة تقرير ضاف إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي سينعقد قريباً («بدكار») عاصمة السنغال، يشرح الأوضاع والتطورات التي حصلت بالمنطقة العربية، ويطالب الدول الإسلامية والملوك والرؤساء المسلمين، أن يقوموا بمسؤولياتهم نحو تحرير المسجد الأقصى، خصوصاً وأن المؤتمر الإسلامي نفسه، لم يؤسس ويكوّن إلا على أساس تحرير المسجد الأقصى.

سادساً : يرفع هذا التقرير إلى مؤتمر وزراء الخارجية، وفد عن المجلس الأعلى للمساجد، ويتولى هذا الوفد شرح الأخطار التي تهدد الأمن العام الدولي، إن بقيت إسرائيل مصرّة على تعنتها وغطرستها وبقائها محتلة لمقدسات المسلمين.

سابعاً : إذا كانت إسرائيل تستغل نعرتها الدينية العنصرية، وتستقطب يهود العالم لمناصرتها في باطلها، فواجب المجلس الأعلى للمساجد، أن يستقطب غيرة المسلمين على دينهم، وتعلقهم بمقدساتهم، لافتكاك بيت المقدس، بكل ما يمكنهم من وسائل، وأن يوضحوا للعالم أجمع، أن صبرهم قد نفذ، وأن الصهاينة إن كانوا لا يفهمون لغة الكلام والمطالبة بالحقوق، فإن المسلمين سيتجهون للغة التي تعيد إليهم حقهم المغصوب، وشرفهم المداس.



ثامناً : لا بد أن يدرك الضمير الدولي، أن المسلمين إن كانوا مسلمين متسامحين حسب تعاليم دينهم، فإنهم مع ذلك لا يقبلون، ولا يمكنهم أن يبقوا دائماً قابلين للأمر الواقع الذي فرضه عليهم الاستعمار الصهيوني المعتدي، وأنه من الخير والمصلحة، أن يستيقظ الضمير الدولي، ليعمل على إحقاق الحق، وإرجاع فلسطين المغتصبة لأصحابها وذويها الشرعيين الذين هم الفلسطينيون.

تاسعاً : يكون المجلس الأعلى للمساجد، لجنة على المستوى الدولي الإسلامي، يعهد إليها بالسهر على تطبيق القرارات التي يتخذها المجلس الموقر، وترجع التقارير المتتابعة للأمانة العامة للمجلس، حتى لا تبقى القرارات مجرد حبر على ورق.

وبعد فهذه بعض مقترحات أردت أن أتقدم بها إلى مجلسكم الموقر، لعلها إن شاء الله تساعد أعضاء المجلس المحترمين على دراسة الموضوع دراسة وافية، تؤتي ثمرتها، وتخرج المسلمين من المحنة الأليمة التي يعانون منها، من جراء هضم حقوقهم وانتهاك مقدساتهم.

ولست أدعي أنني أكثر غيره من غيري على مقدسات المسلمين وحرماناتهم، وإنما هو واجب أدبته، ومسؤولية أشعر بها مع إخواني، معبراً في الوقت نفسه عن استعدادي لكل عمل يرى المجلس القيام به، للوصول لهدف تحرير المسجد الأقصى، وتحرير فلسطين من قبضة الغاصبين والله سبحانه يوفقنا وإياكم لما فيه خير المسلمين وصلاحهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أبو بكر القادري

الحمد لله وحده.

الأخ العزيز السيد عبد الرحيم بوعبيد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لمطالبتنا بالاستقلال، وبتحقيق الحكم النيابي، رأيت من واجبي أن أوجه لأخوتكم هذه الرسالة، مجدداً روابطنا الأخوية والوطنية، ومذكراً بالعهود التي قطعناها على أنفسنا عندما تقدمنا بوثيقة الاستقلال التاريخية، التي لم يكن الدافع لها في تلك الظروف القاسية، إلا حب الخير لوطننا، وإرجاع كرامته وتنظيمه على أسس سليمة.

لقد أصبح المغرب بعد تقديم تلك الوثيقة، موحد الكلمة تحت فكرة واحدة، وكانت القلوب سليمة صافية، والدوافع جد شريفة، والروابط بين الإخوة متينة إلى حد بعيد.

وبالرغم مما عقب تقديم وثيقة الاستقلال من تشريد ومحن، فإن المغرب بقضه وقضيضه، اتجه بعزم لتحقيق أهدافه السامية، واحتفظ الشعب بحماسة الوطني، متجمعاً وراء قادته في النضال والجهاد.

ومضت الأعوام تلو الأعوام والمغرب يناضل ملكاً وشعباً إلى أن كانت حوادث 1952 ثم حوادث 1953 وما عقب ذلك كله من كفاح مرير، وتضحيات جسيمة، برهنت على أن فكرة الاستقلال تمكنت من النفوس، واستحوذت على الألباب، وأن البذرة الأولى التي بذرها المخلصون، كانت طيبة ومثمرة وصادقة.

وهكذا لم يسع الاستعمار إلا أن يرضخ فيعترف بالاستقلال. ولست الآن بصدد تعداد المكاسب التي حققها المغرب خلال هذه الفترة، ولست بصدد تعداد التجارب التي مررنا بها طول هذه السنوات، ولا أود أن أرجع إلى هذا الماضي إلا لآخذ العبرة منه.

ورغمًا عن العقبات التي كانت تنتظرنا بعد إعلان الاستقلال، والتي وضع أكثرها استعمار بغيض، فقد استطعنا بفضل الحكمة والتبصر والإخلاص، أن نتغلب على الكثير منها، فاحتفظنا بشعلة الحماس في نفوس مواطنينا، وكانت السنن الأوليان بعد الاستقلال ستان حافظتان، اتجه فيهما الشعب والعرش نحو التشييد والبناء.

لقد كنا نؤمل أن الأخطاء والأغلاط التي وقع فيها غيرنا، سنتجنبها ونحتاط من الوقوع فيها، وأنا سنسير قُدمًا نحو إصلاح بلادنا إصلاحاً جذريا في جميع مرافق الحياة، فننظم شؤونها، ونبني استقلالها على أسس سليمة، ونعمل على تحقيق جميع الرغبات التي تطمح إليها بلادنا، متحلين بالحكمة والتبصر، و متمسكين بعري الوحدة التي هي شرط النجاح.

و شاء الله أن تقع أحداث، وأن تنشق الصفوف، فانقسم الرأي الوطني على نفسه، وتنازع ممثلوه، فاستُغِل هذا الانقسام من ذوي المصالح الشخصية، وصار المغرب يتعثر في أذيال الخيبة، بعد أن كان متجهاً بجد في طريق البناء.

إن أخطاء وقعت، وإن أغلاطاً أرتكبت، وليس قصدي من هذه الرسالة أن أحاسب المخطئين أو أؤاخذ الغالطين، وإنما أردت أولاً وقبل كل شيء، أن أطلب من أخي أن نقف جميعاً وقفة بمناسبة هذه الذكرى، نتعرف فيها إلى ذلك الماضي القريب وما وقع فيه من أحداث، وما تحققت فيه من أعمال، فنحاسب أنفسنا بقلوب ملؤها اليقين والصدق، قلوب نقية، وعقل فاحص، وبنفس الروح التي تقدمنا بها لخوض المعركة عندما تقدمنا بوثيقة الاستقلال.

وإنني أعترف أن هذه الوقفة كي توّتي ثمرتها، تتطلب منا إرادة قوية، وجهاداً مضمناً في أعماقنا، حتى نتحلل من جميع الرواسب التي خلفتها فينا الحزرات، وحتى نستطيع أن نصل إلى حقيقتنا الوطنية الصميمة، التي لم يشبها زيف، ولم تتأثر لأيّ عامل من عوامل الأهواء.

إنني أعتقد أن الضمير الوطني لازال يشعّ ويضيء في أعماق إخواني الذين عرفتهم أيام الشدة والرخاء، فعرفت فيهم سمو المقصد، ونبل الغاية، وشرف الضمير، ولذلك أودّ أن نزيح جميعاً من نفوسنا ما علق بها من أدران الكره واللجاج والخصومة، وننظر في حقيقتنا الوطنية السليمة، التي لم تكن تهدف إلا لتحقيق الخير العام. ومعاذ الله أن يترك الوطني الشريف الحزازات والأحقاد تسيره، ومعاذ الله أن ترضى حقيقتنا الوطنية أن نسير بأعين عمياء، وفي متاهات مجهولة.

إن أول ما نلاحظه أيها الأخ أن قضيتنا انتقلت - مع كل أسف - من طور التضامن على البناء والتشييد، إلى طور الخصومات الهوجاء، التي لا تفرق أحياناً بين أسلحة النضال، بل تسير محاربة بجميع الوسائل التي تقع عليها، متحدية كل الروابط التي يفرض الوفاء والواجب صيانتها، غافلة عن الأخطار التي تتعرض لها بلادنا، من جراء هذه الخصومات، عاملة - وبدون قصد - على أن تجعل من هذه الشعب الذي آمن طواعية بالفكرة الوطنية، فناضل في سبيلها وحماها، شعباً فاقداً لكل أمل، عادماً لكل ثقة، مشفقاً على تلك المبادئ والعقائد التي يراها أحياناً تتعرض لبعض الأخطار.

والملاحظة الثانية التي تعترضنا أيها الأخ أن هذا الإصلاح الذي ننشده لبلادنا في جميع مرافق حياتنا، وهذه الأهداف الوطنية التي نحن مسؤولون عن تحقيقها والنضال في سبيلها، أصبحت تتعثّر إن لم تكن تتأخر، وحتى إذا ما تحققت بعض الإصلاحات من أحد الجوانب المتخاصمة، فلا بد أن تتسلط عليها معاول الهدم من الجوانب الأخرى، وهكذا يسير المغرب في حلقة مفرغة، كل الجوانب الوطنية تريد أن تبني، ولكن الجوانب الأخرى لا بد أن تلاحظ أو تنتقد أو تحطم، لأن البناء لم يأت من طريقها، وهكذا أصبح الشعب تتجاذبه النزعات، فليس يدري أتحققت بعض أهدافه أم هو سائر في طريق الخيبة والضلال.

والظاهرة الثالثة التي يجب أن تدعونا لكثير من التفكير والبحث عن وسائل علاجها، وأعني بها ما صارت تتردى فيه كثير من طبقات الأمة،

مسئولة وغير مسؤولة، من انعدام كل القيم الأخلاقية، والمقاييس الوطنية الصحيحة، حتى أصبح التحكم إلى الأغراض والهوى الذي تسير بمقتضاه كثير من الطبقات. وأصبحنا نرى بأعيننا، أن ما كنا نشكو منه ونحن في قبضة الاستعمار، يطبق بصورة أو أخرى في عهد الاستقلال.

وطبيعي أن ينتج عن كل ذلك تضييع شنيع لكثير من المصالح، وإهمال متواصل لقضايا أساسية تتطلبها مصلحة البلاد، وعدم التفكير الجدي في المشاكل الأساسية بالوسائل الناجعة.

إن المشاكل المغربية التي تتطلب الحل مشاكل متعددة، وإن علاجها إن كان يتطلب شيئاً، فهو يتطلب كثيراً من الأناة وكثيراً من التبصر، وكثيراً من نكران الذات، وبهذه الأناة، وهذا التبصر، وهذا التجرد، تستطيع الأفكار أن تلتقى، ويمكن للاتجاهات والآراء أن تتحد.

ومعلوم أن هذه الوحدة في الرأي، وفي سبيل تحقيق الأهداف، شرط أساسي في كل نجاح، فكفانا ما أضعناه من وقت ومن مكتسبات، وكفانا ما قاسيناه من آلام ونزاعات.

إن هذه الطاقات القوية التي يبذلها الوطنيون في الحروب الكلامية، والتي يقصد منها التدليل على صوابية رأى جانب في قضية وطنية أو سياسية، إنما هي في واقع الأمر طاقات نضيعها في الفراغ. إذ أنها تخرج من نطاق موضوعها، إلى نطاقات لا تستفيد منها البلاد، ومن الغريب حقاً أن يدعى جانب وطني أنه هو وحده الحريص على مصلحة البلاد، وأن الخلاص لا يكون إلا بيده وحده، وأن من عداه إنما هو مخرب ومعرقل لتقدم الوطن، مع أن الواقع أن الخلاص لا يكون إلا إذا تكاثفت الجهود، لتحقيق الأهداف بصدق طوية، ويقين في النجاح.

إن هذا الاضطراب النفسي، والقلق الفكري، اللذين يستوليان على كثير من المخلصين في هذه الظروف، لا يعالجه إلا شيء واحد هو أن نعقد العناصر على أن تتعاون العناصر الوطنية بأجمعها، وتتحد تحت ميثاق وطني

تحدد فيها الأهداف التي يتعرف إليها المغرب، ويتعهد الجميع على السير في منوالها والاستماتة في سبيلها، والتضامن في نصرتها، ونسيان كل الأحفاد والمصالح في سبيل تحقيقها.

إن القضايا الوطنية، ليست بالقضايا التي تهّم طائفة من المواطنين دون أخرى، ولا فرداً دون آخر، وإنما الدفاع عنها واجب مشترك على جميع طبقات الأمة، كلّ يؤدي هذا الواجب حسب جهده واجتهاده، ولكن الذي لا يُصاغ ولا يقبل، هو أن تفترق الأمة أمام هذه القضايا وتتنازع عند السعي لتحقيق هذه الأهداف، لأنّي لازلت أعتقد أن هذا الاختلاف ليس من شأنه أن يقربنا من تحقيق أهداف بلادنا، وإنما هو في الواقع يرمي بنا بعيداً وبعيداً جداً.

إنني أعلم أن نظرة الوطنيين إلى القضايا، قد يكون فيها بعض الاختلاف، ولكن هذا الاختلاف لا ينبغي أن يكون مدعاة للتنافر، فأحرى لأن يحارب الوطنيون بعضهم بعضاً.

إنني أعتقد أن كل وطني صميم، إذا رجع إلى نفسه وتجرد عن أنايته، فلا بد أن يجد قبساً من روح الحق يهديه سواء السبيل، ولا بد أن تتفتح بصيرته لطريقة الإنقاذ، ولا بد أن يتساءل لماذا هذا التطاحن والتنابد والتنافر؟ ولا بد أن يشعر بضرورة التعاون والتآلف على كلمة سواء.

فهيا بنا للعمل على إيجاد هذه الكلمة سواء، ولنسّع جميعاً لخلق جو جديد بهذه الديار، جوّ يعشّ النفوس المؤمنة، ويزيد في يقين الذين باعوا نفوسهم مرضاة لله، ولهذا الوطن. هيا بنا أيها الأخ نبعث هذه الثقة التي أوشكت على الزوال، هذه الثقة التي هي سر نجاحنا: الثقة بالله، والثقة بنفوسنا، والثقة بإخواننا، والثقة بشعبنا.

إن أي نجاح متوقف إلى حد بعيد على خلق هذا الجو النقي الذي تصفو فيه النفوس، وتتطهر فيه القلوب، وبدون خلق هذا الجو، لا يمكننا مطلقاً أن نصل لتحقيق أهدافنا المثلى.

إن بلادنا متوقفة في نجاحها وتقدمها على مواهب بنيتها على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم، بمقدار ما هي في حاجة إلى نوع من الاستقرار والعمل الهادئ المنتج، فلماذا لا نتفق على هذا العمل، ونسعى متحدين متكاشفين على تحقيقه، كل بأسلوبه وطريقته، إن لم نستطع أن نصل لتوحيد الأسلوب.

إنني أدعو ضميرك الوطني وغيرتك على بلادك وإخلاصك الذي لا أشك فيه، أن تقف معي هذه الوقفة لراجع قضايانا ومشاكلنا على أساس المصلحة والتسامح والإخلاص، حتى إذا ما وضحت الطريق، سرنا في طريقنا نخوض معركة البناء، بروح جديدة ويقين في النجاح.

إن الوطنية التي تغذينا بها، والأخلاق القويمة التي التزمناها، والمبادئ السامية التي اعتنقناها، تفرض علينا أن نصحح أوضاعنا، إذا أردنا أن نصحح أوضاع أمتنا، وإن هذا الوطن الذي تعاهدنا على خدمته والوفاء له، ينظر إلينا نظرة كلها إشفاق وآمال، فعسى أن نهتدي للطريق، وعسى أن يهدينا الله سواء السبيل.

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب)، والسلام عليك من أخيك.

أخوكم :  
أبو بكر القادري

11 يناير 1962م

وجهت إلى الأخ عبد الرحيم هذه الرسالة، وبعد أيام اتصل بي تليفونيا وخبّرني بوصول الرسالة إليه وأنه كان طريح الفراش عندما وجهتها ولذلك دفعوها إليه متأخراً، ثم رجا مني أن نعقد معه موعداً فحددنا الموعد وزارني في منزلي وتذاكرنا مذاكرة خفيفة شكرني فيها على هذه الروح التي كتبت بها الرسالة، ولم يقدم لي أي جواب كتابي، كما فهمت منه أن تحقيق فكرة الميثاق الوطني لازال لم يأت أوانها، لأنه متشائم من الوضع في المغرب.

## رسالة إلى الأمين العام للمجلس الأعلى للمساجد

بسم الله الرحمن الرحيم.

معالي الأمين العام للمجلس الأعلى للمساجد الشيخ محمد علي الحر كان<sup>(\*)</sup>.  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فلقد رأيت من واجبي كعضو مؤسس من أعضاء مؤتمر رسالة المسجد، الذي دعت إليه رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، أن أتقدم إلى معاليكم بهذا الخطاب، في موضوع انعقاد الدورة الأولى للمجلس الأعلى للمساجد.

فلقد اطلعت من خلال الصحف اليومية، على جدول أعمال المؤتمر التي تتعلق كلها بموضوع رسالة المسجد من قريب أو بعيد، طبقاً لمقررات المؤتمر الأول، وتطبيقاً لما قرره من توصيات.

وإني أريد بهذه المناسبة أن أقترح على معاليكم، وعلى إخواني أعضاء المجلس، أن تضاف إلى جدول الأعمال، قضية الساعة بالنسبة للمسلمين في جميع أنحاء المعمور، وهي قضية تحرير المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، من قبضة الصهاينة الماكرين.

إن مسؤولية علماء الإسلام فيما يتعلق بهذا الموضوع، مسؤولية خطيرة، لا يحررهم منها إلا عملهم الدائب والجاد والحازم، وبجميع الوسائل التي بين أيديهم، على تحرير المسجد الأقصى وتطهيره من عبث العابثين شذاذ الأرض.

---

(\*) والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رحمه الله.



وليست القضية قضية بيان يكتبه المجلس، وتحدث عنه الصحافة ووكالات الإعلام الإسلامية فحسب، ولكنها قضية وضع تخطيط محكم، يقع تدارسه من لدن مجلسكم الموقر، ويعمل على تطبيقه بعناية واهتمام.

إن عنجهية اليهود الصهاينة، وتعتهم وطغيانهم وغرورهم، لا يمكن أن يقاوم إلا بوسائل مضبوطة وحازمة وقوية، وإن تحرير الأقصى لا يقع إلا إذا ما تقوت عزائم المسلمين على تحريره، وشدوا الخناق على اليهود من جميع الجهات، واستقطبوا كل الإمكانيات التي يمكن أن يقع الضغط بها عليهم وعلى مناصريهم من الاستعماريين، وهذا الاستقطاب لا يمكن أن يتولاه إلا جماعة مؤمنة، تعاهد الله على أن لا يغمض لها جفن ولا يقر لها قرار، إلا إذا رأت ثالث الحرمين في قبضة المسلمين، كما كان منذ أن أخذ مفاتيح القدس الشريف، الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه.

إن المسلمين يتحرقون غيظاً وأماً من هذه الغطرسة التي يظهرها اليهود ضداً على العرب والمسلمين، وتحدياً لشعورهم الديني والوطني. ولذلك فإنه من الواجب الأكد على المجلس الأعلى للمساجد، أن يجعل قضية تحرير المسجد الأقصى، أولى القضايا التي تقع دراستها، وأخذ القرارات المناسبة فيها. وإني أقترح على المجلس أن يتخذ القرارات الآتية في هذا الموضوع :

أولاً : توجيه نداء إلى العالم الإسلامي، يشعر المسلمين بمسؤولياتهم في تحرير المسجد الأقصى، وإثمهم جميعهم إن هم قصروا فيما يجب عليهم القيام به من الضغط على اليهود الصهاينة، حتى ينسحبوا من القدس الشريف وجميع أراضي فلسطين.

ثانياً : القيام بدعوة ممثلي أهم الجمعيات الإسلامية في أنحاء العالم، لعقد اجتماع بمكة المكرمة، لدراسة الوسائل الناجعة والمؤثرة لتحرير المسجد الأقصى.

ثالثاً : الإعلان عن يوم عالمي، يدعى يوم تحرير المسجد الأقصى، يجتمع فيه المسلمون من جميع الأقطار في المساجد، ويعبرون عن استنكارهم

واستهجانهم للوجود اليهودي بالأقصى الشريف، ويطالبون هيئة الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية، أن تضغط على الصهاينة، حتى يتخلوا عن غرورهم وتمسكهم بالأراض الفلسطينية بما فيها المسجد الأقصى، وتصدر الصحافة الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، أعداداً خاصة في ذلك اليوم، تتحدث فيه عن مكانة المسجد الأقصى في الإسلام، ووجوب العمل على تحريره.

رابعاً : يرفع المجتمعون في كل الأقطار، رسائل وبرقيات إلى المنظمات الدولية على اختلاف أنواعها، يسترعون فيها على الصهاينة، ويطالبون هذه المنظمات أن تقوم بواجبها، وتطبق قراراتها في موضوع تحرير فلسطين.

خامساً : كتابة تقرير ضاف إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي سينعقد قريباً («بدكار») عاصمة السنغال، يشرح الأوضاع والتطورات التي حصلت بالمنطقة العربية، ويطلب الدول الإسلامية والملوك والرؤساء المسلمين، أن يقوموا بمسؤولياتهم نحو تحرير المسجد الأقصى، خصوصاً وأن المؤتمر الإسلامي نفسه، لم يؤسس ويكوّن إلا على أساس تحرير المسجد الأقصى.

سادساً : يرفع هذا التقرير إلى مؤتمر وزراء الخارجية، وفد عن المجلس الأعلى للمساجد، ويتولى هذا الوفد شرح الأخطار التي تهدد الأمن العام الدولي، إن بقيت إسرائيل مصرّة على تعنتها وغطرستها وبقائها محتلة لمقدسات المسلمين.

سابعاً : إذا كانت إسرائيل تستغل نعرتها الدينية العنصرية، وتستقطب يهود العالم لمناصرتها في باطلها، فواجب المجلس الأعلى للمساجد، أن يستقطب غيرة المسلمين على دينهم، وتعلقهم بمقدساتهم، لافتكاك بيت المقدس، بكل ما يمكنهم من وسائل، وأن يوضحوا للعالم أجمع، أن صبرهم قد نفذ، وأن الصهاينة إن كانوا لا يفهمون لغة الكلام والمطالبة بالحقوق، فإن المسلمين سيتجهون للغة التي تعيد إليهم حقهم المغصوب، وشرفهم المداس.

ثامناً : لا بد أن يدرك الضمير الدولي، أن المسلمين إن كانوا مسلمين متسامحين حسب تعاليم دينهم، فإنهم مع ذلك لا يقبلون، ولا يمكنهم أن يبقوا دائماً قابلين للأمر الواقع الذي فرضه عليهم الاستعمار الصهيوني المعتدي، وأنه من الخير والمصلحة، أن يستيقظ الضمير الدولي، ليعمل على إحقاق الحق، وإرجاع فلسطين المغتصبة لأصحابها وذويها الشرعيين الذين هم الفلسطينيون.

تاسعاً : يكون المجلس الأعلى للمساجد، لجنة على المستوى الدولي الإسلامي، يعهد إليها بالسهر على تطبيق القرارات التي يتخذها المجلس الموقر، وترجع التقارير المتتابعة للأمانة العامة للمجلس، حتى لا تبقى القرارات مجرد حبر على ورق.

وبعد فهذه بعض مقترحات أردت أن أتقدم بها إلى مجلسكم الموقر، لعلها إن شاء الله تساعد أعضاء المجلس المحترمين على دراسة الموضوع دراسة وافية، تؤتي ثمرتها، وتخرج المسلمين من المحنة الأليمة التي يعانون منها، من جراء هضم حقوقهم وانتهاك مقدساتهم.

ولست أدعي أنني أكثر غيره من غيري على مقدسات المسلمين وحرماناتهم، وإنما هو واجب أدبته، ومسؤولية أشعر بها مع إخواني، معبراً في الوقت نفسه عن استعدادي لكل عمل يرى المجلس القيام به، للوصول لهدف تحرير المسجد الأقصى، وتحرير فلسطين من قبضة الغاصبين والله سبحانه يوفقنا وإياكم لما فيه خير المسلمين وصلاحهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أبو بكر القادري

## مذكرة مرفوعة إلى الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين حول الأخطار التي تهدد الفكر الإسلامي

الحمد لله.

الأخ المومن الغيور الأستاذ إبراهيم الطحاوي الرئيس العام لجمعيات  
الشبان المسلمين - القاهرة -.

سدد الله خطاكم، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعدت بخطابكم الكريم المؤرخ بـ 1969/4/28، فقرأته وأمعنت النظر  
في محتواه.

والواقع أيها الأخ الكريم، أن الأفكار التي أترتموها في خطابكم،  
والشروح التي أعطيتموها للأخطار التي تهدد الفكرة الإسلامية والعقيدة  
الإيمانية، سواء من لدن الصهيونية العالمية التي تبيت للإسلام والمسلمين، أو  
من لدن الصليبية الحاقدة التي تكيد للإسلام في عقر داره، أو من لدن  
المذاهب الهدامة التي وجدت رواجاً في هذه الظروف الدقيقة التي يعيشها  
العالم الإسلامي، كل ذلك يدعو إلى الالتقاء والدراسة والتخطيط.

وإن الاهتمام بهذه الأخطار التي تحدق بالإسلام، ومدارسة  
مكافحتها بالطرق العلمية، والوسائل المتفتحة المعقولة، لأمر واجب وأكيد،  
على كل من يقدر رسالة الإسلام، ويشعر بمسؤوليته في الحفاظ على هذه  
الرسالة الخالدة.

إن الاهتمام بالجيل الصاعد، وتعريفه بحقيقة الإسلام واجب أكيد في هذه الظروف التي سيطر فيها الالحاد، وتغلبت فيها الشهوات، وتعددت المعاول التي تحطم كل القيم المثلى التي أتى بها الأنبياء والمرسلون. نشعر بهذا نحن في المغرب، وتشعرون أنتم به في المشرق، ويعبر عنه كل من يجد في نفسه اهتماما بالحفاظ على القيم والمقدسات الإسلامية في المعمورة.

ولقد سبق لي أن زرت في السنة الماضية كثيرا من أقطار افريقيا الغربية، وتعرفت عن كثب على أحوالها، فشعرت والألم يحز في نفسي، بالأخطار التي تهدد الإسلام، والتقصير الفظيع للمسلمين، خصوصا وأن الأفكار هناك مهياة لقبول الدعوة الإسلامية والإصلاح الإسلامي، ولكن المسلمين في غفلة ساهون.

إن اقتراحكم تشكيل اتحاد عالمي للشباب المسلم، ضرورة أكيدة وواجب محتتم، فلا يليق بالشباب المسلم أن يبقى مبعثرا، بينما توجد اتحادات للشباب عالمية: للشباب المسيحي، والشباب الصهيوني، والشباب الشيوعي، ومن أجل ما ذكر فإن تأسيسه لا يلقى منا إلا التأييد والمناصرة والتحييد.

ويمكنكم أيها الأخ أن تعتمدوا على شباب النهضة الإسلامية بالمغرب، لتكون في عونكم جهد مستطاعها، لتحقيق الأهداف التي شرحتم في تقريركم، حتى يتحقق النصر، وتعلو كلمة الله. وإذا كان لي أن أضيف بعض مقترحات إلى ما ورد في تقريركم الضافي الجامع، فإني أرى أن يهتم هذه الاتحاد من جملة ما يهتم به بـ :

(1) قضية التعليم في البلاد الإسلامية، وإيجاد نقط مشتركة تنفق عليها كل الأقطار الإسلامية، وتطبق في كل المدارس الإسلامية، حتى نضمن أساسا صحيحا تتوحد عليه الأفكار، وتربى عليه الناشئة.

(2) دراسة مشكلة الفتاة المسلمة، ووسائل تكوينها وتنقيفها في دائرة يقرها الإسلام، وتتوافق مع متطلبات العصر الحديث.

3) دراسة الوسائل التي يستطيع الشباب المسلم أن يكافح بها الأفكار الالحادية الدخيلة، وخصوصا الأفكار التي يروج لها الشبان الشيوعيون، والتي يكسونها بخداع من الدعاية للأفكار التحررية.

4) دراسة مشكل الشباب المسلم الذي يوجد في شعوب أكثريتها الساحقة مسلمة، ولكن حكامها غير مسلمين.

5) الوسائل المادية التي يستطيع بها الاتحاد العالمي للشباب المسلم، أداء واجبه على الوجه المطلوب.

وفيما يتعلق بدراسة قضية التقريب بين المذاهب الإسلامية، يترآى لي أن الاتحاد يجب أن يكون متفتحا على قبول كل النظريات التي تأتي من مختلف المذاهب واحترامها وتقديرها، واعتبارها من باب اليسر الذي أتى به الإسلام. ولذلك فإن دراستها يجب أن تقع في منتهى الرحابة، حتى يشعر جميع المتمذهبين ببعض الآراء التي ربما تختلف بعض الاختلاف، أنهم وإخوانهم سواء، وأنه لا ضرر عليهم إذا ما اختلفت آراؤهم في بعض الفروع، وأنه يكفي أن تكون الأصول الإسلامية الأساسية نقط الالتقاء.

ونحن وإن كان لا يوجد لدينا بالمغرب أي خلاف مذهبي، لا في الأصول ولا في الفروع، ولكننا مع ذلك نريد أن نلتقي مع إخواننا في جميع الأقطار، بروح فيها كثير من السماحة والتقدير.

هذا وإني إذ أهني إخوانكم بهذا التوفيق، وهذه المبادرة الكريمة لا يسعني إلا أن أبلغكم موافقتنا التامة على تحقيق الأهداف التي شرحتم في تقريركم، واستعدادنا التام للعمل معكم يدا في يد لخدمة الفكرة الإسلامية، والذود عنها، معبرا عن استعدادي لحضور أي اجتماع ترون عقده، سواء في مجلس الرأي الأعلى أو في غيره من المجالس التي تنوون إنشائها.

كما يلذ لي أن أعطيكم بعض الأسماء التي أرى أنها تهتم بالقضية الإسلامية، ونشر الفكر الإسلامي، والنضال في سبيل الدعوة الإسلامية، وأعد في طليعتهم كلا من الأساتيد :

علال الفاسي، الدكتور المهدي ابن اعبود، الأستاذ محمد بن البشير  
رئيس التعليم الأصلي بوزارة الثقافة، الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله، الأستاذ  
مصطفى العلوي مدير دار الحديث، السيد عبد اللطيف خالص، راجيا من  
الله لكم كل توفيق، ومحيا شهامتكم وإخلاصكم. ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك  
أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت  
العزیز الحكيم﴾ والسلام عليكم ورحمة الله.

أبو بكر القادري

رئيس جمعية شباب النهضة الإسلامية

3 ربيع النبوي 1389هـ

20 مايو 1969 م

## مذكرة إلى مجلس التنسيق الإسلامي الإفريقي بدكار

حضرة الأخ الكريم رئيس اللجنة التنفيذية لمجلس التنسيق الإسلامي  
الإفريقي دكار - السنغال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فلقد كان للمؤتمر الإسلامي الإفريقي المنعقد في نواكشوط،  
واللجنة التنفيذية لمجلس التنسيق الإسلامي الإفريقي المنعقدة في دكار ما بين  
2 و4 محرم الحرام 1397، أثر كبير في نفوس جميع المسلمين في القارات كلها،  
خصوصاً بعدما اطلع الجميع على القرارات والتوصيات التي اتخذت في كلا  
الاجتماعين المذكورين، والتزام اللجنة التنفيذية لمجلس التنسيق الإسلامي  
الإفريقي، بحمل لواء الدعوة الإسلامية، ونشر القرآن الكريم، واللغة العربية،  
في أنحاء القارة الإفريقية، وتبليغ رسالة الإسلام إلى شعوب المنطقة إلى آخر  
ما جاء بالخصوص في تصريح «دكار».

ولقد استبشر المسلمون خيراً بأن اللجنة التنفيذية لمجلس التنسيق، ستعمل  
جهدها لتصبح القرارات والتوصيات المتخذة في كل من نواكشوط، ودكار،  
داخلة في حيز التطبيق العملي، فتتنظم الدعوة الإسلامية، وتحقق للشعوب  
الإفريقية المسلمة، ما تطمح إليه من معرفة صحيحة لحقائق الدين الإسلامي  
الحنيف، وتأخذ لغتنا العربية مكانتها باعتبارها لغة القرآن بين هذه الشعوب.

وإذا كان لي أيها الأخ الكريم من رجاء، فإنني أرجو وقد مضت على  
اجتماعاتنا بدكار ثلاثة أشهر كاملة، أرجو أن نعمل جادين على تطبيق ما  
يمكن من القرارات والتوصيات المتعلقة بتنظيم الدعوة الإسلامية.



وأرى بادئ ذي بدء، أن نشرع من الآن في تنظيم المجالس العليا للمنظمات الإسلامية، وإحكام الاتصال بها، وتزويدها بما هي في حاجة إليه.

إن تنظيم هذه المجالس أمرٌ ضروري وأكيد، ويجب أن تكون لدى الإدارة المنظمة، المعلومات الكافية، والوسائل الضرورية، والتتبع الحازم، للنشاط الذي تقوم به هذه المجالس والمنظمات.

ولذلك فإن الشروع في هذا التنظيم، لا يقبل أي تأخير، حيث أنه من الواجب الأكيد، وضع تصميم محكم، وضبط توقيت الزيارة للأماكن المقرر البداية بتكوين مجالسها العليا، والاتفاق معها على برامج العمل، وإحكام الاتصال، وتنظيم الارتباط.

ومن المعلوم أن ذلك يتطلب دراسة فاحصة للمنظمات الإسلامية التي سيمكنها العمل باخلاص، ونزاهة، واستقامة، لتطبيق المقررات التي اتخذها المؤتمر الإسلامي الإفريقي، واجتماع دكار.

ويظهر أن الاهتمام بتكوين فروع اللجنة التنفيذية للمناطق الإفريقية ضروري التنفيذ كذلك، وفي أسرع وقت ممكن.

لقد أعلن عن تنظيم حلقة تدريبية للدعاة والمرشدين في نواكشوط، وعلى حسب ما بلغ إليه علمي، فإن الدعاية الضرورية للانخراط في هذه الحلقة التدريبية لم تقع كما يجب، ولست أدري أبلغ خبر تنظيم هذه الحلقة التدريبية لكل من يعنيه الأمر، ويود المشاركة فيها سواء من إفريقيا أو غيرها، أو أن الأمر بقي منحصرًا في دائرة ضيقة. وكيفما كان الأمر فإنه من المصلحة أن لا يعلن عن اتخاذ قرارات وتنظيم حلقات، إلا بعد أن تهيأ الظروف المساعدة للنجاح، وإلا فإن النتائج تكون عكسية.

لقد اتخذ اجتماع «دكار» قراراً لإقامة ندوات دورية للكتاب والشعراء، وإقامة مهرجانات قرآنية، وأرى من الضروري الإعلان عن إقامة هذه المهرجانات بعد تهيئ الجو الصالح لها، وتعيين الأماكن التي ستقام بها،

قبل بضعة أشهر من إقامتها، حتى يستطيع الذين يودون المشاركة فيها، تهييء أنفسهم، وأخذ العدة لسفرهم، وحتى يكون لمن ستنظم هذه الندوات في مدنهم، الوقت الكافي للإعداد والتهييء.

لقد اتخذنا في اجتماع «دكار» عدة قرارات، ولست أدعي أنها هذه القرارات ستدخل في حيز التطبيق دفعة واحدة، ولكني مع ذلك أرى أن نعقد اجتماعاً في مكان ما، ندرس فيه ما اتخذناه من قرارات، ونقرر ما يمكن تطبيقه حالياً، وما سيتأخر تطبيقه إلى اجتماع مقبل يعين بالضبط.

ثم إن بعض القرارات يلزم أن يتخذ لتطبيقها منهج مضبوط، حتى لا تبقى مجرد فكرة نظرية؛ فتكوين الشباب المسلم الإفريقي تكويناً إسلامياً، يتطلب منا دراسة فاحصة لتهييء الخزائن والكتب والنوادي والمراكز، وكل هذا يتطلب إعداداً صحيحاً، وعملاً منظماً، ووسائل مالية كافية، وكذلك الشأن في رفع مستوى الخطب والخطباء، يتطلب العناية اللازمة، والنظر إلى الواقع العملي، وكيفية التغلب على الصعوبات.

لقد تقرر افتتاح مركز للبحوث والتخطيط بفولتا العليا، ولست أدري أوصلتكم اقتراحات عملية من الإخوة الأعضاء، وبالأخص من الأخ د. مالك زرومي، فيما يتعلق بهذا المركز، لأن القرار ينص على أن افتتاح هذا المركز يكون خلال سنتنا الحالية 1397 - 1977.

ومن جهة أخرى فإنني أقترح أن يعمل مجلس التنسيق على فتح ولو مدرسة واحدة بإحدى المدن الإفريقية التي تنشط فيها الحركات الهدامة، لإشعار إخواننا الأفارقة أننا معهم قولاً وفعلاً، في مقاومات كل التيارات المنحرفة، بالعمل الدؤوب الملتزم بتطبيق المقررات.

كما أقترح توجيه محاضرين أو ثلاثة، لبعض الأقطار الإفريقية باسم مجلس التنسيق الإسلامي الإفريقي خلال هذه السنة.

إنه من المفيد جداً أن تتقدم اللجنة التنفيذية للجمع العام بمنجزات استطاعت أن تحققها فيما بين انعقاد الجلستين العامتين.

ومن الواجب أيضاً أن يشعر الأصدقاء والخصوم جميعهم، أن مؤتمرنا واجتماعاتنا ليست اجتماعات مجرد وضع التخطيطات، وإلقاء الكلمات، ولكنها اجتماعات بناءً وجدية، تعمل بإخلاص لخير الإسلام، ومصصلحة المسلمين في إفريقيا.

لقد كان مؤتمرنا ناجحاً والحمد لله، بفضل التعاون الوثيق بين جميع الأعضاء، سواء منهم أعضاء الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، وعلى رأسهم فضيلة الأمين العام الشيخ محمد علي الحركان ومساعدته الأمين الأيمن الأستاذ محمد صفوت السقا أمينى، أو أعضاء اللجنة التنفيذية وفي طليعتهم الرئيس الأستاذ مصطفى سيسي.

ولكن هذا النجاح سيتضاعف، والأجر سيتزايد، إذا ما واصلنا العمل بنفس النشاط والحزم والإخلاص، لتطبيق المقررات. والله سبحانه يوفقنا لأداء واجبنا نحو ديننا وأمتنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أبو بكر القادري

## مذكرة إلى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد صالح القزاز، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي «مكة المكرمة».

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحاقاً للخطاب الموجه إليكم، نحيطكم علماً أننا وجهنا لكم مع هذه الرسالة، فهرساً خاصاً ببعض المخطوطات العربية الموجودة بالخزانة العامة بالرباط، ويشتمل هذا الفهرس على ستة وعشرين وتسعمائة وألف مخطوط، وكلها تتعلق بعلوم القرآن، ومصطلح الحديث، والتوحيد، والمنطق، والوعظ، والتصوف، ولقد أشعري الأخ الصديق محافظ الخزانة العامة بالرباط، أن الخزانة بصدد طبع جزء آخر، يشتمل على نحو تسعمائة وستين مخطوطاً تتعلق بعلوم النحو، واللغة، والبلاغة، والأدب، والرحلات، والسياسة، والجغرافية، والطب، والكيمياء، والرياضيات، وعلم الفلك، والتنجيم، وعلوم الأسماء.

وليس هذان الجزءان هما كل ما في الخزانة العامة بالرباط، وإنما هي تشتمل على آلاف المخطوطات المختلفة، لازالت لم تطبع لها الفهارس، وإنما توجد فهارس بعضها داخل الخزانة المذكورة. كما أن بعض الفهارس، كانت قد طبعت باللغة الفرنسية، ولم أستطع الحصول على نسخ منها الآن.

هذا ولقد سبق لجمعية شباب النهضة الإسلامية التي أتشرف برئاستها، أن نظمت معرضاً للكتاب المالكي ومواضيع: الفقه، والحديث، والأصول، والتراجم، نوجه لكم كذلك فهرساً بالمخطوطات التي عرضت فيه.

وإضافة إلى ذلك، فإنه يوجد بالخزانة العامة بالرباط، نحو ألف مخطوط من مكتبة وقفية في الصحراء. كما يوجد قسم للأشرطة المصورة في ميكروفيلم.

أما الخزائن الأخرى المتفرقة في أنحاء المغرب فمنها :

مخطوطات المكتبة العامة بتطوان.

مخطوطات مكتبة جامعة القرويين بفاس.

مخطوطات كلية ابن يوسف بمراكش.

مخطوطات الجامع الكبير بمكناس.

مخطوطات مكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت (جنوب المغرب).

مخطوطات المكتبة الحمزاوية.

مخطوطات المسجد الأعظم بسلا والمسجد الأعظم بمدينة (تازة).

مخطوطات المكتبة الصبيحية بسلا (مكتبة خاصة)، مخطوطات مكتبة ماء العينين، بالصحراء المحررة، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة الكثيرة، والتي لا يمكن إعطاء فكرة صحيحة عنها، ولقد أشرت لبعضها في خطابي السابق إلى فضيلتكم. وختاماً إنني أعتنم هذه الفرصة لأوجه شكري الخالص للأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، على الجهود الذي تبذله لحفظ ثراتنا، والتعريف به، سائلاً الباري تعالى أن يوفقنا وإياكم لصالح الأعمال والسلام عليكم ورحمة الله.

4 ذي القعدة الحرام 1396هـ

الخميس :

28 أكتوبر 1976م

## خطاب مفتوح إلى المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في إسلام آباد

أصحاب المعالي الوزراء :

تتعقد دورتكم الاستثنائية، بمناسبة الغزو الغاشم الذي تعرضت له الشقيقة المسلمة («أفغانستان») من طرف الجيوش السوفييتية.

إننا نعتقد أننا نعبر عن ضمير كل مسلم غيور على أرض الإسلام، وعقيدة وقيم المسلمين، إذا ما أكدنا استنكارنا لهذا التعدي الظالم على شعب مسلم، طالما عبر عن رفضه لكل تدخل في شؤونه، ورغبته في مسالمة وصدقة جميع الدول المجاورة له أو البعيدة عنه.

إن التنافس الحاد والقوي بين كل من الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وعملهما على بسط نفوذهما على المراكز الأساسية والاستراتيجية في آسيا، لا يصوغ لأية دولة منهما، أن تعتدي على دولة إسلامية أو عربية، بدعوى الدفاع عنها، أو ضد نفوذ دولة أجنبية أخرى. إننا نلاحظ منذ سنوات عديدة، تسابق هاتين الدولتين على ما يعتبرانه مناطق النفوذ، ففي الوقت الذي نرى فيه الاتحاد السوفييتي يعمل جاهدا على تركيز نفوذه في اليمن الجنوبية، والحبشة، وأفغانستان، وغيرها، نرى الولايات المتحدة الأمريكية، تحشد قواتها وأساطيلها في الخليج، عاملة على تأسيس قواعد هنا وهناك، منذرة بالويل والثبور ومصائر الأمور، باكية ومشفقة على الإسلام، ومصير بلاد المسلمين.

إننا ندرك كل الإدراك أن هذه أو تلك، لا تريد إلا مصلحتها أولاً وأخيراً. لقد عانينا الكثير، بسبب غفلتنا عن إدراك هذه الحقيقة في الماضي، ونحن مقتنعون الآن، بأن الشعارات التي تطلقها كل من الدولتين الكبيرتين، إن هي إلا تمويهات وأباطيل، تُمنّيان بها الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها. إنه آن الأوان ليدرك قادة الشعوب الإسلامية ومسؤولوها، أن هذا الصراع الجاري الآن، ليس إلا صراعاً على البترول العربي والإسلامي، وعلى كسب المواقع الاستراتيجية في الخريطة الدولية، وأن الشعوب الإسلامية لا تجني منه إلا الخراب.

إن مسؤولية الحكومات الإسلامية مسؤولية ضخمة وخطيرة، وخصوصاً ونحن نلمح في الجو روحاً استعمارية جديدة، تحاول أن تعيد الكرة على الشعوب الإسلامية مرة أخرى. لقد كافحت الشعوب الإسلامية العشرات من السنين للخروج من قبضة وسيطرة الاستعمار الأجنبي، وهما ترى نفسها مهددة من طرف الدول الكبرى، للوقوع مرة أخرى في قبضة هذه أو تلك من الدول المذكورة.

إننا غير غافلين مطلقاً عن الدور الخطير الذي قامت وتقوم به الولايات المتحدة الأمريكية، في تركيز وتثبيت الوجود الإسرائيلي في جسم البلاد العربية، قصد الاعتماد عليها في تثبيت قوى الأمة العربية، والقضاء على شعب فلسطين، لضمان وجودها في المنطقة. كما أننا واعون كل الوعي الدوافع الحقيقية التي دفعت الاتحاد السوفيتي إلى الانقضاض على الشعب الأفغاني المسلم، رغم ما في ذلك من اعتداء على حرية شعب مسلم، ورغم ما في ذلك من انتهاك لمواثيق الأمم المتحدة، وكل الأعراف الدولية.

إننا لا نستطيع أن نقبل التبريرات السخيفة التي برر بها الاتحاد السوفيتي، اعتداءاته على شعب أفغانستان، كما لم نبرر في يوم من الأيام، التبريرات المغرضة التي تبرر بها الولايات المتحدة الأمريكية مساندتها المطلقة، وغير المشروطة لدولة العدوان «إسرائيل».

ومن دون أن نحتاج إلى أن نأتي بالأدلة على ما نقول، نود أن نغتنم اجتماعكم الاستثنائي، لنطلب منكم وأنتم تمثلون ربع سكان المعمور، أن تدارسوا قضية الاعتداء على الشعب الأفغاني داخل نطاق الاخطار التي يتعرض لها العالم الإسلامي جميعه، سواء في آسيا حالا، أو في غيرها مستقبلا.

إن العالم الإسلامي وهو مقبل على صحوة إسلامية مباركة، يهدف من ورائها إلى لم شتاته، واسترجاع هويته، والدفاع عن ذاتيته، والاستفادة من إمكانياته وطاقاته، لا يريد إلا أن يعيش في سلام واطمئنان، وتعاون مع جميع شعوب الدنيا، غير مسيء إلى أية واحدة منها.

وإن الصراعات الظاهرة والخفية بين الدولتين الكبيرتين، يجب أن يبقى بعيدا عنها، غير منغمس في أخطارها ومشاكلها.

لطالما عبر قادة الأمة الإسلامية الأحرار عن تمسكهم بخطة عدم التبعية لأي من المعسكرين الشرقي والغربي، ولطالما أكدوا أنه لا هم لهم إلا أن يتجهوا بالبلدانهم، ليعملوا على ترقيتها والدفع بها في ميدان النمو، وخروجها من التخلف، وبقائها بمعزل عن التطاحنات والصراعات التي لا تأتيها إلا بالدمار والخسران.

إن الاعتداء على «أفغانستان» يجب أن يدفع المسؤولين في الدول الإسلامية، إلى إعطاء فكرة التضامن الإسلامي معناها الحقيقي، بالوقوف صفا واحدا ضد هذا الغزو، ومطالبة الاتحاد السوفييتي بإخراج جيوشه الاحتلالية من أراضي البلاد الأفغانية الشقيقة في أسرع وقت. وفي حالة الامتناع فإن الدول والحكومات الإسلامية، مطالبة بأن تتخذ الوسائل الفعالة لا الكلامية، للضغط عليه، حتى يسحب جيوشه، ويترك شعب «أفغانستان» يقرر مصيره كيف يشاء.

وفي الوقت نفسه يجب أن يتدارس جمعكم، قضية الوجود الاسرائيلي في أرض فلسطين، واحتلال القدس الشريف من طرف الصهاينة، وعدم استجابتهم للمقررات التي اتخذتها هيئة الأمم المتحدة، وكل المنظمات



العالمية، من وجوب الانسحاب من الأراضي الفلسطينية، والاعتراف بالحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني.

إن هذه الدورة الاستثنائية لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، يجب أن تكون دورة تاريخية، تعبر فيها الدول الإسلامية عن إرادتها الحرة المطلقة، عن كل التزام غير الالتزام لفكرة التضامن الإسلامي، وتشعر الدول المعنية وكل دول العالم، أن هذا التضامن الإسلامي فكرة عملية حقيقية، تهدف إلى إحقاق الحق، والدفاع عن المظلوم، وعدم الاستجابة لمطامع الطامعين، وعدم الخضوع لإرادة الغاصبين.

إن الشعوب الإسلامية لا ترضى مطلقاً أن تبقى ذليلاً لأي من المعسكرين المتصارعين، ولا تقبل أن يصبح السلام العالمي مهدداً بسبب مطامعهما ومصالحهما، وأن أي قرار للمنظمة، يجب أن يكون مستجيباً لمطامح الشعوب الإسلامية. وأن هذه الشعوب الإسلامية، ستكون متضامنة أشد ما يكون التضامن مع دولها، وحكوماتها، إذا ما سارت في تحقيق التضامن الإسلامي الفعال، المبني على إحقاق الحق، وكف الظلم، وردع المعتدين المحتلين.

لقد مجت الشعوب الإسلامية السياسات المتحذلقة غير الواضحة، وصارت تتطلع من حكوماتها إلى سياسات قارة غير منحازة، تضمن الخير للجميع، وتعيد الاعتبار إلى الأمة الإسلامية المتحفزة للنهوض.

يجب أن يخرج مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بقرارات تكون في مستوى الأحداث، حتى يشعر الشعب الأفغاني الشقيق والمغلوب على أمره، والشعب الفلسطيني المشرّد من أرضه ووطنه، أن هناك إخوة لهما، قرروا اتخاذ كل ما يلزم لتحرير أرضهما، والدفاع عن حريتهما، واسترجاع كرامتهما.

إن القول الفصل بين أيدي ممثلي الشعوب الإسلامية، فهل هم فاعلون ما تنتظره منهم شعوبهم؟ وهل سيعطون لفكرة التضامن الإسلامي معناها

الحقيقي؟ إنه باستطاعتكم أن تجعلوا من منظماتكم : منظمة المؤتمر الإسلامي،  
قوة فعالة، تلعب دورها لا لصالح الأمم والشعوب الإسلامية فحسب، ولكن  
لصالح السلم، والعدل، والكرامة لكل شعوب العالم.

أصحاب السعادة :

إنكم بعملكم لصالح الشعوب الإسلامية عامة، وصالح الشعب  
الأفغاني خاصة، تكونون قد حققتم ما دعا إليه رسولنا الأمين عليه السلام  
الذي قال في الحديث الصحيح : «مثل المومنين في توادهم وتراحمهم  
وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر  
الجسد بالسهر والحمى»، والحديث الآخر : «المؤمن للمؤمن كالبنيان،  
يشد بعضه بعضاً».

إننا من هذا البلد المسلم ندعو لكم بالتوفيق والسلام.

رئيس جمعية  
شباب النهضة الإسلامية  
(المغرب)

1980

## دراسات إسلامية :

- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري.
- حق الشعوب في تقرير مصيرها.
- الإسلام وضرورة تجديد العالم للسلام.
- مسؤولية المسلمين في تحرير القدس الشريف.
- أعمدة الهوية المغربية.
- تجديد الفكر الديني السلفي.



## المذهبية الإسلامية، والتغيير الحضاري<sup>(1)</sup>

أيها الزملاء الكرام.

اخترت أن نفتح بهذا الحديث، حواراً حول موضوع أثاره كتاب صدر مؤخراً بهذا العنوان (المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري)، وهو موضوع جدير بعنايتكم ومناقشاتكم، نظراً لما يكتنفه من آراء متعددة، وأنظار مختلفة، وأعني به موضوع : تشابك الاصطلاحات التي تنتمي إلى حضارات متعددة، وجذور وأسس متباينة، ينشأ عنها طبعاً تباين وتضاد في المفاهيم، واختلاف واضح في تقييم الأشياء.

لقد غزتنا الحضارة الغربية بمفاهيمها، وتقاليدها، ومصطلحاتها، وأصبحنا ننظر إليها طائعين أو مكرهين بمنظار الإعجاب والتقدير، وصار بعض مفكرينا في العالمين العربي والإسلامي يحذون حذوها، ويسرون على منهجها في طرائق التفكير، ومجارات التطور، غير عابئين ولا ملتفتين لما في هذه المجارة من تناقض مع أصولهم الحضارية، وما يصحبها من تشكك فيما بين أيديهم من تراث، وما يؤمنون به من قيم.

إن روح كل من الحضارتين : الغربية والإسلامية مختلفة، وأصولهما متباينة، فالحضارة الغربية تحمل في طياتها كثيراً من الرواسب الاغريقية والرومانية، والمسيحية، والحضارة الإسلامية منبثقة أصلاً من الرسالة الإسلامية، فهي كما يقول أحد المفكرين «آخر محاولة حضارية قامت باسم

---

(1) حديث ألقى بأكاديمية المملكة المغربية.

الله، ونادت بأن منطلق الإنسان منه، ومعاده إليه، واستهدفت التحرر الروحي الذي تطلعت إليه الروح السامية، واستشرفت الروح الإنسانية».

لقد أصبحت الحضارة الغربية العقلانية، وطابعها العلمي، تواجه الحضارة الإسلامية الإلهية وطابعها الديني، مواجهة خطيرة، وتغزوها في عقر دارها، فحدث صراع بين الأفكار والقيم التي يحرص عليها الإسلام، والأفكار والقيم التي أتت بها الحضارة الغربية، ولقد أدى الأمر ببعض المفكرين، إلى اعتناق مفاهيم الحضارة الغربية، وتقليدها تقليدا أعمى، والاحتذاء حذوها دون أي اعتبار للمفاهيم الإسلامية الأصيلة، وهكذا أصبح المهتمون بقضايا الفكر الإسلامي، يتخوفون ويشفقون على مستقبل هذا الفكر. فهذا المفكر الإسلامي أبو الحسن الندوي يكتب قائلا: «إن ضعف الأقطار الإسلامية الداخلي، ونفوذ الحضارة الغربية واحتلالها، واستيلاء الأفكار الغربية المادي والسياسي، يرسم في الأفق علامة استفهام واضحة ضخمة، أمام الأقطار الإسلامية كلها؛ أي منهج تسير عليه الأقطار الإسلامية، لتوفيق مجتمعتها بالحياة العصرية، وتحقيق مطالب العصر الحديث؟ ان اتباع أساليب الحضارة الغربية في الحياة الاجتماعية، والإيمان بمبادئ حياتها، ومنهج اجتماعها، يحمل نتائج بعيدة المدى، إن أروبا مصابة اليوم بانحلال خلقي، وإننا نرى معالم هذا الانحلال واضحة حتى في البلاد الإسلامية التي تحمست في تقليد الحضارة الأوروبية».

إن التحدي الذي تواجه به الحضارة الغربية، الحضارة الإسلامية، خلق في نفس المسلم الواعي، ازدواجية متصارعة، وتفاعلات متناقضة، نجم عنها توتر في شخصيته الإسلامية، فهو يريد أن يعيش نسق حياة عصرية متفتحة، في الوقت الذي يريد أن يبقى محافظا على نسق تفكيره الديني الموروث عن حضارته الإسلامية. إنه يعيش هذا الصراع، ويريد أن يهتدى إلى حل يعيد الطمأنينة إلى نفسه، فلا يعيش عيشة متناقضة متضاربة.

ولكنه يجد نفسه مغلوبا على أمره أمام هذه التغييرات الأساسية التي دخلت في بنية المجتمع الإسلامي، حتى أصبح بعيدا كل البعد عن بنيته

الحضارية الأولى، والتي لا يجد فكاً منها وإصلاحاً لها، وبجانب هذا يوجد جيل جديد يختلف كل الاختلاف عن الأجيال السابقة، من حيث النظر إلى المفاهيم واعتبارها. حيث إنه يتطلع إلى تغيير أوضاع مجتمعه، ويريد أن يثب إلى الأمام، ليلحق بالركب الحضاري، سواء بالإسلام أو بدونه، إنه يريد التقدم والخروج من التخلف وكفى.

أيها الإخوة :

إن اتصالنا بالحضارة الغربية واحتكاكنا بنظمها وقوانينها جعلنا نسير في حياتنا وتنظيماتنا في تقليد وتبعية لها، دون بحث أو إدراك عميق لجذورها وما ترمز إليه، وهنا تأتي قضية المصطلحات الفكرية والسياسية والاجتماعية، التي دخلت في تعاملنا داخل المجتمعات الإسلامية، مثل لفظة الديمقراطية والاشتراكية، واليمين، واليسار، والتقدمية، والرجعية، وهلم جرا.

لقد عالج الكتاب الذي أشرنا إليه في مطلع هذا الحديث والذي صدر مؤخراً للدكتور محسن عبد الحميد موضوع المصطلحات أو فوضى المصطلحات فقال :

«من المشاكل الفكرية الخطيرة التي نعاني منها في مرحلتنا الحاضرة، تشابك الاصطلاحات التي تنتمي إلى حضارات متضادة في كل شيء، والتي لم تستطع إلى الآن أن تضعنا على طريق الفهم الحضاري المشترك، والاتفاق ولو على أصول مذهبية واحدة، وبذلك فقدنا الانسجام الفكري، والأرضية المشتركة، للتفاهم في مجتمع مشتت الفكر، لم تتوضح أمامه الرؤية المذهبية بعد. فمن أهل الفكر من يدعو إلى استعارة المصطلحات الحضارة الأجنبية دون تردد، لأنها أصبحت لغة عالمية، فهم لا يرون مانعاً من استعمال كلمات اليمين، واليسار، والديموقراطية، والاشتراكية، وما إلى ذلك، على أساس أننا لا بد أن نعيش - في زعمهم - عصرنا، ونفهم مصطلحاته، ونستعملها حتى يفهمنا الناس، ويتوحد فكرنا على أساسه، وتظهر آثار التقدم والتطور في حياتنا، وننحرر من المصطلحات التراثية التي أكل عليها الدهر وشرب».

وهو يرفض هذا الرأي، مؤكداً أن تلك المصطلحات لها مدلولات خاصة بها، ووضعت في ظروف تاريخية مرتبطة بأحداث وقعت في البلدان التي وضعت فيها، فلا يمكن ولا يقبل أن تطبق في بلاد إسلامية بعيدة كل البعد عن تلك الظروف، وبالأحرى لا تعبر التعبير الصحيح عما نهدف نحن إليه، ثم يرد على الذين يقولون: أن طبيعة الحوار في عصرنا، تقتضي استعمال تلك المصطلحات، لأنها تشكل جسور التفاهم بيننا وبين أصحابها، فيقول: لقد ثبت لنا أن كل علم، أو فن، أو دين، له مصطلحاته الخاصة به، فنحن نستطيع عن طريق الإيضاح والتفسير، أن نفهم مقاصدنا للناس، فلا بد أن نقدم لهم الحقيقة كاملة حسب تصورنا نحن، لا حسب تصور غيرنا.

ولكن مفكراً إسلامياً كبيراً آخر هو المرحوم الدكتور مصطفى السباعي لا يرى مانعاً في الأخذ ببعض المصطلحات الغربية، إذا ما دعت مصلحة إلى ذلك ففي كتابه عن «اشتراكية الإسلام» قال:

«لقد سَمَّيْتُ القوانين والأحكام التي جاءت في الإسلام، لتنظيم التملك وتحقيق التكافل الاجتماعي «باشتراكية الإسلام» وأنا أعلم أن بعض الغيورين على الإسلام، يكرهون هذه التسمية، لأن الاشتراكية في رأيهم هي «موضة»، هذا العصر، فلا يصح أن نبادر إلى القول بالاشتراكية الإسلامية، تمشياً مع هذه الموضة، ولأنه قد يأتي زمان، تبطل فيه هذه الموضة، ويسود القول بمذهب اقتصادي آخر، فنضطر حينئذ إلى العدول عن القول باشتراكية الإسلام، فالإسلام نظام مستقل قائم بذاته، وقد سماه الله إسلاماً، فلا يجوز لنا أن نسميه باسم جديد.

«لقد اخترت القول باشتراكية الإسلام، مع العلم بكل ما يقوله هؤلاء، لأني لا أعتقد أن الاشتراكية «موضة» ستزول، بل هي نزعة إنسانية تتجلى في تعاليم الأنبياء، ومحاولات المصلحين. منذ أقدم العصور، وتسعى شعوب العالم الحاضر، وخاصة الشعوب المتخلفة، إلى تحقيقها لتخلص من فواجع الظلم الاجتماعي، والتعاون الطبقي الفاحش المزري بكرامة الإنسان» (انتهى).



وهكذا نلاحظ أن وجهة نظر المفكرين المسلمين غير متفقة فيما يتعلق بالأخذ بالمصطلحات الغربية أو عدم الأخذ بها، ولكننا نرى أنه لا يجوز أن ينغمر العالم الإسلامي في العالم الغربي، ويحذو حذوه، ويتبع أساليبه في الحياة والتعبير، ومنها قضية المصطلحات، بل لابد من التمييز بين الصالح والطالح، والضار والنافع، حتى لا تنتقل إلينا عدوى الأفكار والنظريات الغربية، إلى عالمنا الإسلامي، دون فحص لها، وبحث حقيقي لحقائقها، هل هي موافقة لمفاهيمنا الإسلامية عن الكون، والإنسان، والحياة، أم هي مصادمة لها.

### أيها الإخوة :

لقد قلت أن للفكر الإسلامي، جذوره وأصوله ومنافعه، وأن الدعامة الأولى التي يقوم عليها هذا الفكر، أن منبعه من الوحي الإلهي، فكل فكر يصادم ويطارد الوحي الإلهي، يعتبر فكراً منحرفاً عن الإسلام، وبالأحرى فهو فكر غير إسلامي، وكل تصور للكون، والإنسان، والحياة، يختلف عما أتى به الوحي، لا يعتبر تصوراً إسلامياً أبداً، فنقطة الانطلاق بالنسبة للفكر الإسلامي، هي الإيمان بالوحي، والانقياد للوحي، ثم يأتي استعمال العقل والاستفادة من العلم.

وإذا كان الفكر الإسلامي منبعه الوحي الإلهي، فهل صحيح أن الذين يعبرون في كتاباتهم عن الإسلام بالفكر الإسلامي، والتصور الإسلامي، يقعون في خطأ كما يقول الدكتور محسن عبد الحميد؟ لقد قال الدكتور محسن: إنه لا يمكن أن يكون الوحي الإلهي، مظهر للفكر الإنساني، ولذلك فإن استعمال الفكر الإسلامي، أو الفكرة الإسلامية بمعنى الإسلام خطأ كبير.

وما يقال عن الفكر الإسلامي يقال عن مصطلح التصور الإسلامي، لأن التصور عملية فكرية محضة، تحتمل الصدق والكذب، فلا ينطبق على الوحي، كما يرى الدكتور محسن، ويظهر لنا أن هذا الاطلاق غير صحيح، لأن الذين يعبرون بالفكر الإسلامي، أو التصور الإسلامي عن الإسلام، لا يقولون أن الوحي الإلهي مظهر للفكر الإنساني، ولكنهم يؤكدون أن كل

فكر إسلامي صحيح، لا بد أن ينبع أساساً من الوحي الإلهي، فهذا الأستاذ محمد الحمداوي في كتابه «في نطاق التفكير الإسلامي» يقول :

«إن الدعامة الأولى التي يقوم عليها هذا الفكر في أصوله وفروعه، هي أنه من الوحي نبع، وإلى الوحي يرجع، وكل تصور للفكر الإسلامي، سواء فيما غبر منه وما حضر، على غير هذا الأساس، فإنما هو انحراف به عن أصله، وخروج عن حقيقته، وإن كل ما شبه للناس من مذاهب، ونظريات وتعاليم، وثقافات، على أنه من الفكر الإسلامي، فإنما هو «الدخيل» وقد تصدى مفكرو الإسلام في مختلف عصورهم، لتمييز الأصل من الدخيل، وأظهروا بوضوح الحجة، وصحيح الدليل، على أن الدخيل ليس في شيء من الأصيل».

#### خلاصة :

إن الموضوع من الدقة والأهمية. بمكان، ذلك أن المصطلح، من حيث هو، ينطوي على دلالات، وخلفية، ومعان، وأبعاد تعكس واقع البيئة التي وجد فيها، والمناخ الفكري، والثقافي، والحضاري، الذي نشأ فيه، ولذلك يتعين علينا أن نطرح هذا السؤال :

– هل نأخذ بالمصطلح كما هو بكل هذه المعطيات والظلال، أم نخضعه لنمطنا الفكري، وقالبنا الثقافي ونصبغه بصبغة حياتنا في منطلقاتها الدينية والحضارية ؟

– هل نأخذ بالمصطلح، هكذا جملة وتفصيلاً دون ترو، ودون إدراك لما ينطوي عليه، أم يا ترى نضفي عليه من روحنا الإسلامية، وطابعنا الوطني، وجونا الفكري، ما نجعله به أداة طيعة نستعين بها في تواصلنا وتفاهمنا وتعايشنا ونهضتنا الشاملة ؟

الرأي مطروح للمناقشة والفكرة قابلة للحوار.

## حق الشعوب في تقرير مصيرها<sup>(\*)</sup>

موضوع حق الشعوب في تقرير مصيرها، ينطلق من مبدأ أساسي في الإسلام، هو تحرير الإنسان وتكريمه، وتوفير جميع أسباب السعادة له، ليعيش شريفاً، مكرماً، سعيداً في هذه الحياة، وذلك مصداقاً للآية الكريمة الواردة في سورة الإسراء والتي تقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

ومن تكريم الله للإنسان: أن يجعله خليفة له في هذه الأرض، يعمرها بالصالحات، وينشر فيها العدل، والحق، والخير، والأمن، والسلام، ليعيش بنو الإنسان في بحبوحة السعادة والهناء، متعاونين متضامنين على البر والتقوى، مجتنبين الإثم والعدوان، والظلم والفساد ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾<sup>(1)</sup> ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلَالَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>.

ولتكريم الإنسان وتحريره من كل ظلم وارهاق وتعاسة، بعث الله رسلاً مبشرين ومنذرين، جاء في طليعتهم وخاتمهم رسولنا محمد ﷺ الذي بعثه الله

(\*) حديث أُلقي في نطاق ندوة عقدتها أكاديمية المملكة المغربية.

(1) سورة البقرة.

(2) سورة الانعام.

للناس كافة ورحمة للعالمين مصداقا لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً  
لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وأنزل معه  
كتابا فيه تبيان لكل شيء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى  
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

فالرسول رحمة للعالمين، والرحمة لا تتحقق إلا بنشر ألوية العدل  
والمساواة بين الناس، والمساواة لا تتحقق إلا إذا كان يشعر كل إنسان بأنه  
متمتع بحريته الكاملة، سواء فيما يعتقدده، ويؤمن به، ويفكر فيه، أو فيما ياتيه  
من أعمال، وما يتصرف فيه من شؤونه الشخصية والمالية، أو فيما يريده  
لتسيير شؤون دولته وتوجيهها، طبق ما يراه من مصلحتها.

فالحرية مبدأ أساسي من مبادئ الإسلام، فإذا جاء في المادة الأولى من  
الاعلان العالمي لحقوق الإنسان<sup>(4)</sup> (بأن الناس يولدون أحرارا متساوين في  
الكرامة، وفي الحقوق، وهم ذوو عقل وضمير، ويجب أن يعامل بعضهم  
بعضا بروح الإخاء) فإن الإسلام أقر ذلك منذ أربعة عشر قرنا.

إن هذا المبدأ الذي أقره المنتظم الدولي منذ سنة 1948، أعطى سلاحا  
قويا للشعوب والفئات المغلوبة على أمرها، المحرومة بصفة أو أخرى من  
التعبير عن رأيها، والدفاع عن كرامتها، وتمتعها بكل أنواع حرياتها، وتقرير  
مصيرها بنفسها، دون ضغط أو إكراهٍ عليها، لقد جاءت موثيق الأمم المتحدة  
لتؤكد على مبدأ المساواة في الحقوق بين الشعوب، وتقرر لمختلف الشعوب  
حقها في تقرير مصيرها (الفقرة 2 من المادة 1) وكذلك (المادة 55) ثم جاءت  
البروتوكولات الخاصة بحقوق الإنسان لتؤكد على أهمية هذا المبدأ<sup>(5)</sup>.

لقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا في 14 دجنبر 1960 تحت  
رقم 1514 (X V) يعتبر كما يقول الدكتور عبد القادر القادري «نقطة التحول

(3) سورة النحل.

(4) الاعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ديسمبر 1948 عن الجمعية العامة للأمم المتحدة.

(5) القانون العام الدولي للدكتور عبد القادر القادري.

الجاد، في تاريخ مبدأ تقرير المصير (فمن منظوره أضحي إخضاع الشعوب بسيطرة أجنبية، مخالفة لميثاق المنظمة، ولهذا يوصي القرار بنقل السلطة السياسية في كافة الأقاليم التابعة إلى الشعوب، طبقاً لإرادتها، كما يؤكد أن ظروف الإقليم، ومساحته أو وضعه الجغرافي، أو موارده المحدودة، يجب أن تكون ذريعة لتأخير تنفيذ الإعلان الخاص بتصفية الاستعمار، وكذلك الأمر بالنسبة لعدم اكتمال النضج السياسي، وعدم توفر الأسباب المادية).

وطبقاً لهذا القرار الصادر عن المنتظم الدولي، والقرار الآخر الصادر عن لجنة تصفية الاستعمار عام 1966 تحت رقم (VI x 2189) المندد ببقاء الاستعمار، والمعتبر بقاءه تهديداً للسلم والأمن الدوليين، فإن بقاء أجزاء من ترابنا المغربي، كسبتة، ومليلية، وتيندوف، والجزر الجعفرية، تحت نفوذ دول أجنبية، يعتبر تحدياً للضمير الدولي، وللحقوق الإنسانية، وظلماً واعتداءً على كرامة الشعب المغربي، وبالتالي يعتبر بقاء الوجود الأجنبي بتلك الأطراف من بلادنا، جريمة دولية، يجب أن تتظافر جميع الجهود لإزالتها، بإعادة الأطراف المحتلة من بلادنا إلى وطنها الواحد.

ولقد أكدت لجنة القانون الدولي، في مشروع المعاهدة المتعلقة بالمسؤولية الدولية، أن الإبقاء بالقوة على الوجود الاستعماري، يعتبر جريمة دولية، وهو مؤثر يدل على قانونية مبدأ تقرير المصير، وعلى صفته الالزامية<sup>(6)</sup>.

ان اعترافاً بظروف خاصة، لا يعتبر مشروعاً حقاً في الاستيلاء على أراضي الغير، وفصلها عن وطنها الوالد، ومهما كانت الأسباب والدوافع، فإن تمزيق الوحدة الترابية لبلد من البلدان، يعتبر جريمة لا تغتفر، وذنباً لا يكفر، إلا بإرجاع الأرض المغصوبة لأربابها، وتحقيق الوحدة الترابية المنشودة، إن فكرة الانفصال، تتعارض مع مبدأ صيانة الوحدة الترابية للدول، وهو مبدأ لا يشك أحد في قانونيته وأسبقيته، (وإن المساواة بين

---

(6) المرجع نفسه.

الشعوب، وحقها في تقرير مصيرها، لا يمكن أن يستتبط منه، ما يفيد بأنه يسمح أو يشجع عملاً كيفما كان نوعه، يهدف إلى تجزئة إقليم دولة مستقلة ذات سيادة، أو تفكيك وحدتها الترابية<sup>(7)</sup>.

والقاعدة العامة في القانون الدولي المعاصر، لا تعترف بحق الشعوب في الانفصال، لتعارضه مع الوحدة الترابية، ومن هنا، فإن ما تقوم به بعض الدول المجاورة من محاولة لتفكيك الوحدة الترابية المغربية، بخلق كيان مصطنع، ودولة وهمية في الصحراء، إن هو إلا ضرب من الاعتداء على المغرب، وإضرار بحسن الجوار، ومس خطير بالقوانين الدولية.

لقد حاولت دول استعمارية فصل أقاليم ترابية عن أوطانها، وخلق كيانات مستقلة عنها، ولكن الأمم المتحدة بمواقفها الصلبة الثابتة، استناداً إلى قوانين دولية، حالت بينها وبين ما كانت تطمح إليه، ولقد صرح الأمين العام للأمم المتحدة عندما كان يتحدث عن قضية انفصال (بيافرا)، أن الأمم المتحدة لم تقبل، ولن تقبل مبدأ انفصال جزء من إقليم دولته.

إن صيانة الوحدة الترابية حق مقدس، يجب أن تتكاثف عليه جهود لا من يعينهم الأمر فحسب، ولكن كل من ينشد الأمن والسلام، ويعمل على حرية بني الإنسان.

\*\*\*

إن مبدأ تقرير المصير الذي أقرته كل الدول المنخرطة في هيئة الأمم المتحدة، ومنها الدول الإسلامية والعربية، يفرض على تلك الدول أن تستجيب لمتطلبات شعوبها، فيما يتعلق بتربية أبنائها وتثقيفهم، وفيما يتعلق بتوجيه شعوبها التوجيه الذي ترتضيه، والذي يتلاءم والتلائم العام، ويستجيب الاستجابة الحقيقية لعقيدها ومبادئها واحترام مقدساتها، إن التوجيه التربوي للشعوب، حق من حقوق تلك الشعوب، فلا يصوغ أبداً

---

(7) المصدر نفسه.

التنكب عنه، ولا يجوز معاكسة الشعوب فيما تريده لتربية أبنائها، ولقد نصت الفقرة الثالثة من المادة (26) من الميثاق الدولي لحقوق الإنسان على (أن الآباء لهم الحق في المقام الأول، باختيار نوع التربية لأولادهم) وإذا كانت شعوبنا الإسلامية، ارتضت الإسلام لها ديناً، فإنها تطمح كل الطموح أن لا يربى أبنائها إلا على أساس العقيدة الإسلامية، والمفاهيم الإسلامية، ومعنى ذلك، أن الرواسب التي تركها الاستعمار في بلادنا الإسلامية، والمفاهيم التي زرعها في عقول وأفكار أبنائها، والتي لا تتفق مع الحقيقة الإسلامية، يجب أن تجث من أساسها، وتغرس مكانها مفاهيم إسلامية قرآنية، تنشده التقدم والعلم، والعرفان، ولا تتنكر لحقائق الدين، ومثله، وتعاليمه، ونظراته للإنسان، والكون، والحياة.

إن الإسلام دين العلم، والعقل، والحياة، ودين التفتح، والعدالة، والحرية، والمساواة، وإن الانحراف عن هذه التعاليم الإلهية يعتبر انحرافاً عن الإسلام، وإن خصائص الثقافة والتوجيه الإسلاميين، تهدف إلى تكوين شخصية الإنسان المسلم على أساس الشعور بكرامته، وإيمانه بالتعاليم التي نزلت على رسوله، والتي أتى بها القرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة، فالتربية والثقافة اللتان لا تخضعان للمبادئ الإسلامية المثلى، تعتبران مرفوضتين من المجتمع الذي يدين بالإسلام، والعلم بمختلف أنواعه، بما فيه علوم التكنولوجيا اللازمة لحياة الإنسان، ولعمارة الأرض، يجب أن لا يث بالطرق والأساليب التي تتنافى وحقائق الإسلام.

وإذا كان العلم فريضة عينية على كل مسلم ومسلمة، فإن واجب الفرد والجماعة، أن يرعيا هذه الفريضة، حتى تطبق طبق ما يريد الإسلام، وحتى لا تستعمل ذريعة لزعة العقيدة، وبذر بذور الإلحاد، وحتى لا تكون مجرد أداة نفعية فقط.

إن فريضة العلم، تتمتع في الإسلام بضمانات جزائية، وليست مجرد توصيات، أو أحكام أدبية لا ضامن لها. كما هو الأمر في مواثيق المنظمات الدولية».

إن بعض الأنظمة الديمقراطية، اختارت العلمانية في تعليم أبنائها، وأجبرت الآباء على أن يتلقى أبنائهم تعليمهم بعيدين عن كل توجيه روحي عقائدي، وإن بعض الأنظمة غير الديمقراطية، فرضت في مدارسها نوعاً من التربية والتوجيه، خاضعاً لادولوجيتها المادية، ولكن الشعوب الإسلامية ترغب أن يثقف أبنائها ثقافة تفتح أمامهم جميع الآفاق، على مختلف العلوم التكنولوجية النظرية، شريطة أن تبقى دائماً حريصة على تربية الروح وتكوينها، وتقريب الطالب المسلم من خالقه، وتهذيبه على أساس تعاليم دينه.

وهذا الذي تطمح إليه الشعوب الإسلامية في تربية وتنشئة أبنائها يتلاءم كل التلاؤم مع مواثيق الأمم المتحدة، فلقد جاء في الفقرة الأولى من المادة (13) من الاتفاقية الدولية في شأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أن (الدول المشتركة في هذه الاتفاقية، تعترف بحق كل إنسان في التربية، وتتفق على أن التربية يجب أن تهدف إلى التفتح الكامل لشخصية الإنسان، والشعور بكرامته، وإلى دعم احترام حقوق الإنسان وحرية الأساسية، كما تتفق أيضاً على أن التربية يجب أن تجعل كل إنسان أهلاً للقيام بدور نافع في مجتمع حر) وجاء في الفقرة (3) من المادة المذكورة (إن الحكومات المشتركة في هذه الاتفاقية، تتعهد بأن تحترم حرية الآباء والأوصياء الشرعيين في الاختيار لأولادهم مدارس غير المدارس الحكومية، وفي ضمان التربية الدينية، والأدبية، لأولادهم، وفقاً لعقائدهم الخاصة).

وبناء على كل ما ذكر، فإن ما تقوم به بعض الأنظمة في العالم الإسلامي، من توجيه للأبناء توجيهاً مخالفاً للتوجيه الإسلامي الحق، بدعوى تحرير الأفكار، والسير في طريق تقدمها، واعتناق مبادئ مادية، والتكوين على أساسها، يعتبر مساً خطيراً. مبدءاً تقرير مصير الشعوب، وإعطائها كامل الحق في تنشئة أبنائها، وتربيتهم طبقاً ما تريده لهم من تمسك بعقيدتهم والتزام بها وإن الشعوب الإسلامية كما قال الزعيم المرحوم علال الفاسي (تجأ إلى الله بالشكوى، كلما رأيت حكماً ينحرفون عن الدين، وينادون بدعوات جاهلية



قديمة أو حديثة، وكلها الزمت بأن تتحاكم إلى الطاغوت، وقد أمرت أن تكفر به، وثورتها الفكرية في هذا السبيل، تنمو وتزايد، كلما قيل لها إننا نعمل لتحريرك من ظلم الظالمين، وهيمنة المستعبدين، ثم ألقى بها إلى شكل آخر من أشكال الظلم والارهاق باسم الديموقراطية، والاشتراكية، أو باسم التحريرية، أو غيرهما من ضروب الحكم التي لا تختلف إلا في الاسم، ولا تتفق مع مفاهيم الإسلام، ومقاصد الأمة الإسلامية).

لقد كافحت الشعوب الإسلامية كفاحا مريرا من أجل اعتناقها من قبضة مستعمر أجنبي، ومن أجل تقرير مصيرها بنفسها، ولكن البعض من هذه الشعوب، وجدت نفسها في استعمار جديد خفي، متجلى في شعارات ومخططات، لا تمت إلى الحقيقة الإسلامية بصلة. لقد وجدت نفسها حبيسة في ثقافة أجنبية، ولغة أجنبية، وقوانين أجنبية، وعوائد أجنبية، إنها فكت ارتباطها السياسي بالمستعمر الأجنبي، ولكنها عمليا لازالت تعيش في رواسب ومخططات ذلك الأجنبي، ولو أتيح لها أن تقرر مصيرها بنفسها، ولو استجاب المسؤولون عنها لطموحاتها ومتطلباتها، لغيرت أوضاعها، وعاشت طبق ما تريده لنفسها من وحدة ثقافية إسلامية خالصة، ووحدة لغوية عربية سليمة، ولراجعت القوانين التي فرضت عليها أيام الاستعمار، واستبدلتها بقوانين مستمدة من أصول وتعاليم الإسلام، ولخضعت له في جميع قضاياها وتصرفاتها وعوائدها وتقاليدها لما يريده منها الإسلام.

إن بعض الأنظمة في العالمين: العربي والإسلامي لم يكفها أنها لم تأت عن طريق بيعة، أو استفتاء، وانها فرضت فرضا بحكمها الطائفي، وقوتها العسكرية على الشعوب التي تحكمها. لم يكفها ذلك فطفقت تهاجم بكل الطرق والوسائل التي بين يديها ثقافة البلاد الإسلامية، وتعمل على إبدالها بثقافات دخيلة، محاولة إغراء تلك الشعوب، بشعارات زائفة، لا تمت إلى الحقيقة الواقعية بصلة من الصلات، ولطالما عبرت تلك الشعوب عن رفضها لما أتت به تلك الأنظمة من شعارات وتوجيهات، ولطالما رفعت أصواتها مطالبة بالرجوع إلى حقيقتها الإسلامية، وتقرير مصيرها بنفسها، وطبق ما

تريده من توجيه لأبنائها، ولكنها لم تلق الآذان الصاغية، ولا القلوب الواعية، ولا المساندة الحقيقية من إخوانها الذين يعلمون حق العلم ما تقاسيه من محن وأهوال.

لقد كان تكوين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، بادرة طيبة فيما يتعلق بالتوجيه الثقافي والتربوي لدى مختلف الدول والشعوب الإسلامية، حيث جاء في البيان الصادر عن هذه المنظمة أن جعل الفكر الإسلامي، محور المناهج المدرسية في جميع المستويات، والعناية بتدريس الثقافة الإسلامية وتجميعها وتوثيقها وتحقيقها ونشرها من أوليات القضايا التي يجب الاهتمام بها. ولكن بعض الأنظمة الإسلامية، رغم انخراطها والتزامها بمقررات المنظمة، لازالت تسير في خط معاكس لتلك المقررات.

وهنا يجب التنبيه إلى أن إصرار الشعوب الإسلامية على الاحتفاظ بثقافتها ولغتها، لا يفهم منه أبداً عدم الاستفادة من الثقافات واللغات الأجنبية، بل العكس هو الصحيح، إن الإسلام الذي يوجب على بنيه اتباع تعاليمه، والتمكن من ثقافته ولغته، هو الذي يفرض أيضا الاستفادة من جميع الثقافات، وطلب العلم من كل اللغات، فالحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها أينما وجدها (واطلب العلم ولو بالصين).

#### الأقليات الإسلامية :

وفي موضوع تقرير المصير، يجب أن أشير إلى ضرورة إعطاء الأقليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية، حقها في توجيه أبنائها كما تريده لهم. لقد عرف الدكتور حامد سلطان، الدولة «بأنها مؤسسة سياسة، تتكون من جمع من الأفراد الذين يقطنون أرضها. ويخضعون لسلطانها، فيخاطبون بأحكام دستورها وقوانينها، وما تقرر لهم من حقوق وحرريات، وما تفرضه عليهم من تكاليف والتزامات».

ولسنا نريد أن نناقش التعريف الذي أعطاه الدكتور للدولة، ولكننا نريد فقط أن نلفت النظر إلى أنه قد يوجد ضمن الأفراد المنتمين لدولة من

الدول، جماعات تكتسي طبيعة خاصة من حيث معتقداتها الدينية والعقائدية، تتصادم كلاً أو جزءاً مع ما تدين به أغلبية السكان، فالانتماء الوطني للدولة يشمل الجميع، ولكن بعض الخصوصيات، تبقى دائماً مفارقة، فهل من المعقول أن تحرم الأقلية الموجودة ضمن الوطن الواحد من حقوقها التي تربطها بعقيدتها، وهل من المعقول أن تدمج ادماجاً كلياً في الأكثرية المخالفة لها في عقيدتها، ودينها، وهلاً كان من الضروري أن يراعى لها جانب عقيدتها، وما تؤمن به، ويضمن لها ذلك في نص الدستور.

إن بعض الدساتير، نصت في سوادها على ضرورة إعطاء الأقليات الإسلامية الحقوق التي تطلبها، ولكن البعض الآخر لم يتطرق إلى هذا الموضوع، فعاشت الأقليات الإسلامية في عداد بقية المواطنين شكلاً وقانوناً، وحرمت من حرية التمتع بحقوقها التي تطمح لها، كحرية تثقيف أبنائها وتربيتهم كما تشاء، وحرية تكوينهم على أساس ما يؤمن به وما يرغب فيه آبائهم وأولياؤهم، بل إن البعض من هذه الأقليات، أدمج أبناء الأقليات الإدماج الكلي، وابتلع الابتلاع النهائي، فنشأ الأبناء وكأنهم لا رابطة لهم تربطهم بدينهم، وماضيهم، ولا آصرة تجمعهم مع إخوانهم المسلمين في العالم «إن القانون الدولي الوضعي، لا يمنع دولة ما، من أن تضم في أحضانها مجموعة من الأمم، لتصبح بذلك متعددة القوميات، فمن منظور مبدأ القوميات، فإن سكان هذه الدولة غير متجانسين، بيد أنهم - من الناحية القانونية - يحملون جنسية واحدة، كما هو الحال مثلاً بالنسبة للاتحاد السوفييتي أو سويسري باعتبارها دولاً متعددة القوميات»<sup>(8)</sup>.

إن اعتناق أقلية من السكان، عقيدة تختلف عن عقيدة الأكثرية، يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في الحقوق والواجبات، ومن الحقوق أن لا تحرم تلك الأقلية من تقرير مصير أبنائها كما تشاء، طبقاً لما نصت عليه المواثيق الدولية التي نصت على أن «واجب الهيئة الدولية الجديدة» العمل عن تعزيز احترام حقوق

(8) القانون الدولي العام للدكتور عبد القادر القادري، ص 144.

الإنسان، والحريات الأساسية للناس جميعاً، بلا تمييز بسبب الجنس، أو اللغة، أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء» ومن احترام حقوق الإنسان السماح للآباء، والأولياء، بتربية أبنائهم كما يشاؤون وطبق العقيدة التي يعتقدون.

وقضية إعطاء الحقوق للأقليات، سبق بها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً. ففي المعاهدة النبوية التي صيغت في شكل كتاب وعهد مع الرسول محمد عليه السلام إلى يهود المدينة المنورة، والتي تعتبر بحق نموذجاً كاملاً لأروع المبادئ القانونية، وإعطاء الحقوق لجميع المتساكين على اختلاف عقائدهم وانتماءاتهم ورد ما يلي : ( لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم وأموالهم وأنفسهم، إلا من ظلم أو إثم، فإنه لا يرفع (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته) (إنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والإسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم) لقد تعهد الرسول في كتابه هذا باحترام عقيدة يهود، وعدم المساس بها، كما تعهد بنصرهم والدفاع عنهم وحمايتهم من كل ظلم كيفما كان نوعه.

ولا يخفى أن احترام العقائد، يفرض إعطاء الصلاحية لأصحابها بأن يمارسوها كما يشاؤون، وأن يربوا أبنائهم ويثقفوهم طبق ما يريدون، فلا اعتداء، ولا حرمان في الإسلام، ولا إكراه في الدين، ولا الزام باتباع عقيدة المسلمين، إذ الإسلام دين العدل والسلام، والتعاون على البر والإحسان.

من هذه المنطلقات والقوانين الدولية والإسلامية، نرى أنه من الواجب أن ينظر بعين الاعتبار للأقليات الإسلامية الموجودة في كثير من الأقطار، ويعطى لها حق تقرير مصيرها، ومصير أبنائها، فلا تبقى محرومة من توجيه ثقافتها، وتربية أبنائها كما تشاء وتريد.

فالأقلية الإسلامية في الفلبين، تكافح منذ زمن طويل، للحفاظ على ثقافتها وشخصيتها، ولكنها تحارب وتقاوم بكل وسائل الحرب والمقاومة والارهاق.

والمسلمون في كشمير، يطالبون بتطبيق القرارات الصادرة من المنتظم الدولي في حقهم، والذي أعطاهم حق تقرير مصيرهم السياسي والثقافي

بأنفسهم، حتى يستقلوا، أو ينضموا للهند، أو لباكستان، ولكنهم يقاومون بالبطش والإرهاب.

والمسلمون في الحبشة، محرومون من حقوقهم، ويعتبرون أقلية تعيش مضطهدة، ولا يمثلون في البرلمان إلا التمثيل الضئيل، ولا يعطون من المسؤوليات إلا أقل القليل، والمسلمون في الهند، يعانون من الاضطهاد الطائفي المتعصب، ولا يسمح لهم أحيانا حتى بأداء شعائرهم الدينية باطمئنان، رغم ما يبذله المسؤولون في الهند من جهود، لكبت الطائفية، والمسلمون في قبرس، يرفضون الاندماج، ويطالبون بالحفاظ على شخصيتهم الإسلامية، وبقاء قبرس جزيرة يسكنون فيها مع إخوانهم اليونانيين، دون إدماج، أو ضم لهذه الجهة، أو تلك، ورغم ما أعلنوه من استقلال، فإنهم في الواقع حريصون على وحدتهم الترابية، واستقلال جزيرتهم.

والمسلمون في كركستان، الذين فقدوا شخصيتهم الإسلامية بالقوة، يتطلعون إلى ذلك اليوم الذي يرد الاعتبار فيه إلى عقيدتهم وشخصيتهم الإسلامية.

أما المسلمون في ارتيريا وأفغانستان فهم حاملون السلاح في وجه القوة المهاجمة، يكافحون في سبيل وجودهم وتقرير مصيرهم بأنفسهم.

إن فكرة تقرير المصير التي أقرتها هيئة الأمم المتحدة فكرة نبيلة وشريفة، ولكن تحقيقها يتطلب عددا من الشروط، في طليعتها العمل على إصدار قرارات ملزمة، تضمنها الهيئة الدولية، وتحميها قوة حقيقية، كما يتطلب مراجعة القرارات المناقضة وإبطالها بالكلية، كقرار حق الرفض (الفيتو) المعطى للدول الكبرى، والذي بسببه تفقد قرارات المنتظم الدولي فعاليتها، ونبليها، وأهدافها.

إنه لا يصوغ أن تبقى القرارات الصادرة عن هيئة الأمم معرضة للتوقيف، بسبب تعرض دولة كبرى من الدول الخمس.

إن كل ما قررتة الإنسانية بعد الحروب الدولية الطاحنة، من تعلق  
بالسلام والأمن، والدفاع عن الحريات، والعدالة، والمساواة بين البشر،  
ستبقى حبرا على ورق، وصيحة في واد، إذا ما بقي حق الرفض بين أيدي  
حكام أو دول، لا يهتمها إلا تحقيق مصالحها، والدفاع عن أغراضها، وإن  
تعرضت الإنسانية كلها للدمار.

إن المجتمع الذي ننشده للإنسانية كلها، هو مجتمع العدل والسلام،  
والتعاون بين الأنام، والذي يرفض الاستعلاء في الأرض، وسيطرة القوى  
على الضعيف، وتسخير الفقير للغني، مثل ما يرفض التحاكم إلى القوة  
والطغيان، وحرمان الشعوب الضعيفة من حقها في الحياة وتقرير المصير.  
وصدق الله العظيم : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في  
الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾.

أبو بكر القادري

## الإسلام وضرورة تجنيد العالم للسلام<sup>(1)</sup>

لعلّ من نافلة القول، إنّ مسؤولية المسلمين في إقرار الأمن والسلام العالميين، من المسؤوليات الملزمة لهم، المرتبطة بهم، والموكولة إليهم، بحكم ما يحملونه من أمانة نشر الحق والعدل والمحبة والوثام بين البشر، ونظراً لخصوصياتهم كأمة داعية إلى السلام، دينها السلام، وشعارها السلام، ومن أسماء ربّها الحسنى السلام جلّ شأنه.

وأرى بادئ ذي بدء، أن لا بد من تعديل في تركيب عنوان المؤتمر، لما في هذا التعديل من وضع للأمر في سياقها الطبيعي، ليكون العنوان: (المسلمون وضرورة تجنيد العالم للسلام) بدل: (الإسلام وضرورة تجنيد العالم للسلام)، باعتبار أن القضية هنا تتعلق بمسؤولية بشرية، وبجهد إنساني يستوحي الإسلام، ويستمد منه، ويهتدى به. فليس الإسلام هو المسؤول عن السلام العالمي، ولكن المسلمين هم المعنيون بالمشاركة في الجهود العالمية من أجل تحقيق حالة من التوازن بين المجتمعات الدولية، تفضي إلى خلق المناخ الملائم للسلام في الأرض.

ومن هذا المنظور فإنّ المسلمين الذين يشكّلون سدس سكان العالم، ويعيشون على مساحة تقدر بربع مساحة اليابسة، ويكوّنون وحدة روحية وفكرية، وتصورات واحدة، ويمثلون كتلة بشرية ذات ثقل عالمي، ومجموعة سياسية لها وضعها الدولي المتميز، هم المرشحون للقيام بدور فاعل في السياسة الدولية، للإسهام في تغيير خريطة العالم، بما يدفع بالإرادات الخيرة، وبالضمان الحية، وبالعقول النيرة، في الإتجاه الذي يحقق طموحات البشرية

(1) انعقد (مؤتمر العالم الإسلامي) في كولومبو، عاصمة سريلانكا بتاريخ 26 مارس 1982 لدراسة موضوع: (عالمية الإسلام) وألقيت فيه هذا البحث.

ويقيها من ويلات الحروب ويضمن للأجيال القادمة، عالماً يخلو من الصراع غير المتكافئ، الذي يقتل في الإنسان نوازع الخير والمحبة والسلام.

وإذا كان ميثاق الأمم المتحدة في ديباجته يعترف بأن السلام في الأرض، يبدأ في عقول البشر، فإن هذه الرؤية الموضوعية، تلتقي مع ما قرره الإسلام من مبادئ أساسية، تجعل الناس أمةً واحدةً، وتحترم الكرامة البشرية، كما لم تحترم قط. غير أن هذا التصور النظري لعملية السلام، لن يترك في الأرض أثراً ينفع الناس، ما لم يتمثل في سلوك المسلمين، ويتجسد في تصرفاتهم، ويحيونه أفراداً وجماعات، شعوباً وقبائل، دولاً وحكومات. وهذا ما يجعل مدار البحث في هذه القضية هو واقع المسلمين وأوضاعهم الراهنة، إذ هم المعنيون مباشرةً ببذل الجهد، وإفراغ الوسع، لترجمة عقيدتهم إلى واقع حي، ولبلورة تصوراتهم في مواقف تكون لهم قوة دفع نحو الآفاق الإنسانية، بما يخدم السلام، ويقرره كواقعٍ دولي لا يرتفع.

ولكن المسلمين اليوم، في أوضاعهم الراهنة، وفي ظروفهم الحالية، لا يقدر على الإسهام بجهد متميز من أجل تغيير الواقع الدولي، لما يعانونه من تفرقة، ويعيشونه من تمزق، ويكابدون من مشكلات، ويواجهونه من تحديات. وهم بهذه الصورة، أعجز ما يكونون عن تحقيق السلام فيما بينهم، بله في العالم المحيط بهم.

ونحن نقول هذا من قبيل النقد الذاتي، وليس على سبيل التنفير والتبئيس، ذلك أن معرفة واقعنا الإسلامي بهذه الصورة الواضحة الصريحة، أمرٌ ضروريٌ لتقرير ما ينبغي اتخاذه من خطوات، للنهوض بمسؤولياتنا كأمة مسلمة، في تعبئة العالم من أجل حركة كونية فاعلة ومؤثرة، تعمل من أجل السلام.

والرأي عندنا أن أقوم سبيل إلى إسهام العالم الإسلامي في خدمة السلام العالمي، هو ما يبدأ من الذات الإسلامية، بما يعني تغيير ما بالأنفس، وإصلاح الحال، والإلتفات إلى واقعنا الراهن، لتوحيد الصف، وحشد القوى، وتقوية الكيان الإسلامي العام، والقضاء على أسباب الخصام والنزاع بين الدول



الإسلامية، وهي متنوعة ومتشعبة، وذات جذور عميقة، وتهيئة المناخ الملائم  
لنهضة إسلامية، تقدم على أساس الأخوة الإسلامية، والتعاون المشترك،  
لنهوض بالمستوى الاقتصادي للشعوب الإسلامية التي تنتمي، وهي صاحبة  
الثروات والامكانيات ومصادر الطاقة الغنية، إلى العالم الثالث.

إن التغيير ذو شقين اقتصادي وسياسي، فأما على المستوى الاقتصادي  
فلا بد من إحداث تغيير جذري عميق الأثر، وذلك عن طريق السيطرة على  
المقدرات الاقتصادية، والتحكم في الاقتصاد الوطني على مستوى الدول  
الإسلامية، بحيث يقع التحرر من التبعية في هذا المجال، وإعطاء الفرص  
للشعوب، للاستفادة من خيرات الأرض، والموارد الطبيعية، وتحسين  
مستوى الدخل الفردي بعدالة التوزيع، وتكافؤ الفرص، ومحاربة الفقر،  
والاستغلال والقهر الاقتصادي الذي يفقد الإنسان المسلم كرامته التي قررها  
له الإسلام. وكل ذلك رهن بحسن استغلال المقدرات الذاتية، وضبط  
الإدارة المحلية وتوسيع رقعة التعاون والتكامل والتنسيق بين الدول الإسلامية،  
إن على المستوى الرسمي، أم على المستوى الشعبي.

وأما الجانب السياسي في هذا التغيير المطلوب، فيتمثل في رفع الظلم  
والعدوان على الإنسان المسلم، وإطلاق الحريات العامة، وإفساح المجال  
للمشاركة الشعبية في تسيير الشؤون الداخلية على صعيد كل دولة إسلامية،  
 وإقامة أنظمة ديمقراطية شورية، تحترم فيها حرية الفرد، ويحتكم فيها إلى  
الشريعة الإسلامية.

إن هذا هو التغيير المطلوب، لاكتساب مناعة ذاتية، وإمتلاك القوة  
الضاربة، استجابة للشروط الحضارية الملحة.

وبهذا المستوى من التماسك والترابط والاجتماع على كلمة سواء،  
داخل الدائرة الإسلامية، يمكن التطلع إلى ممارسة دور عالمي، يُسهم به المسلمون  
الإسهام الذي يتناسب ومقدراتهم ومواقعهم في تجنيد العالم للسلام، كقوة  
دولية يُحسب لها حسابها، وتُراعى على مستوى العلاقات الدولية.

وعلى هذا الأساس، فإنني أرى شخصياً، أن التفكير في القيام بدور عالمي لتعزيز الجهود العاملة من أجل السلام، لا بد وأن يبدأ هذه البداية من منطلق الاقتناع بأن المسلمين لن يقدروا على البروز في الساحة الدولية كقوة دولية ضاربة وفاعلة ومؤثرة، ماداموا على أوضاعهم الراهنة. وسيكون من قبيل العبث الانصراف إلى الإشتغال بمثل هذه القضايا وتبنيها في المحافل الدولية، في الوقت الذي عجز فيه المسلمون قاطبة عن إيقاف النزيف المستمر في الجسد الإسلامي الواحد، الذي يهدر دمه، ويفتت تفتيتاً يوماً عن يوم في الخليج وفي لبنان وفي فلسطين وايرتيريا وأفغانستان.

إن الصورة الراهنة للمسلمين، لا تُغري باقتحام الساحة الدولية للقيام بدور أكبر من حجمهم الحالي. ولا بد من إيلاء الأوضاع الداخلية المزيد من الاهتمام، ليصفو الجو، وتتهيأ الأسباب للانطلاق نحو آفاق عالمية.

إن المسلمين لن يملكوا شروط القوة والمناعة والتأثير على الصعيد الدولي، حتى يراجعوا أوضاعهم الداخلية مراجعة عميقة، ليكونوا منسجمين مع دينهم، ومع تاريخهم، وحضارتهم، وليدعموا استقلالهم الاقتصادي والسياسي والقضائي والفكري، وليتحرروا بالكامل من قبضة الكتلتين الدوليتين الرأسمالية والشيوعية، اللتين تتصارعان من أجل الإستحواذ على مقدرات العالم الإسلامي، وانفراد كل واحدة منهما بمجموعة إسلامية تسخرها وترغمها على تحقيق مآربها وحماية مصالحها الإقتصادية والجيوبوليتكية.

إن قيام كتلة إسلامية عالمية متحررة ومستقلة ومنسجمة مع واقعها المتميز، لا تخدم فقط مصالح المسلمين بل ستكون عوناً على دعم السلام العالمي، وأداة للتوازن الدولي المطلوب، يحول دون انفراد إحدى الكتلتين الكبريين بالهيمنة، مما يقلل من فرص الحرب، ويكبح من جماح روح السيطرة التي تحكم سياسة العملاقين.

ومن جانب آخر فإن التركيز على إصلاح ذات البين بين المسلمين، عن طريق تكثيف الجهد للمصالحة، والعمل على إيقاف نزيف الدم المسلم

في أكثر من موقع، هو نفسه إسهاماً في خدمة السلام العالمي، وتعزيزاً للأمن الدولي، وتخفيفاً من حدة الصراع المحموم الذي يلحق أبلغ الضرر بالمجتمع الإنساني. وكلما قطع المسلمون أشواطاً في هذا الاتجاه الرامي إلى تغيير الأحوال، وإعادة تأسيس الأوضاع، وبث روح جديدة في الكيان الإسلامي الكبير، كان ذلك بمثابة خطوة إلى الأمام، على طريق تصفية الأجواء العالمية، وتعبئة الرأي العام الدولي للضغط من أجل إرغام القوى الكبرى على النزول عن كبرياتها، والرضوخ للإرادة الإنسانية المتطلعة إلى سلام شامل.

إن الكتلة الإسلامية الضخمة، تمثل اليوم في الأمم المتحدة ما يقارب الثلث، وهو وضعٌ يسمح بممارسة المزيد من الضغط السلمي المهادن، لإقرار سياساتٍ دوليةٍ تكتل الوئام بين الشعوب. غير أن المجموعة الإسلامية غير متجانسةً بالصورة التي تحقق الغاية المرجوة، وذلك على الرغم من انتظامها في (منظمة المؤتمر الإسلامي) التي تعتبر إطاراً ملائماً لتجسيد جانبٍ من تطلعات الأمة الإسلامية إلى التضامن والوحدة، بالنظر إلى القصور الذي يطبع عمل هذه المنظمة، والمتمثل أساساً في عدم إلزامية القرارات الصادرة عنها، مما لا يساعد على تحقيق قدر لا بأس به من الإنسجام والتفاهم والوفاق، الأمر الذي يظهر جلياً في مواقف الدول الأعضاء من الحرب في الخليج.

إننا نعلم جميعاً أن للدول العظمى مصلحة في بقاء الأوضاع الإسلامية على ما هي عليه من ضعف وتمزق، وذلك للحفاظ على مراكز النفوذ داخل العالم الإسلامي، واستمرار التحكم في المواد الخام، والسيطرة على بعض المواقع الإستراتيجية ذات الأهمية في السياسة العالمية، ولكننا نؤمن بأن من شأن انتشار الوعي السياسي بخطورة هذه الأوضاع المفروضة على المسلمين، أن يخلق حوافز للعمل الجدي، في الاتجاه الذي يؤدي إلى استكمال شروط التحرر الكامل، حتى يتسنى للمسلمين أداء الدول المنتظر منهم في إشاعة مبادئ السلام والتعاون الإنساني لفرض هذه المبادئ.

إنّ من حقائق السياسة العالمية القائمة في هذا العصر، أن السلام الدولي مرهون بتعبئة شاملة تشارك فيها دول العالم وحكوماته وشعوبه، في سبيل التأثير الفاعل على أصحاب القرار، للاتجاه نحو السلام الذي يحمي الإنسانية من المصير المظلم. ولاشك أن المسلمين قوة حضارية واقتصادية، يمكن أن تلعب دوراً في هذا النطاق. ونحن هنا لا نقلل من شأن هذا الدور، على كل حال، ولكننا ندعو إلى تقويته وتعزيزه والنفخ فيه من روح الإسلام، ليكون صورةً لهذا الدين، ومرآةً لمثله ومبادئه، لا مطلق دور يؤديه المسلمون كيفما اتفق، وعلى أي مستوى تسمح به أوضاعهم.

أما الإسلام كدين سلام، وكقوة دفع حضاري في اتجاه الوئام بين البشر، فإن رسالته في العالم المعاصر، مرتبطة بسلوك المسلمين الذي هم حملة رسالته، ولذلك فإن المعول دائماً على المسلمين، باعتبارهم مسؤولين في المقام الأول عن إبلاغ رسالة دينهم إلى العالم، ومدّ إشعاعه الحضاري السلمي إلى مختلف أقطار الأرض، تحقيقاً لمقاصده وإنقاذاً لمشية الله سبحانه وتعالى في أن يعيش الناس في وئام ومحبة وسلام.

## مسؤولية المسلمين في تحرير القدس الشريف

عندما يذكر المسلمون في أنحاء المعمور مدينة القدس، تخطر ببالهم أمجاد وأمجاد، وتبرز أمام أعينهم صفحات مشرقة كتبها التاريخ، وسجلها أعلام الكتاب والمؤرخين من مسلمين وغير مسلمين، إذ تعتبر مدينة الطهر والسلام، والنقاء والوثام بين مختلف الأديان.

ثلاثة عشر قرنا تولى أمر القدس المسلمون، كانت فيها المقدسات محل الرعاية والتقدير، وكان فيها السكان الأصليون على اختلاف دياناتهم، يعاملون معاملة، كلها عدل وعدم تمييز، وكان المسيحيون واليهود، وهما أهل كتاب، لا يشعرون بأي ضيم في حكم المسلمين، وكان الذين يقصدون القدس من مختلف الأقطار والأمصار، يزورون الأماكن المقدسة وهم في منتهى الرعاية والاعتبار.

لقد انتهى في عهد المسلمين الذي دام ثلاثة عشر قرنا، ما ذاقه السكان الأصليون من ألوان العبودية، سواء في عهد الفرس، أو الرومانيين، أو غيرهم، واعتبروا الفتح الإسلامي منجاة لهم، وعهدا جديدا في حياتهم، كله أمان واحترام، ووفاء بالعهود التي قطعها عمر بن الخطاب على نفسه، وأشهد عليها جمهورا من أكابر الصحابة رضوان الله عليهم، ورغما عن الكبوة التي حصلت أيام الغزو الصليبي الاستعماري، الذي أتى من أوروبا، طمعا في الاستعلاء والمال والحكم بالطاغوت، فإن البطل المسلم الخالد الذكر، صلاح الدين الأيوبي، أعاد للقدس مكانتها وطبيعتها النقية، وطهرها من براثين

الظلم والحروب والاستغلال، فاستعادت قدسيتها وطهارتها وسلامها، وتعايشت فيها الأديان السماوية الثلاثة، وفق ما دعا إليه الإسلام، من تعاون ومحبة ووثام واحترام، فلم يتحدث التاريخ مطلقاً، أن المسيحيين واليهود، كانوا يعاملون معاملة تختلف عما يعامل به المسلمون، ولم يستطع أن يؤرخ أجنبي أو عربي أو مسلم، بأن يتهم المسلمين الذين تعاقبوا على الحكم، ابتداء من عهد عمر بن الخطاب إلى العهود الأخيرة قبل الانتداب البريطاني المفروض عليها، لم يستطع أن يتهم المسلمين بمعاملة غيرهم، معاملة فيها أي إجحاف، أو ظلم، أو تمييز، أو احتقار.

لقد رعى المسلمون القدس رعاية خاصة، ولم تكن رعايتهم للأشخاص والمتساكنين فحسب، ولكنها كانت للمقدسات جميعها، فرعوا المساجد والكنائس والمعابد، واحترموا الاحترام الكبير لمشاهد، ومقامات، وأضرحة الأنبياء والمرسلين على اختلافهم، وقدم عهدهم.

فالإسلام، هو دين الله الخالد، لا يفرق بين الأنبياء والمرسلين، والمسلمون في كل عهودهم، يؤمنون بالرسول والأنبياء جميعهم، يقصدونهم ويحترمونهم (لا نفرق بين أحد من رسله) ومن هنا كانت نظرة الإسلام إلى الأنبياء والمرسلين، تختلف عن نظرة الكتابيين الآخرين، الذين يؤمنون ببعض الرسل، ولا يؤمنون بالبعض الآخر، ومن هنا كان يشعر اليهود والنصارى الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية، بأن ديانتهم محترمة، وأنبياءهم مقدسين، فلا يجدون غضاضة، ولا مبرراً، للتنطع على الحكم الإسلامي الذي أنقذهم من السيطرة المفروضة عليهم خلال القرون السابقة للإسلام، وغير خاف أن مدينة القدس، من المدن القديمة جداً، ويرجع تاريخها المعروف إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وأن الذين أنشأوها هم العرب الكنعانيون، الذين أسموها (يوروشالم) أي منشأة الإله سالم أو شالم، وبقي هذا الإسم يطلق عليها منذ ذلك الوقت، مع إدخال بعض التغيير، ومن هذا الإسم، جاء اسم (جورو سالم) الذي يطلقه الغريون الأوروبيون عليها، ومنه أيضاً جاء الاسم الوارد في التوراة (أورشليم).

فالكنعانيون العرب هم سكان البلاد الأصليين، دون منازع، ولم يدخلها العبرانيون إلا في القرن العاشر قبل الميلاد، في عهد الملك، «داود» عليه السلام، حيث جعلها عاصمة ملكه، وقرر بناء هيكل للعبادة، فلم يكمله وأدرسته الوفاة، فبناه ابنه «سليمان» عليه السلام.

ولكن هذا الهيكل لم يصمد طويلا، أمام انحرافات اليهود وتنكرهم لعقيدة التوحيد الصحيحة، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وسلط عليهم من سامهم سوء العذاب، وقضى عليهم وعلى مملكتهم، وكان الذين حاربوهم وقضوا عليهم هم الآشوريون ثم البابليون، قبل الميلاد بنحو ستمائة سنة، حيث هدم هؤلاء الهيكل المذكور، وسبوا الرجال والنساء، وعانوا منهم الآلام والشدائد والأهوال، وشردوهم في الآفاق وجاء الفرس إلى (يوروشالم) فعاد بعض اليهود معهم، ولكنهم صاروا على عادتهم يعيشون في الأرض فسادا، وخالفوا نصائح أنبيائهم، فسلط الله عليهم الرومان سنة سبعين بعد الميلاد، واشتدت الوطأة عليهم كذلك، خصوصا في عهد الأمبراطور (حد ريانوس) الذي محو المدينة محو تاما، وغير اسمها إلى (إيلياكا بيتولينا) أي إيليا العظمى.

وفي عهد الرومان، جاء الفتح الإسلامي الذي كان في السنة السابعة عشرة للهجرة، الموافق لسنة 636 ميلادية، فانفتح عهد جديد في المدينة التي اقتبلت المسلمين أحسن استقبال، حيث إن المسلمين أنقذوا السكان ومدينتهم، من اضطهاد الرومان، وانفتح أمامهم عهد جديد، تجلّى في الحفاظ على أماكن العبادة ومقامات الأنبياء، فبدأ اليهود الفارون، يعودون إلى القدس، لزيارة أماكنهم المقدسة، وللخدمة والعمل والسكن، ومن جملة اليهود الذين وردوا على القدس، أيام الحكم الإسلامي، بعض يهود الأندلس الذين طردوا منها أيام الاضطهاد، ومحاكم التفتيش سنة 1429م حيث بلغ عددهم مائة وثلاثين ألف أسرة، فوجدوا الراحة والاطمئنان في عهد الحكم الإسلامي، ما لم يجدوه في أي عهد من العهود، وصاروا ينشؤون بعض المراكز الدينية في طبرية، وصفد، والخليل، وبيت المقدس نفسه، وبلغ بهم

الحال، أن صاروا يدعون أن ما اسموه حائط المبكى، هو ملك لهم، مع أنه ملك للمسلمين، حسبما أكدت ذلك لجان التحقيق الإنجليزية نفسها، ومنها لجنة كانت تعرف بلجنة (شو) التي أصدرت حكمها بعدما اطلعت على الوثائق التي قدمها المسلمون، والوثائق التي قدمها اليهود، أصدرت حكمها بأن ما يسمى بحائط المبكى، أثر إسلامي مقدس، وأنه ملك عربي، ووقف إسلامي خالد.

لقد كان حادث حائط المبكى، بداية العراك بين المسلمين واليهود، فهذا الحائط في الجدار الغربي للمسجد الأقصى، ويقع عند باب يسمى باب المغاربة، ويوجد قربه مسجد، يسمى بمسجد البراق، وسمي بمسجد البراق لأن الأخبار المتواترة أتت بأن البراق الذي أسرى عليه رسولنا محمد ﷺ ليلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ربط بذلك الموضع، الذي كان يسمى بموضع الحلقة، وهو مكان كان يزوره المسلمون منذ القديم، ومسجد البراق هذا هدمه اليهود بعد استلائهم على القدس الشريف، وعلى كل الأراضي الفلسطينية، ومنها حيُّ المغاربة، وأوقاف الولي الصالح أبي مدين الغوث رحمه الله، وفي سنة 1929 حاولت جماهير كثيرة من اليهود، أن تستولي على هذا المكان، فتجمعوا في مكان البراق الشريف، بحجة زيارته والبكاء إلى جواره، ثم نظموا مظاهرة صاخبة، خطب فيها بعض زعمائهم، وحاخاماتهم، مطالبين بالاستيلاء عليه بالقوة، الأمر الذي أثار رد فعل عنيف من طرف المسلمين، فوقعت أحداث سقط فيها العديد من الضحايا، وامتألت فيها السجون بمئات شباب المسلمين، وحوكموا من طرف السلطات الانجليزية، بتهمة قيامهم بالثورة ضد الانجليز، ومن ذلك الوقت بدأت المعارك بين اليهود والانجليز، وبين الفلسطينيين، الذين تضامن معهم العالم الإسلامي قاطبة، وكان المغرب من جملة المتضامنين.

لقد ابتدأ اليهود اعتداءاتهم على بيت المقدس، بمطالبتهم بحائط المبكى، الواقع في الجدار الغربي لبيت المقدس، ومن هناك صاروا يتطلعون إلى الاستيلاء على المسجد الأقصى نفسه، وإلى مسجد الخليل، وإلى كل



الأماكن المقدسة عند المسلمين، إن المسجد الأقصى المبارك، يعتبر عند المسلمين من المساجد الثلاثة الكبرى الذي تشد إليها الرحال، فلقد قال النبي ﷺ كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما : ( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى) ولقد خصه الله بمعجزة الإسراء، والمعراج، ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ وجعله قبلة المسلمين الأولى، وإليه توجه الرسول والمسلمون أثناء صلواتهم، عندما فرضت الصلاة، وبقوا يتجهون إليه بعد الهجرة طوال ستة عشر شهراً، إلى أن أمر الرسول بالاتجاه في صلاته إلى الكعبة المشرفة، ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾، ويعتبر المسجد الأقصى، ثاني مسجد بني على وجه الأرض، فالأول هو المسجد الحرام، بمكة المكرمة الذي بناه إبراهيم عليه السلام، بمعونته ابنه إسماعيل ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين﴾ والثاني هو المسجد الأقصى الذي بناه كذلك إبراهيم، حسبما ما أكده بعض الباحثين المسلمين، فلقد روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض، قال المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت : كم بينهما؟ قال : أربعون سنة، ولقد علق على هذا الحديث الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره فقال : فهذا الخبر قد بين أن المسجد الأقصى من بناء إبراهيم، لأنه حدد بمدة هي من مدة حياة إبراهيم عليه السلام، وقد قرن ذكر بذكر المسجد الحرام، ويرى أغلب المفسرين أنه من بناء يعقوب، وقيل بناه سليمان، وإطلاق لفظة «الأقصى» عليه، تعبير عن بعده عن مكة، بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وهو تعبير قرآني لم يسبق أن وصفه به العرب قبل وصف القرآن، أما ما كان يطلق عليه فهو مسجد «إيليا».

وللمسجد الأقصى فضل عظيم، والصلاة فيه تفضل الصلاة في غيره بكثير من الدرجات، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين

صلاة، وصلاة في المسجد الذي يُجمَع فيه بخمسائة صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة رواه ابن ماجه، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب، وورد أن الإهلال بالحج أو العمرة منه، يكفر السيآت، فعن أم المؤمنين أم سلمة، زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو وجبت له الجنة، رواه أبو داود في سننه، والرباط في بيت المقدس للدفاع عنه من أنواع الجهاد المقبول، فعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معاذ، إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي، من العريش إلى الفرات، رجالهم ونساؤهم وأبناؤهم، مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام، أو بيت مقدس، فهو في جهاد إلى يوم القيامة، أخرجه القاضي مجير الدين الحنبلي المقدسي، في الأنس الجليل، ج 1، ص 203 فهذه بعض الأحاديث الواردة عن الرسول، تبين قيمة هذا المسجد في الإسلام، وآخر هذه الأحاديث التي أوردنا، تلمح إلى وجوب الرباط والدفاع عنه وحمايته من اغتصاب الغاصبين، وتدنيس المدنسين، من الصهاينة الماكرين، فالمسلمون في أي عصر من العصور، وفي أي وقت من الأوقات، مطالبون حتميا بصيانة حرمة، والجهاد في سبيل احتفاظه بقدسيته، ولعل الرسول محمدا ﷺ أطلع الله على أنه سيأتي زمان، يتنمر فيه المتنمرون من اليهود ومناصريهم من الدول الاستعمارية ليهدموه ويحرقوه ويزيلوه من الوجود، حتى لا يبقى شاهدا على أن إبراهيم الخليل عليه السلام، أراد بنائه وتشيدته، الإشعار بأن الملة التي أتى بها من عند الله، والتي هي دين الإسلام، ستبقى دائما مرتكزة على المساجد التي تشد إليها الرحال، وهي المسجد الحرام بمكة، ومسجد الرسول بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى بفلسطين. فالمسجد الأقصى أمانة في أيدي المسلمين، يجب عليهم أن يصونوها، ويحموها، ويدافعوا عنها بالعزيم والغالي، وأي تخلي عنه يعتبر خيانة للأمانة، والعقيدة، والدين، وما أتى به رسول رب العالمين ﷺ فليحذر الذين

يخالفون عن أمره، أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿﴾ صدق الله العظيم.

لقد صان المسلمون المسجد الأقصى خلال العصور، واعتبروا أن فلسطين بأجمعها، ثغر تجب المحافظة عليه، لأنه الطريق الذي يمكن أن ينفذ منه العدو إلى الأراضي المقدسة، أي إلى الكعبة المشرفة، والمدينة المنورة، ولذلك بادروا إلى سده وحمايته، حتى يسدوا الطريق أمام الأعداء المتربصين، كما وأنهم صانوا الأماكن المقدسة، وبنوا فيها البنايات الشاهقة، والمقامات العالية، ففي عهد عبد الملك بن مروان، بنوا مسجد الصخرة، وأنفقوا عليه خراج مصر لسبع سنوات، ثم بنوا في عهد سليمان بن عبد الملك المسجد الأقصى، ومسجد عمر، فكان من أجمل وأروع ما بناه المسلمون في حواضرهم، وكان معماره من أجمل ما خلده الفن المعماري من آثار.

وبنوا في ساحة الحرم الشريف، والمسجدين الكبيرين، والأروقة التابعة لهما، مدارس ومعاهد علمية، كانت منارا للمعرفة، والهداية، والتبليغ، ولم يكتفوا بذلك، فبنوا كثيرا من المساجد بمآذنها المرتفعة، وقبها الشاخخة، ما جعل القدس الشريف كله مسجدا يعلو فيه اسم الله، ويجلجل المؤذنون بأصواتهم بكلمة الله أكبر، التي تهز القلوب والمشاعر.

لقد اعتبر المسلمون بيت المقدس محجا لهم وأمنا، والإقامة فيه رباطا، وجهادا، وتعبدا، فشدوا إليه الرحال، وأقاموا فيه المدد الطويلة والقصيرة، وكان من جملة الذين زاروه وصلّوا فيه : سفيان الثوري، والإمام الأوزاعي، والإمام الليث بن سعد، والإمام الشافعي، والقاضي أبو بكر بن العربي المعافري وإبراهيم بن أدهم وذو النون المصري والسري السَّقْطِي، خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه، والإمام النيسابوري، والإمام محمد ابن الوليد الطرطوشي، الأندلسي المالكي، وحجة الإسلام الغزالي وأبو بكر الجرجاني إلى غير هؤلاء من العلماء والصلحاء، والمجاهدين الذين كانوا يقصدونه للصلاة، والعبادة، والرباط، والحماية من الغزو الأجنبي، ولقد شاهدنا

وعلمنا ونحن في عهد الشباب، جماعة من رجالات الإسلام من الهند وجاوة والأفغان، زيادة على المغاربة، يقصدون القدس الشريف للمقام فيه، وكان بعضهم يوصي أن يدفن بعد موته في تلك البقاع، تأكيداً لارتباطهم بمكان أسرى إليه الرسول الأمين عليه السلام، وعرج منه إلى السماء، حيث فرضت الصلاة الموقوتة على المؤمنين.

إن تعلق المسلمين ببيت المقدس، يرجع إلى ما ذكرناه، ويرجع أيضاً إلى أنه توجد فيه وما حوله، أضرحة كثير من الأنبياء، والمساجد المنسوبة إليهم، كضريح نبي الله داود عليه السلام، ومقام نبي الله موسى عليه السلام، والمسجد الإبراهيمي بمدينة الخليل، حيث يوجد داخل غار فيه، قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته السيدة «سارة» وقبور أبنائه النبيين : إسحاق ويعقوب ويوسف وزوجاتهم، كما يوجد على مقربة من قبور إبراهيم وأبنائه، مقام نبي الله يونس، ونبي الله لوط، ويوجد كذلك مقامات وأضرحة لبعض الصحابة الكرام، كعبيدة بن الجراح، أمين هذه الأمة، ومعاذ بن جبل، والفضل بن عباس، ابن عم النبي ﷺ، وعبد الله بن الزبير، وأبان بن سعيد بن العاص الأموي، وغيرهم رضوان الله عليهم ولم يهتم المسؤولون المسلمون بالأماكن المقدسة الإسلامية فحسب، ولكن عنايتهم كانت تشمل تراث المسيحيين أيضاً، فلقد أكد الأستاذ (يوليوس فلهوزن) في كتابه تاريخ الدولة العربية، نقلاً عن تيوفانيس وأوتيوخوس وغيرهما، من مؤرخي المسيحية في ذلك العصر، كيف كان التراث المسيحي في فلسطين والشام، موضع احترام وتقدير كبيرين من جانب المسلمين.

(إن قدسية بيت المقدس بالنسبة لنا نحن المسلمين، أمر لا جدال فيه، وإن ارتباطنا بالقدس، استمد جذوره من التعاليم الإسلامية، والأحاديث النبوية كما أشرت إلى ذلك سالفاً) (والمغرب رغم بعد المسافة بينه وبين القدس، ارتبط به كل الارتباط، وقدر مكانته وحرمة تمام التقدير، وشارك في حمايته وتطهيره من قبضة الغاصبين الصهيونيين) إن الانتهاكات المتوالية من طرف الصهاينة على القدس، وعلى أرض فلسطين، تحتم على المسلمين في

مشارك الأراض ومغاربها، أن يعملوا جادين، سواء على مستوى الدول والحكومات، أو على مستوى الشعوب والمنظمات، لتطهير القدس الشريف، وتحريره التحرير الكامل، من سيطرة اليهود الغاصبين المعتدين، وأن الخطر كل الخطر، والخيانة كل الخيانة، أن يقع أي تنازل أو تهاون أو مساومة في قضية القدس، فسياسة التنازلات مهما كانت غير مقبولة في بعض الحقوق، فإنها في قضية القدس تعتبر خيانة للأمانة التي أودعها الله في أيدي المسلمين، منذ إعطاء العهد من طرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لرهبانها وسكانها، أن لا يمكن منها اليهود، ولا يتصرفوا فيها، أو يسكنوها، إنه واجب مقدس، علينا أن نقوم به جميعا، كل حسب إمكانياته، وإن اجتماع مؤتمر القمة الإسلامي بأرض المغرب بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تكوينه، مدعاة لأن يشعر قادة المسلمين من ملوك وروءساء، وعلماء، بمسؤولياتهم الضخمة، إزاء تحرير القدس، التحرير الكامل الشامل العاجل، واتخاذ الوسائل العملية الجادة للتعجيل بهذا التحرير، وإشعار المسؤولين العالميين الكبار، أن قضية القدس لا تقبل أية هواده، ولا يقبل المسلمون فيها أي إغراء أو تهديد، وإن على هؤلاء القادة المجتمعين، أن يراجعوا مقرراتهم السابقة في مختلف الاجتماعات التي عقدوها، وخصوصا منها اجتماع مكة المكرمة الذي عاهدوا الله أمام الكعبة المشرفة، أنهم لا يتخلون عن القدس، ولا عن المقدسات، وصدق الله العظيم ﴿يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلمون إن كنتم مؤمنين﴾.

أبو بكر القادري

الاثنين 8 رجب 1415هـ

12 دجنبر 1994م

## أعمدة الهوية المغربية<sup>(1)</sup>

للهوية المغربية أربعة أعمدة، أولها المغربية، أي الأصل المغربي المكون من البربر والعرب، والثاني اللغة، والثالث العقيدة الإسلامية، والرابع الملكية الدستورية. هذه هي أعمدة الهوية المغربية، لا بد أن نتمسك بها، وأن نحافظ عليها. نحافظ على مغربتنا، فلا نتنكر لتراثنا البربري والعربي، ولا نتنكر لعروبتنا، وأصولنا الأمازيغية، ولا نتنكر لإسلامنا، ولا نتنكر لملكيتنا، نحن هكذا سرنا، ولقد كنا والحمد لله موفقين، حينما وضعنا أيدينا في أيدي العرش المغربي العلوي الشريف، هذا العرش الذي حافظ على وحدة البلاد ودافع عن كيانه، وصان حضارتها وقيمها الأساسية، لا أقول هذا تملقا ولقد قلناه ونحن في الزنازن، قلناه ونحن أحرار، لأنها هي الحقيقة الواقعية، ولأنها هي الطريق الذي نسلك به إلى النجاة، إن شاء الله.

لم نكن ملكيين بالمعنى الذي يطرحه المغرضون، فليست ملكيتنا بالملكية العضوض، ولكنها الملكية الحقيقية الدستورية التي دافعنا عنها، وطالبنا بها سنة 1934 في مطالب الشعب المغربي، وأكدنا عليها في وثيقة المطالبة بالاستقلال عندما تقدمنا بها إلى محمد الخامس رحمة الله عليه، سنة 1944 عندما جعلناها البند الثاني من وثيقة طلب الاستقلال، تنظيم البلاد على أساس الشورى، التي قال الله عنها: ﴿وَأمرهم شورى بينهم﴾. فنحن لا نقول بالاستبداد، ولا نقول بتقسيم البلاد، ولكننا نقول بوحدة البلاد، ووحدة البلاد لا يرمز إليها، إلا هذا الرمز الذي جعله المغاربة أساسا من أسس هويتهم. إن تمسكنا بالملكية، ونقولها ولا نخشى أي شيء لأن هذا مبدأ من مبادئنا، نقولها أمام الجميع، لا مطلق كلام، وإنما نقولها عقيدة، فالملكية رمز وحدة بلادنا، منذ إدريس الأول إلى الآن، إننا متمسكون بها، لأنها زيادة على

(1) حديث ألقى بتطوان في نطاق ندوة عقدتها أكاديمية المملكة المغربية.

رمزيتها، فهي تشعرنا بأننا متمسكون بالشجرة النبوية الطاهرة، وهذه الميزة التي منحها الله للمغرب، لا بد أن نعوض عليها بالنواجذ. حقيقة قد تكون هناك أعاصير، وعواصف، تحاول أن تعصف بكثير من المقدسات، ولكن لا بد أن نحافظ على الأساس، وعلى الهوية، ونثبت السير والمسيرة في سكتها الحقيقية. فالفرنسيون، وقد قمنا ضدهم، حاولوا الكيد لهويتنا، وتشتيت شملنا، ولكن المغرب الذي احتفظ بالاستقلال والوحدة طوال أربعة عشر قرناً، استطاع أن يحافظ على وحدته وكيانه وهويته الأصيلة.

لقد حاولوا القضاء على وحدتنا، ولكن وقفنا أمام ما خططوه وسموه بالسياسة البربرية، من أجل أن يعصفوا بالإسلام وبالقومية المغربية، وأن يعصفوا باللغة العربية، ويجعلوا المغرب لا هو عربي، ولا هو بربري، أرادوه أن يتزحزح عن هويته، وعن وحدته، وعن ثقافته، وعن أصالته، ويسير في ركابهم، وفي ثقافتهم، وفي لغتهم، وفي سياستهم، وفي ركابهم، فقلنا له : لا، بلء فينا.

إذن، بدايتنا كانت بداية واحدة، كنا نعرف طريقنا، ويرجع الفضل إلى الرواد الأولين الذين أناروا طريقنا. وكان في طليعتهم، ملك صالح مؤمن : هو محمد الخامس الذي كان ينظر بنور الله، فسار في هذا السير يعمل ليسيير شعبه في نفس الطريق، وهكذا نريد الآن أن نستمر في طريق الشورى التي نعبر عنها بالديمقراطية، وإن كنت أنا شخصياً، ولا أكتمكم سرا أي لا أومن بالديمقراطية بالشكل الغربي، إن مبدئي الذي ألتزم به، هو مبدأ الشورى : ﴿أمرهم شورى بينهم﴾، ﴿وشاورهم في الأمر﴾. فالشورى مبدأ إسلامي، ولا جدال فيه إنه نص قرآني، من حاد عنه فإنه يحيد عن الإسلام، ولذلك سنظل نكافح حتى نحقق ذلك إن شاء الله، كما قال إخواني الذين سبقوني، فإننا لا بد أن نصل إلى المبتغى.

أشير إلى بعض الكلمات التي أشار إليها بعض المتدخلين ولا أتذكر ما قالوه بالحرف، ولا أقول المداخلات لأن هذه الكلمة لا تروقني، كل ما قيل يستحق كامل الاهتمام والعناية، وكان بودي لو أستطيع أن آخذ نقطة نقطة ونحللها، ولكن لا يسمح المجال بذلك، لذلك أقترح على إخواني الحاضرين،

لو أمكن أن ننظم جلسات ولو مختصرة، لمناقشة بعض الأفكار، سواء وردت في المذكرات أو غيرها. المهم أنها تتعلق بالحركة الوطنية من حيث هي، كيفما كانت، لنناقشها، ولنشرح لمن يريد أن يعلم عنها شيئاً. فلا بد في الواقع أن لا تبقى هناك فجوة بين الجيل الجديد وبين الرواد الأولين، فيجب أن يعيش النهج الذي سرنا نحن فيه، أو الذي سار فيه من بعدنا، وأن لا يبقوا بعيدين كثيراً عن الأجواء التي عشنا فيها. لا بد أن نهيب لهذا الجيل الحالي الوسائل، وذلك بفتح حوارات ومناقشات، وللاستماع إلى أسئلتهم. أنا أقترح على أخي الرئيس، الذي يسير الجلسة أن يحتفظ بكل ما ورد في تدخلات الأخوة - ولا أقول مداخلات مرة أخرى - وإذا أمكن أن ننظم جلسة هنا أو في أي مكان آخر... لنناقشها. ولكن، لا بد أن أشير إلى بعض ما قاله الإخوة، ذلك أنني استشعرت أن هناك فرقا بين التوجه الوطني، وتوجه المقاومة، وآمل أن لا أكون قد أخطأت. فحزب الاستقلال بالذات، لم يكن ضد المقاومة، بل بالعكس، لقد ربى كثيراً من المقاومين. وأقول لإخواني المقاومين الذين أعرف البعض منهم معرفة حقيقية، أين تربوا؟ أين اكتسبوا فكرة النضال؟ فكرة الجهاد، إن فكرة النضال والجهاد لا تأتي عفواً، إنما تكتسب بنوع من التربية، وبنوع من بذل الجهد، وبالجو الذي عاش فيه المناضلون الوطنيون والمقاومون الصادقون.

فعندما وقع الاعتداء على العرش، في شخص محمد الخامس، بل وقبل ذلك، ونحن في عراك مع «جوان» ومع «كيوم» في الخمسينات، كنا نرى أن الوقت آن لتطوير الحركة الوطنية، لنخرج من المقاومة السلبية، إلى نوع من المقاومة العملية، ويمكن أن أقول، ولا أقول أنني فضحت سرا، أننا وجهنا شبهة، أو أمراً سرياً خاصاً، والنشرة عندنا على أنواع، هناك نشرة مكتوبة، وهناك نشرة شفوية بالرموز، نقول في هذا الأمر، إن عمل الحزب لا بد أن يتغير، ولا بد أن يأخذ كل عضو في الحزب مهما كان، مسؤوليته إذا ما مس محمد الخامس، فلما مس محمد الخامس وحمل إلى المنفى، نادى علال من القاهرة، يخاطب الشعب المغربي ويقول له: لا بد أن تقاوم بكل الوسائل التي بين يديك نحن لا نعترف إلا بمحمد الخامس ملكاً لنا، وابنه الحسن ولياً لعهدنا وعهدنا. ولقد سبق لي أن سألته رحمه الله عليه: «ربما كان يجب أن تكون أكثر صراحة



في خطابك الذي ألقيته من القاهرة»، فقال لي : «لكن هي الرقابة، فالمجموعة التي كانت مسيطرة على الحكم في مصر، لم تسمح لي إلا بما قلت، لم يكن من الممكن أن أقول أكثر من ذلك». فليس من الحكمة أن يقول أي قائل بأن الحركة الوطنية التي أنتمي إليها وأعرفها، كانت ضد المقاومة، بالعكس، لقد كنا ونحن في السجن بالدار البيضاء، يأتينا أخونا البشير بن العباس رحمة الله عليه، ويزورنا بعده الأخ محمد بوسطة وكان لازال متدربا مع أحد المحامين في الدار البيضاء، كانا يزوراننا بالسجن، ويطلعاننا على سير المقاومة، ويأخذان بعض التعاليم لضمان سيرها، لأن الكثيرين من المقاومين، بقوا مخلصين دائما لعهدهم، وارتباطهم بحزبهم. هكذا كنا ونحن في السجن، وعندما خرجنا يمكن أن أقول لكم، عندما خرج من السجن، هذا العبد الضعيف، زارني إخواني أو بعض إخواني الذين كنت أعرفهم في المقاومة، أتوا إلي في بيتي، ليعطوني الحساب على ما قاموا به ويقولون لي هاك الأمانة، وكان الأمانة شيء ردهه إلي. ليست هناك احتكاكات، ولا خلافات، ولا عدم تقدير لأي مقاوم من المقاومين الصادقين، أبدا. ولكن، عندما لا يكون انضباط، وتفتح الباب على مصراعها، ويتولى الأمر من ليس مؤهلا له، يعلم الله كيف يكون المصير.

إخواني، في الواقع أنا عاجز كل العجز عن أن أجيب على كل الأسئلة التي طرحت، عاجز كل العجز عن أن أشكركم على هذا التقدير، ولا أقول التقدير ولكن هذا العطف الصادق الأخوي، الذي أشعر به من إخواني، ومن أخواتي، ومن أبنائي، ومن بناتي، هذا الزاد الذي يجعلني أطمئن بعض الاطمئنان وأسأل الرب سبحانه وتعالى أن يتقبل منا جميعا أعمالنا. وأن يحسن الله العاقبة، كل ما أرجوه، وأدعو الله أناء الليل، وأطراف النهار، أن نبقي سائرين في الخط المستقيم، كل ما أرجوه أن يمدنا الله سبحانه وتعالى بقوته، حتى نواصل السير طبق ما يرضي الله سبحانه وتعالى أولا، وما يرضي ضمائرنا ثانيا وما يرضي شعبنا ثالثا. والله سبحانه وتعالى يجازيكم كل الجزاء على كل ما قمتم به، وعلى حضوركم وعلى تقديركم. وأتمنى أن تدعوا لي بقلوب صادقة، حتى يوفقني الله سبحانه وتعالى لتتميم ما بدأت، وللبقاء كذلك في الخط الذي يرضي ربي، ويرضي ضمائرنا جميعا. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

## تجديد الفكر الديني السلفي<sup>(\*)</sup>

التجديد سنة من سنن الحياة، والفكر الديني نتاج العقل الإنساني في تدبره لحقيقة الدين، وفي تأمله لمبادئه وأحكامه، وفي استخلاصه لمنهج الحياة من ذلك كله. أما الفكر الديني السلفي فهو السائر على نهج السلف الصالح، تعلقا بالماضي من حيث أصوله الثابتة القطعية، باعتبارها المنهج الأقوم والأسلم، لأنها المنهج الأقرب إلى روح الدين، والأشد ارتباطا بجوهره، ولأنها تدعو إلى التجديد الهادف إلى المصلحة العامة للبشر، حسب تطور الحياة الإنسانية، وتجديد الفكر الديني، خاصة من خصائص الحياة العقلية الإسلامية، فهو فضلا عن أنه من السنن الرشيدة، فإنه أمر نبوي، مصداقا للحديث الشريف (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها). وبهذا الاعتبار يكون التجديد جزءا من الدين، ويكون من مقتضيات الدين الحق، الحث على التجديد، وتيسير الأسباب إلى العمل به، فلا تستقيم الحياة الدينية المنظورة، ما لم يجدد أمر الدين، بالشروط وبالمنهج الذي لا يتعارض مع روح وحقيقة الدين، إذ ليس التجديد الديني، أو تجديد الفكر الديني، أمرا في متناول الجميع، ولكنه مهمة من مهمات العلماء، ذوي البصائر المستنيرة، والعقول الحصينة، والارادات القوية القادرة على الصدع بالتجديد، والنهوض بأعبائه، وأداء رسالته، وتحمل تبعاته، باعتبارهم ورثة الأنبياء، وتلك رسالة الصفوة من العلماء المفكرين، من ذوي الرسوخ في المعرفة الدينية، ومن ذوي البصر بحقائق العصر، الذي يعيشون فيه، وما يتطلبه من تجديد وتحديث وابتكار.

(\*) بحث نشر في مجلة (الناهل) المغربية.

ولقد كان التجديد في الفكر الديني، وفي الحياة الإسلامية بصورة عامة، الطابع المميز لعصور الازدهار الحضاري الإسلامي، ولعهود التألق في مضمار العلوم والمعارف في المجتمعات الإسلامية في أزهى المراحل التاريخية، فقد اقترن التجديد بالتقدم، وبالارتقاء في مدارج الازدهار الحضاري، بينما سادت في العصور التي لم تعرف التجديد في الفكر الديني، أسباب التراجع والجمود والتخلف والانكماش والانعزال عن مجرى الحضارة، ومن هنا ارتبطت مرحلة اليقظة الحديثة التي عرفها العالم الإسلامي، في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، بالدعوة إلى تجديد الفكر الديني، وإن كان ذلك قد تم على مستويات محدودة، إذ لم تعم هذه الدعوة جميع الأقطار الإسلامية بالدرجة الكافية، ولكن البلدان التي امتدت إليها أصداء الدعوة إلى التجديد - كانت أسبق من غيرها في مضمار الحركة، والعمل في إطار الانعتاق من رواسب الجمود، وعوامل الركود، وأجواء التخلف، وكان المغرب من الأقطار الإسلامية التي وصلتها دعوة التجديد التي عرفت عهدئذ بالدعوة السلفية، فكان أن ازدهر الفكر الديني السلفي في بلادنا - وعمل عمله في إيقاظ الأمة - أو على النخبة الواعية منها - التي قدر لها أن تكون هي الطليعة المؤمنة التي حملت لواء الإصلاح في بادئ الأمر، ثم الثورة ضد الاستعمار، والعمل من أجل تحرير الإنسان المغربي، من رواسب التخلف العقلي والفكري والسلوكي والحياتي بصورة عامة.

لقد كانت الدعوة إلى تجديد الفكر الديني في مطلع القرن العشرين، دعوة إلى تحرير العقل المسلم من الخرافة والشعوذة اللتين نشأتا عن الجهل بمبادئ الدين الإسلامي، وعن الفهم المنحرف لمقاصده الشريفة في بناء الأسس الراسخة للحياة الإسلامية المزدهرة، والآخذة بأسباب التطور، في دائرة مبادئ الدين الحنيف، بما يعني ذلك تحرير الفكر من التقليد الذي يبطل في الإنسان إرادته الحرة في أداء رسالة العقل، ويشل حركته الإيجابية في بناء النسق الفكري الذي يقوم على الأسس القوية، ويهدف إلى الغايات الإنسانية السامية.

وفي هذا السياق يقول الشيخ محمد عبده، وهو من أبرز أعلام تجديد الفكر الديني أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، (إن الإسلام يهدف إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى، واعتباره في ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله، لترد من شططه، وتقلل من خبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يعد - أي الإسلام - صديقاً للعلم، حاثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل).

لقد كانت مثل هذه الصيحات مما سرى في كيان الأمة الإسلامية، وأيقظ الشعوب الإسلامية، ومهد السبيل نحو إعادة الاعتبار إلى العقل المسلم، وإلى إحياء دور الفكر الإسلامي، وإلى تجديده بنفخ الروح المتوثبة في أوصاله. وإذا كنا نقرأ هذه الكلمات للشيخ محمد عبده، دون أن تثير فينا تلك الانتفاضة الروحية والعقلية التي كانت مثل هذه الكلمات تثيرها في زمن نشرها قبل قرن من الزمن - فإن ذلك يعود إلى أمر ذي بال، وهو أن صيحة محمد عبده، وقبله صيحة أستاذه جمال الدين الأفغاني، قد أثرت التأثير الإيجابي المطلوب في الحياة الفكرية الإسلامية، بينما كانت هذه الصيحات المدوية، تلقى صدوفاً، وإعراضاً، وعزوفاً من الوسط الفقهي الجامد - في تلك المرحلة من تاريخ الإسلام التي ساد فيها الركود العقلي، والجمود الفكري والتقليد الفقهي، والتراجع الحضاري. ولقد مهدت هذه الأفكار لنشوء الحركة الفكرية، والنهضة العقلية التجديدية في معظم البلدان الإسلامية، ومنها بلادنا المغربية. فمن هذه الفكرة التجديدية السلفية الرشيدة والخصيفة، انطلقت الحركة السلفية في المغرب التي كانت الأساس القوي للحركة الوطنية المغربية، وللهذه المغربية على وجه العموم، وانبثق الوعي الديني الجديد، الذي سرى في الكيان الوطني المغربي، وكان الشرارة التي فجرت الثورة الوطنية المغربية ضد الاستعمار بكل أشكاله، من منطلق الإيمان بضرورة التحرر من التقليد الأعمى، ومما يجعله التقليد من آفات اجتماعية،

وعقد نفسية، وتراكمات تطمس صفاء العقيدة الإسلامية، وتضعف أثرها في النفوس. وبذلك تحرر العقل المسلم، وتحررت بالتالي الإرادة الوطنية من قيود ظلت مشدودة عدة قرون. وما ذلك إلا نتيجة حركة التجديد الديني السلفي التي قادها في المغرب رجال أفذاذ تشربوا الفكرة السلفية في ينايعها الثرية، وعقيدتها الصحيحة، وجوهرها الصافي، ومنهم عبد الله السنوسي، وأبو شعيب الدكالي، ومحمد بلعربي العلوي، هذه الصفوة الرائدة التي تتلمذت عليها طليعة الجهاد الوطني المغربي، والمنطلق من أساس الإصلاح الديني، وتجديد العقل الإسلامي، والتي يأتي في طليعتها علال الفاسي الذي يعد رمزا لتلاقي الفكر الوطني المغربي، والدعوة إلى تجديد الفكر الديني السلفي، ومثالا لامتراج الدعوتين الدينية التجديدية، والوطنية الإصلاحية، والوحدة الإنسانية المتجردة من العنصرية التفريقية في نسق فكري، عبرت عنه كتابات علال المنشورة في كتبه ومقالاته وبحوثه ومحاضراته.

يقول علال الفاسي معبرا أو في ما يكون التعبير عن اقتناعه بتجديد الفكر الديني على الأساس السلفي الراسخ: «إن الإسلام من بين الديانات الثلاث الكبرى، هو الذي لم يكن موجهها في بدايته لمقاومة أي عنصر، أو جنس، أو دولة، على وجه الأرض، وحرابه التي أعلنها لم تكن إلا دفاعا عن حرية العقيدة التي نادى بها. ولذلك فلم تكن مقاومة الأجنبي، من مبررات وجوده، أو حرية وجوده المبرر لبعض المقاومات التي قام بها في ظروفه التاريخية. وهذه نقطة عميقة لم أر من تنبه لها من قبل، سواء ممن كتبوا عن الإسلام من الغربيين، أو ممن دافعوا عنه من المسلمين، وأنا لا أقصد منها، إلا انتزاع نقطة البداية في الفكر الإسلامي، وهي الثورة على المجتمع الفاسد، وتحرير العقل من سيطرة أي طغيان ينومه، ويلقي بأصحابه في أحضان المستغلين، وباعتبار هذه النقطة، كمبدأ أساسي، تلتقي عنده سائر الغايات، وتتركز فيه كل الاتجاهات، ولذلك ففكرنا الإسلامي يجب أن يتجه اليوم قبل كل شيء، إلى إصلاح حالتنا، وتحرير أمتنا من عبث الذين يعبدونها للخرافات والأوهام، وإنقاذها من كثير من التقاليد البالية التي تمنعها من التقدم والرقي، وتحول بين عقلها وبين التفتح لأسرار الكون، ومعالم الإيمان،

وتمنعها من تغيير ذهنيها التي تكونت تدريجيا في عهد الانحطاط الأخير وتكييفها على الصفة التي تقتضيها روح العصر<sup>(1)</sup>.

ويرى علال الفاسي أن من مستلزمات تجديد العقل الإسلامي، بث روح المقاومة في الأمة، ضد كل أرسقراطية قائمة على سيطرة المال، وعبادة المادة، لأن هذه الأرسقراطية - كما يقول - هي التي تكون أصنام الأحياء على صورة عجل الذهب الموسوي. وهؤلاء لا يقبلون متى تحكموا في المجتمع، إلا أن تسخر لهم الشعوب وتخضع لهم الرقاب<sup>(2)</sup>.

فتجديد الفكر الديني السلفي عند علال الفاسي، يبدأ بتحرير العقل، وتحرير الإرادة، وتحرير المجتمع من طغيان الأوثان الجديدة. وبذلك تلتقي فكرة الوطنية، التي هي التعبير العملي للجهاد في المفهوم الإسلامي في بعض مستوياته، بدعوة التجديد الديني السلفي، بحيث تمتزج الفكرتان وترتبط الدعوتان، وتندرجان معا في نسق فكري متماسك يقوم على قاعدة إيمانية راسخة.

وهذا التحرير الإسلامي للعقل ولفعل الإنساني، هو القصد الأول من حركة تجديد الفكر الديني السلفي، وهو حجر الزاوية في البناء الفكري التجديدي، الذي عمل المفكرون والمصلحون من رجالات الأمة من أجل إقامته في أرض الواقع. يقول جمال الدين الأفغاني: «إن الإسلام وحده من بين الأديان الكبرى، الذي يحرر العقل البشري من الأوهام والخرافات، ويسمح له بإنماء جميع مواهبه، وما من دين آخر يعلم بهذا الشكل، أن العقل قادر على معرفة كل شيء، وامتحان كل شيء».

ولا يكون تجديد أمر الدين، الذي هو أمر نبوي كما رأينا، استنادا إلى الحديث الشريف الذي أوردناه، إلا بإعادة الاعتبار للعقل البشري، الذي خلقه الله للتفكير والتأمل والتدبر، وهداية الإنسان - على ضوء الوحي

(1) النقد الذاتي، ص 117.

(2) المصدر نفسه، ص 117.

الإلهي - إلى سواء السبيل في كل شأن من شؤون الحياة. لأن تطور الفكر الإنساني الذي يؤدي إلى تطور المجتمعات الإنسانية - يقتضي استمرار التجديد على جميع المستويات، ومنها المستوى الديني في كل العصور، لأن هذا التجديد العميق القائم على أساس من الدين متين، هو الذي يحول دون «ركود الأفكار» وجمودها، وانحراف المجتمعات وسقوطها في وهدة الخمول والضعف والانهيال. ولذلك فإن التجديد الديني، هو إحياء للاجتهاد في إطار الضوابط الشرعية، المستندة إلى الثوابت الدينية. لأن الجمود يؤدي إلى إبطال دور العقل، مما يفضي إلى تعطيل الاجتهاد، الأمر الذي تكون عواقبه وخيمة وسيئة التأثير على المجتمع بصورة عامة.

وتجديد الفكر الديني السلفي، لا يعني الجمود عند المفهوم التقليدي للسلفية، ولكنه دعوة إلى إعمال العقل بالضوابط المقطوع بها من النصوص الشرعية، للوصول إلى ابتكار الحلول لمعالجة المشكلات التي يعاني منها الإنسان المسلم في حياته اليومية، وهي المشكلات التي تتراكم وتتفاقم كلما تعطل التجديد، أو تعثر، أو قل مفعوله، أو ضعف تأثيره. فليس القصد من التجديد مجرد القيام بنشاط اجتهادي عقلي، لتغيير النظام الفكري، وإنما القصد الشرعي في المقام الأول، هو الوقوف على حقائق الدين، بإزالة كل ما من شأنه أن يشوش على هذه الحقائق، أو يطمس معالمها، أو يحرفها عن أهدافها، وذلك للوصول إلى الصيغة المثلى لإحياء رسالة الدين في الحياة، وإلى تجديد وظيفته في التغيير الحضاري الذي يرتقي بالعقل، ويثري الوجدان، ويرشد الخطى، على طريق العمل الصالح الذي ينفع الناس ويمكث في الأرض.

إن المجتمع الإسلامي في حاجة مستمرة إلى تجديد الفكر الديني فيه، لا ليساير العصر، فليس في كل عصر ما يتفق ورسالة الدين، وإنما لإحياء وظيفة الدين الحنيف في بناء الحضارة، وإعمار الأرض، وإسعاد الإنسان. وفي العصر الراهن، تشتد الحاجة إلى تجديد الفكر الديني السلفي لمواجهة التحديات الجديدة التي لا تهدد الإنسان والمجتمع فحسب، وإنما تهدد أيضا الإيمان الديني، في هذه المرحلة التي يطبعها طغيان المادة، وجبروت القوة

الدولية، التي تمارس الهيمنة على الشعوب والأمم جميعا، وتسوقها إلى التهلكة التي تتمثل اليوم في أيديولوجية العولمة الكاسحة للأسواق، وللأفكار وللمجتمعات الإنسانية، دونما استثناء.

ولذلك فإن روح التجديد الديني السلفي تكمن في خدمة الإنسانية. وفي هذا السياق يقول علال الفاسي : «إن الفكر الإسلامي عمل لخدمة الإنسانية جمعاء، بالدعوة إلى التحرر الشامل، وعدم الاعتراف لأحد بوساطة غير طبيعية بين الخالق والمخلوقين، فمهمتنا إذن - يقول علال - أن نواصل الكفاح لينتصر هذا التحرير المقدس، ولتعم الإنسانية جمعاء، روحانية الإطمئنان للعقل، والإيمان بالاستقلال في النظر والسلوك. وعملنا ذلك لا يمكن أن يكون إلا جزءا من الكفاح البشري المتواصل، لنصرة الحرية، ولمقاومة الاستعباد، وذلك ما يستدعي اتصالا دائما بالفكر الإنساني في شتى أشكاله، وتعاوننا صادقا مع ذوي النية الحسنة في كل الدنيا، من غير مراعاة لأصولهم ولا اتجاهاتهم، ماداموا يحملون هذه العقيدة التي هي عقيدة الفطرة الصحيحة، وعقيدة الفكر الحر، والنظر المستقل، والتآخي البشري ونصر العدل، والكفاح ضد الطغيان، ولو لم يدخلوا في الإسلام ولم يعترفوا به كدين سماوي منزل، وليس في هذا إلا امتداد للتعاون الإنساني الذي بدأه الإسلام بين الشعوب التي انضمت إلى عقليته، وتأثرت بتوجيهاته التحريرية العظمى»<sup>(3)</sup>.

وعقيدة الفطرة الصحيحة، والفكر الحر، والتآخي البشري، هي روح تجديد الفكر الديني السلفي، وهي عقيدة الحاضر والمستقبل، وهي عقيدة الإنسانية إذا أرادت أن تتحرر من هيمنة العولمة الطاغية، ومن جبروتها. وليس تجديد الفكر الديني في عمقه وجوهره، إلا إحياء رسالة الإسلام الخالدة، وتمكينها من تحرير العقل الإنساني، من القيود التي تشده إلى الأرض، وتقهر في أعماقه إرادة الخير والفضيلة، والانطلاق لإعمار الأرض، ولصنع الحضارة، ولصياغة المستقبل المشرق للإنسانية جمعاء.

(3) المرجع السابق، ص 118.



## قضايا عامة :

- العمل على وضع ميثاق وحدوي إسلامي.
- ميثاق شرف للصحافة الإسلامية.
- افتتاحيات جريدة (الاستقلال) الناطقة بالفرنسية.
- الصهاينة يهدمون حي المغاربة بالقدس الشريف.
- خطاب في مؤتمر الحزب الفلاحي البلغاري.
- مع جمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا.
- خطاب إلى الأستاذ الدكتور صالح أوزجان.
- حديث في موقع (إسلام أون لاين).



## العمل على وضع ميثاق وحدوي إسلامي يضع وحدة العالم الإسلامي في نطاق التوجهات الإسلامية في مختلف المجالات

في بداية إطلالة القرن الخامس عشر الهجري، الذي نرجو أن يكون قرن التجديد والتقدم إلى الأمام بالنسبة للشعوب الإسلامية جميعها. تأتي هذه الصحوة الإسلامية التي بدأت بشاثرها تظهر في كثير من أنحاء المعمور، وهي صحوة نأمل أن تدرك فيها الشعوب الإسلامية رسالتها، وترجع إلى ربها رجعة صادقة مخلصنة، فتصلح شؤونها، وتهتم بقضاياها، وتقوي مركزها، وتحقق وحدتها، وتفرض وجودها، ويدرك المسؤولون في الدول الإسلامية، مسؤوليتهم التاريخية، فيقودون شعوبهم في طريق الحق والخير والتضامن الوثيق، لصالح المجتمع الإسلامي أولاً، والمجتمع الإنساني على العموم.

إنها مناسبة فريدة ليراجع المسؤولون في الدول الإسلامية قضاياهم وخططهم وسياستهم، فالظروف التي يجتازها العالم الآن، ظروف تنذر بالخطر الأكيد بالنسبة للعالم الإسلامي جميعه. فنحن نرى أن الدول الكبرى تتحفز لخوض معركة مصيرية، تريد أن تثبت بها سيطرتها، وتضمن مصالحها، وترتكز وجودها، وتحقق مطامحها. لقد ألفت هذه الدول الكبرى أن تتصرف في الشعوب الصغيرة وكأنها ملك لها، فتتعامل معها على أساس مصالحها أولاً وبالذات، ولا تلقى بالا، ولا تعير اهتماما لمصالح تلك الشعوب الصغرى مهما حرصت على مصالحها، أو ناضلت في سبيل الحفاظ على كيانها والدفاع عن حريتها، فالموازن التي تزن بها الدول الكبرى سير الأحداث،

ليس خير العالم الإنساني والمجتمعات البشرية، ولكنها الأنانية وحب السيطرة وبسط النفوذ، وضممان المصالح والمواقع الاستراتيجية.

إن الدول الكبرى تنسى كل المبادئ والشعارات التي تظل تتشدق بها طوال الأعوام والسنين، حينما ترى مصلحة لها ستتقلص، أو نفوذ لها سيضيع، وهكذا في لمح البصر، نرى أن الأرض بدلت غير الأرض، والمبادئ تنوسيت، والشعارات اختفت، ولم تبق طاغية إلا المصالح الخاصة التي لا بأس أن تداس معها مصالح كل الشعوب.

إن الهجوم الساحق والغاشم الذي وقع على بلاد «أفغانستان»، أعطى الدليل القاطع على أنه إذا ما رأت دولة كبرى مصلحة خاصة بها، فإنها تسير إليها محطمة كل ما يعترض طريقها، غير مبالية لا بمبادئ إنسانية، ولا بمواثيق دولية، ولا بما يدعونه بتقرير مصير الشعوب، إن حرية تقرير مصير الشعوب، يعترف بها إذا لم تعارض مع مصلحة دولة كبرى، أما إذا تعارضت، فإن الأوصياء هم الذين يقررون مصير تلك الشعوب، ولو كان هذا التقرير مقرونا بزحف من الطائرات والدبابات والجنود المختلين.

إن احتلال بلاد أفغانستان المسلمة، وفرض النظام الشيوعي الخاضع لموسكو عليها، يجب أن يفتح أعينا أعمها حب التحالف مع الأجنبي، والتعلق بهذا المعسكر أو ذاك. إنه ليس من الحق ولا من الصواب ولا من المنطق، أن يبقى اعتماد المسلمين على غيرهم لحماية ذمارهم، والدفاع عن حوزتهم، والضممان لعقيدتهم، فإذا كانت روسيا أتت بجحافلها وقذائفها لترمي إخواننا المسلمين الأفغانيين في عقر دارهم، وترابط بجيوشها في بلادهم، وتقتل المجاهدين الرافضين للوجود الشيوعي السوفيتي في أرضهم، فإن الموقف المساند لإسرائيل الذي تقفه أميركا، ونكرانها لحقوق الشعب الفلسطيني، وعملها على أن يبقى شذاذ الآفاق مدنسين لفلسطين، والقدس الشريف، والمسجد الأقصى، ثالث الحرمين، وأولى القبلتين، ومسرى الرسول محمد عليه السلام، إن موقفها هذا ينم أيضا عن بغض شديد للعرب والمسلمين، وتنكر لما تدعى من صداقتهم، والدفاع عن مصالحهم. إننا ونحن نستنكر الهجوم الظالم

على أفغانستان المسلمة، نستنكر في الوقت نفسه وبصيغة أقوى، الاحتلال الصهيوني البغيض لأراضي فلسطين الحبيبة، محملين المسؤولية الكبرى في هذا الاحتلال للولايات المتحدة الأمريكية، التي تبذل من مالها وعتادها ونفوذها ما من شأنه أن يبقى الوجود الصهيوني قائماً بالأراضي العربية المحتلة، وفي طليعتها أرض فلسطين، وأنه مهما بذلت أميركا من قول معسول، وتحجب إلى العرب والمسلمين في هذه الظروف الدقيقة التي يجتازها العالم الإنساني، فإن ذلك لا يغير من واقع نظرة المسلمين إليها، على أنها المسؤول الأول والأساسي في بقاء أرض فلسطين محتلة من طرف إسرائيل، وبقاء الشعب الفلسطيني مشرداً عن بلاده ووطنه، محروماً من تقرير مصيره لنفسه.

إن قادة العالم الإسلامي مطالبون في هذا الظرف بالذات، أن يصارحوا المسؤولين في المعسكرين، بأن المقاييس التي سيقيسون بها تعاملهم مع هذا المعسكر أو ذاك، هي المقاييس التي تضمن لهم حرياتهم الكاملة، دون ضغط من هنا أو هناك، وأن الصداقة الحقيقية التي يطمحون إليها مع الدول والحكومات، ليست صداقة العبد للسيد، ولا صداقة المحجور للوصي، ولكنها صداقة الند للند، إن الصديق الحقيقي للشعوب الإسلامية، هو الذي يساعدها على رفع الضيم عنها، ويعمل على تحريرها وتحرير أراضيها ومقدساتها من قبضة الغاصبين، سواء في أفغانستان وفلسطين، أو في غيرها من الشعوب التي سلط عليها أي نوع من أنواع الاستعمار.

إن هذه الصحوة الإسلامية التي بدأت تنطلق في هذا القطر أو ذاك من بلاد الإسلام، سواء في «إيران» الشقيقة، أو في باكستان أو غيرها، لا بد أن توتي ثمرتها، وإن الشعوب الإسلامية مقبلة إن شاء الله على تلاقٍ يضمن لها تحقيق ما تصبو إليه من عزة ومنعة وكرامة وإعادة لمجدها الضائع، إن هذه الصحوة الإسلامية ليست صحوة مستوردة، ولا نابعة من تأثيرات أجنبية، أو خاضعة لتيارات خارجية، ولكنها نابعة من شعور دفين، ناشئ عن أزمة حضارية يحس بها ضمير كل مسلم في البلاد والمجتمعات الإسلامية، فالشعوب الإسلامية بعد ما مضت فترات على تحررها من قبضة الاستعمار

الأجنبي، أصبحت ترى ضرورة رجوعها إلى هويتها الحقيقية، وذاتيتها الأصيلة، والوقوف ضد الانسياق مع الأسس الحضارية الغربية الأجنبية، التي لا تتلاءم إطلاقاً مع الأسس الحضارية الإسلامية، وهذا ما يفسر المد الفكري الإسلامي الذي أصبحنا نلاحظه والحمد لله، في كثير من الأقطار الإسلامية، سواء في المشرق أو المغرب، والذي بدت طلائعه تظهر للعيان منذ سنوات، هذا المد الإسلامي الذي يهدف إلى إرجاع تعامل البلاد الإسلامية مع حقيقتها، وعدم تنكرها لمصادر هديها، وإبعادها عن أفكار التخريب والتبعية التي فرضت عليها في ظروف خاصة، اقتضتها تطورات وظروف وارتباطات، لا مجال للتوسع فيها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن ارتباط العالم الإنساني بعضه ببعض، والتطورات التي تحدث في هذا البلد أو ذلك، جعل المجتمعات الإسلامية تتأثر بدورها بهذه التطورات، وتتفاعل مع بعض النظريات الاجتماعية والاقتصادية، التي تهدف إلى تحقيق عدالة اجتماعية، تذوب معها الفوارق الاجتماعية، ويضمن معها تكافؤ الفرص أمام مختلف الطبقات، فالتركيب المجتمعي في العهد الحاضر، لم يبق قابلاً لما كان عليه الحال في الماضي، وجميع الطبقات الشعبية، تطمح إلى العيش الكريم، والحياة السعيدة، وإذابة الفوارق الاجتماعية الكبيرة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وإذا كان الإسلام دين العدل والحرية والكرامة، وإذا كانت المجتمعات الإسلامية تطمح إلى الرجوع إلى حقيقتها الإسلامية، فإن من جملة ما ترغب فيه الطبقات الشعبية الإسلامية، تحقيق عدل اجتماعي حقيقي، يستمد أصوله من التعاليم الإسلامية المثلى، ويضمن للجميع العيش في سلام وأمن واطمئنان، ويقيها عثرات التأثير بالمذاهب والادبيولوجيات المستوردة. إن الشعوب الإسلامية ترغب في الرجوع إلى حقيقتها الإسلامية، سواء في المجال الروحي، أو في المجال المادي، فالإسلام دين تربية روحية وإصلاح عقائدي، وتكوين خلقي، مثل ما هو دين حياتي، يهتم بشؤون الأفراد والجماعات، ويريد لها أن تعيش في راحة، وسعادة، وعدل، وأمان. فعلى قادة الشعوب الإسلامية أن يدرسوا ويأخذوا بعين الاعتبار هذه التطورات التي حدثت في المجتمعات التي يشرفون على تسييرها، وعليهم أن يستجيبوا لرغبات

شعوبهم في القيام بإصلاحات جوهرية تعيد الاطمئنان للنفوس، وتدفع بهذه الصحوة الإسلامية في طريقها السليم الصحيح، الذي لا يعرضها للهزات، والذي يقيها من العثرات والتأثيرات.

إن قادة الأمة الإسلامية مطالبون بدراسة التطورات المادية والفكرية التي تقع في بلدانهم، لا على أساس التخوف منها ومعاكستها، ولكن على أساس توجيهها التوجيه السليم والعناية بها، لتسير في الخط المستقيم الذي يضمن لها الرقي والتقدم والنجاح، فالاجتماعات التي يعقدها قادة الأمة الإسلامية - سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي - يجب أن تنفذ في دراستها إلى أعماق الحقائق، وتضع التخطيطات التي من شأنها أن تلبى رغبات الشعوب في تحقيق المطامح الحقيقية، وتعيد لها مكانتها في المجتمع الإنساني، وأنه لا يكفي مطلقاً أن يعقد هؤلاء القادة اجتماعات بمناسبة سياسية تقتضيها ظروف طارئة، أو أزمات وقتية، ولكن واجبههم وهم يتحملون مسؤولية تسيير شعوبهم وإعزازها والدفاع عن مصالحها، أن يدركوا أن مسؤوليتهم صعبة، وأن الأمانة التي يتحملونها، تقتضيهم أن يأخذوا بيد شعوبهم، حتى تظفر بحقوقها، وتحتل مكانها اللائق بها في مختلف الميادين الفكرية والمادية والروحية.

عليهم أن يعلموا أنهم مطالبون بالعمل على إيجاد مناخ إسلامي حقيقي، يحس فيه المسلمون بذاتيتهم الحقيقية، وقوتهم الفعالة، ووحدهم النضالية، للقيام بواجبهم في نشر المبادئ المثلى، وإعطاء المثال في تكوين المجتمعات الفاضلة.

وعلى رجال الدعوة والفكر الإسلامي أنفسهم، أن يتبينوا طريقهم، ويتعرفوا إلى مسؤولياتهم، ويجتنبوا كل ما من شأنه أن يعرقل أعمالهم، ويقف حجر عثرة أمام دعوتهم.

وأول ما يطالبون به، أن يكونوا ملتقين على كلمة سواء، وأن فكرة الدعوة إلى الله والحق، لا تتلاءم مع تطاحن رجال الحركة الإسلامية بعضهم بعضاً، وإن أي خلاف بينهم لا يستفيد منه إلا الخصوم المتربصون بالدعوة الإسلامية ورجالها، سواء من المستعمرين القدامى والجدد، أو من الذين

ورثوا أفكار الاستعماريين، وقاموا مقامهم من الذين ينتسبون للإسلام. ونرى أنه لا بد من العمل على إيجاد ميثاق إسلامي، تبلور فيه الأفكار والمبادئ الإسلامية الأساسية، التي يجب أن يلتقي حولها الجميع، ويتضامن على تحقيقها الجميع. انه لا يفيد الحركة الإسلامية ككل، ان تبقى مشتتة الجهود، مبعثرة الأفكار، كما لا يفيدها في شيء أن تشتغل ببعض الجزئيات، وتسلب جميع اهتماماتها عليها، مقاومة من لا يلتقي معها فيها، أو الذي لا يعطيها نفس الأهمية التي تعطيتها هي لها. فالمهم في نظرنا في هذه المرحلة هو العمل على خلق تيار إسلامي قوي، يعيد النور الإسلامي إلى القلوب، ويدفع بالمجتمعات الإسلامية إلى الارتباط القوي بحقيقتها الإسلامية، ارتباطا فكريا وروحيا ووجدانيا، بحيث يرفض كل ارتباط مع أية اديولوجية أو مذهبية غيره، ويرى أن نجاحه وتقدمه بالإسلام لا بغيره.

إن هذا الارتباط بالإسلام، سيجعل من المجتمعات الإسلامية مجتمعات قوية متماسكة، على أساس عقائدي صحيح، ويجعلها تسير في تطورها وتقدمها الحضاري والعلمي، طبق ما يدعو إليه الإسلام.

وإذا ما كنا نرى أن ديننا الإسلامي - كما هو الواقع - دين يسر ودين تسامح، فإن التزامنا بالإسلام، يفرض علينا أن نستقطب كل من يريد أن يعمل لصالح الفكرة الإسلامية، وإن خالفنا في بعض أفكاره الجزئية، وأن لا نتهم أيا كان بالانحراف والزيغ، مادام يتفق معنا بأن الحلول الحقيقية لمشاكلنا لا تتحقق إلا بالرجوع لحقيقتنا الإسلامية، والاستمداد في الإصلاح من أصول الإسلام.

فالتعصب لمذهب معين، والاعتقاد بصواب فكرة خاصة وحدها، ومقاومة فكرة الغير مهما كان يدلل عليها بأدلة إسلامية، وهجران من لا يقول بأفكارنا في بعض القضايا الجزئية. كل ذلك من شأنه أن يعرقل المد الإسلامي الذي نعمل على الدفع به دائما إلى الأمام. يجب أن يكون تصورنا للأفكار الإسلامية تصورا واضحا، ويجب أن نعلم أن نجاحنا في بث هذه الأفكار والدعوة إليها، يتوقف إلى حد بعيد على إبرازها إبرازا مشرقا مضيئا،



بحيث يرى فيها العدو قبل الصديق، النور الوضاء الذي يجب أن يستضيء به والمحجة البيضاء التي عليه أن يسير فيها.

يجب أن نظهر الإسلام بمظهره الحق، ويجب أن نعرف به التعريف السليم، فالإسلام ليس كما يتصوره بعض الحاقدين من الغربيين، دين الكراهية والحقد والحرب والتصادم مع المخالفين، ولكنه دين التسامح والمحبة والسلام والتعاون مع جميع من لا يسيئون إليه ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤوهم وتُقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ فإذا ما كنا نحن المسلمين نعمل جاهدين على إرجاع هويتنا وتحقيق ذاتيتنا، واسترجاع وحدتنا، وتثبيت التضامن فيما بيننا، فليس من قصدنا ولا من هدفنا الاضرار بغيرنا، أو أننا نسعى لنعيش منكمشين ومنعزلين عن غيرنا، ولكننا نريد في دائرة الحفاظ على شخصيتنا وعقيدتنا، أن نتعاون مع الجميع، ونمد يدنا للجميع، للدفع بالركب الحضاري الإنساني، وتحقيق العدل والكرامة لجميع بني الإنسان. بشرط أن لا يكون هذا التعاون مدعاة لاستغلالنا، وتسخير إمكانياتنا لفائدة غيرنا.

لقد كان كفاح الشعوب الإسلامية من أجل التحرير، كفاحا شاقا ومريرا، وبعد ما حصلت شعوبنا على استقلالها وظفرت بحريتها، صارت تتجه إلى القضاء على تخلفها في مختلف الميادين، وفي طليعتها الميدان الاقتصادي والثقافي والعلمي، لأنها أدركت أن بقاءها متخلفة في هذا الميدان، سيجعلها دائما تسير في تبعية للغير، وخاضعة لتوجيهات وسياسة هذا الغير، وهذا ما يتنافى مع استقلالها الحق، وتحررها الصحيح، ولذلك فإن هذه الشعوب تود من قاداتها والمسؤولين فيها، أن يسلكوا في تعاونهم وارتباطاتهم مع مختلف الدول، سياسة تتسم بعدم الانحياز وعدم التبعية، وأن تكون مواقفهم وقراراتهم نابعة من مبادئهم الإسلامية أولا، وخاضعة لمصالح شعوبهم الحقيقية ثانيا، وأن يرفضوا أية تأثيرات وضغوط خارجية تتعارض مع مصالح شعوبهم.

ومن هنا فإنه من واجب المسؤولين في الحكومات الإسلامية، أن يرفضوا التدخل في شؤونهم من طرف أية دولة مهما كانت عظيمة، وأن لا يستعملوا من طرف دولة أو غيرها في الزيادة في إضرار هذه الحرب الباردة التي يتطاحن فيها المعسكران، من أجل الحصول على مواقع استراتيجية أو مصالح بترولية، أو غير ذلك من الأسباب، لقد أفادتنا التجارب أن دول المعسكرين الشرقي والغربي، تسعيان السعي الحثيث للحفاظ على مصالحهما وتستعملان غيرهما من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، لضمان تلك المصالح، وتعدان وتمنيان تلك الشعوب بالأقويل المعسولة، والوعود الخداعة، حتى إذا ما وجدوا طريقا إلى تصفية الأجواء فيما بينهما، وتوصلوا إلى تنسيق سياستهما، وتوزيع غنائمهما مع بعضهما، نسيا تلك الوعود، ولم يباليا إلا بمصالحهما، وبقيت الشعوب المغلوبة على أمرها، تنتظر يوم البعث والنشور، لتحقيق تلك الوعود.

هذا من ناحية الخط السياسي الذي يجب أن يسير عليه المسؤولون في الدول الإسلامية، وأما من الناحية العملية، فيجب التفكير الجدي في وضع تخطيط متكامل، يعطي لفكرة التضامن الإسلامي معناها الحقيقي، بحيث يتجلى هذا التضامن في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، والعسكرية، فكفى ما سارت فيه الدول والحكومات الإسلامية من تفريق وتشتيت، وكفى ما اتبعته في مقرراتها من وعود دون تطبيق.

إنه آن الأوان لتدخل الدول الإسلامية في معركة بناء صحيحة، ترمي إلى رفع مكانة الأمة الإسلامية، والدفع بها في ميادين التقدم العلمي والتقني والاقتصادي، إذ بدون هذا التقدم لا تستطيع أن تؤدي رسالتها الحضارية، ولا أن تفرض وجودها كقوة فعالة، لها تأثيرها في سير الأحداث العالمية.

إن اطلالة القرن الخامس عشر الهجري، يجب أن تذكرنا بالتخطيط الذي وضعه رسولنا الأمين عليه السلام لدى حلوله بالمدينة المنورة، لتثبيت أركان الدولة الإسلامية، ولضمان أداء رسالة الإسلام الخالدة، وإن مراجعة

للخطة العملية التي أراد عليه السلام أن تطبق مع مختلف المتساكنين، مسلمين وغير مسلمين، تنير لنا السبيل، لنعرف كيف نسير في حياتنا، لنعيد لدولة الإسلام مكانتها، ولنعطي المثال على أن دولة الإسلام الحقيقية، ستنقذ الإنسانية من هذبتها، وتضمن لها سعادتها، حيث يعيش العالم جميعه معها، في أمن وأمان، متعايشا مع بعضه بعضا، لا متطاحنا، ومتعاوننا، لا متخالفا مصداقا لقول الرب العظيم : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ وقوله : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدَاوِ﴾.

إن العالم الإنساني متطلع إلى هداية السماء، وإن المسلمين مطالبون بأن يعرفوا بحقيقة إسلامهم، ويوضحوا تعاليم الإسلام لمن لم يتسنَّ له أن يتعرف إليها، سواء في مجال القواعد الأخلاقية والروحية التي تبنى عليها المجتمعات، أو في المبادئ التي يجب أن تسيّر عليها الإنسانية في الميدان السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، هذه المبادئ التي إذا أحسن تطبيقها، فإن العالم الإنساني جميعه لا الإسلامي وحده، سيعيش في أمن واطمئنان، وتعاون ووثام وسعادة وسلام.

إننا نؤمل أن تكون سنتنا الحالية، بداية انطلاقة جديدة، يتحقق فيها التعاون الوثيق بين المسؤولين في الدول الإسلامية، سواء على مستوى الحكومات أو الشعوب، لبناء صرح الأمة الإسلامية التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الخير والحق، وتبتعد عن الفحشاء والبغضاء، وتدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتنفذ أمر الله في إقامة العدل والإحسان إلى الناس. وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق والصدق : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا، والحمد لله رب العالمين.

## ميثاق شرف للصحافة الإسلامية

عقد ممثلو الصحافة الإسلامية في بعض الأقطار الإسلامية، مؤتمراً تمهيدياً للصحافة الإسلامية في جزيرة قبرص التركية لدراسة موضوع التزام الصحف الإسلامية المختلفة بالخط الإسلامي الواضح البين، الخالي من الانحرافات الصحفية، والتوجهات غير الإسلامية. وقد نتج عن المناقشات والمذاكرات التي كانت إيجابية وهادفة، إصدار ميثاق وافقت عليه النخبة المشاركة في المؤتمر. وكلفتُ بتحضير مشروع للميثاق الشرفي للصحافة الإسلامية، هذا نصه :

الحمد لله الذي قال في كتابه الكريم : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن للصحافة دوراً هاماً في تطوير المجتمعات الإنسانية، وتكوين المجتمع السليم، المتعاون على الحق، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن للصحافة الإسلامية بالإضافة إلى ذلك مهمة تنوير الأفكار بالحقائق الإسلامية، والتعريف بالمبادئ المحمدية، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والعمل على أن يسير العالم الإسلامي سيراً موحداً، يضمن إحقاق الحق والتعاون الوثيق، والتكاتف القوي، بين مختلف أفراد وجماعات الأمة الإسلامية ليتحقق أمر الله القائل : ﴿وَأَنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وليدراً عن هذه الأمة كل خطر يهددها في عقيدتها، وحضارتها، وقيمها، وأراضيها، حتى تستطيع أن تقوم بدورها وتساهم المساهمة الفعالة في بناء الحضارة

الإنسانية، بناءً يقي المجتمع الإنساني من الانحراف والانحلال، ويحفظ الحضارة من التعثر والسقوط، ويضمن العدل والسلام بين بني الإنسان.

ولما كانت للكلمة النيرة، والقول السديد، مفعولهما في تحقيق ما ذكر، فإننا نحن الصحفيين المسلمين المجتمعين في المؤتمر التمهيدي للصحافة الإسلامية، بعد دراسة عميقة لواقع مهنتنا في إطارها الإسلامي العام، انتهينا إلى الاتفاق على ميثاق شرف، يلتزم به كل من يرغب طواعية في الانسحاب إلى عضوية مؤتمر الصحفيين المسلمين، التي أشرفت على تكوينها الأمانة العامة للصحافة الإسلامية، وفيما يلي نص الميثاق :

إن الصحافة الإسلامية، هي التي تلتزم التزاماً حقيقياً بالخط الإسلامي، فلا تحيد عنه مهما كانت الظروف، ومهما كانت التقلبات.

فإيمانها برسالة الإسلام، وأنه دين الله العام الخالد، يجعلها تخدم قضايا الفكر الإسلامي، وتناضل في سبيل عزة الإسلام، وتنور الأفكار بالمبادئ الإسلامية المثلى، وتعرف التعريف السليم بحقائق الإسلام.

والصحفي المسلم، يؤمنُ الإيمان الصادق، أن الإسلام دين الله الحق الذي ارتضاه للبشرية، لينقذها من وهدة الضلال، ويسير بها في طريق الحق والخير، والتعاون على البر والتقوى، كما يؤمن بأن تطورات المجتمعات الإنسانية لما هو أفضل وأسعد، متوقفة على اتباع الصراط المستقيم الذي هو دين الله، دون الانعراج في السبل المضللة، والانحرافات المتيهة ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴿ ولذلك فإنه يلتزم بأن تعكس الصحافة التي يعمل بها، الأفكار والمبادئ الإسلامية التي يؤمن بها، وأن يجعل من صحيفته مرآة صافية لهذه الأفكار والمبادئ، إن الإسلام كدين، وحضارة، شرط أساسي حتمي في بقاء شخصيتنا الإسلامية، واستمرارنا كأمة وثقافة، وعدم انصهارنا وذوباننا في غيرنا من الأمم والحضارات والثقافات، وتجاوباً مع هذه المعطيات فإن الصحفي المسلم ملتزم بـ:

(1) أن يرد الرد السليم المقنع على كل الشبه والضلالات التي يثيرها وينشرها خصوم الإسلام، والجاهلون بحقيقة الإسلام، مستعملاً الأسلوب الرزين، والحجة القوية، والمنطق القويم.

(2) أن يهتم ويتبع التطورات التي تحدث في المجتمع الإسلامي في مختلف مجالات الحياة، فيؤيد الصالح الذي لا يتنافى مع روح الإسلام، ويرفض المصادم منها لتعاليم الإسلام.

(3) أن يجعل من صحيفته، أو كتابته وسيلة لتطوير الأفكار، تطويراً من شأنه أن ينير الطريق أمام أبناء المجتمع، لإدراك حقائق دينهم، الداعية إلى الاهتمام بشؤون الدين والدنيا معاً.

(4) أن يلتزم بالدفاع عن القيم والمبادئ الإسلامية، رافضاً كل التصورات والمبادئ التي لا تتلاءم مع المبادئ والتصورات الإسلامية، سواء في الشكل أو المضمون.

(5) أن يعمل على تثبيت فكرة الأمة الإسلامية الموحدّة، المنزهة عن الإقليمية الضيقة، والتعصب الجنسي، أو القبلي.

(6) أن يسلط اهتمامه على قضايا المسلمين ومشاكلهم في مختلف أنحاء العالم، فيعرف بهذه القضايا ويدافع عنها، كما يدافع عن قضايا وطنه الصغير، باعتبار أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

(7) أن تعطي صحيفته التحليلات الضرورية، والتعليق الإضافية لكل قضية من هذه القضايا، حتى يكون تصور المجتمع الإسلامي والدولي لها، تصوراً سليماً غير متأثر بالدعايات والتصورات المغرضة.

(8) أن يعتمد في إعطائه الأخبار على المصادر الموثوق بها، وأن يوجهها التوجيه السليم، غير المتأثر بتوجيه الوكالات الأجنبية، وأن يغطي الأحداث التي تقع في البلاد الإسلامية تغطية كاملة مستوفية.

9) أن تمتنع صحيفته عن نشر أي خبر أو مقال من شأنهما أن يسيئا للمبادئ الإسلامية، وللمجموعة أو قطر إسلامي، وأن تكون داعية توحيد، لا داعية تفريق.

10) أن تكون لغة خطابه لغة يتجلى فيها التسامح، وعدم التعصب والتشنج المذهبي، حتى يصير المسلمون عملياً في طريق التعاون والبناء.

11) أن تكون مناقشته للأفكار المخالفة، مناقشة هادئة، تستعمل فيها طرق الإقناع، وأن تمزج بين العاطفة والعقل، ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

12) أن يعمل على خلق جو من التعاون الصادق مع إخوانه العاملين في مجال الإعلام الإسلامي، سواء منهم العاملون في الصحافة المكتوبة أو الناطقة.

إن للصحافة الإسلامية دوراً هاماً في تطوير المجتمع، ولذلك فهي مطالبة بالعمل على الرفع من مستوى الطبقات الشعبية، والاهتمام بقضاياها، كما أنها مطالبة بأن تعتني الاعتناء المستمر بتطويرها هي نفسها، وإخراجها إخراجاً فنياً لائقاً تظاهي فيه الصحافة المتطورة الكبرى، وتعطي بشكلها وموضوعاتها واهتماماتها، صورة مشرفة للصحافة الإسلامية كصحافة تنتمي لحظيرة الإسلام، وتلتزم بالعمل على مقتضاه.

إننا نحن الصحفيين المسلمين الموقعين على هذا الميثاق نلتزم بما جاء فيه، إنطلاقاً من شرف المسلم، وكرامة الرسالة التي تضطلع بها صحافتنا، والله سبحانه ولي التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

## عن افتتاحيات جريدة (الاستقلال) الأسبوعية<sup>(1)</sup>

بين يدي القارئ الكريم ست وخمسون مقالا افتتاحيا لجريدة الاستقلال الأسبوعية، التي كان يصدرها حزب الاستقلال، ويشرف عليها الإشراف الكامل، ويحرر مقالاتها الافتتاحية، أخونا المرحوم بكرم الله الأستاذ الرائد السيد عبد الرحيم بوعبيد.

والمقالات المذكورة، كانت وستبقى مثيرة للإعجاب والتقدير من جميع الذين أتيح لهم قراءتها والإطلاع عليها، لا من حيث المواضيع التي كانت تطرق، ولا من حيث الأسلوب الذي تعالج به تلك المواضيع. ولقد كانت شخصية الفقيه عبد الرحيم بوعبيد تتجلى واضحة فيما كان يحرره قلمه الفياض، وأسلوبه البارع في التشخيص، ووطنيته الصادقة في التعبير، وفكره الناضج في الإقناع، وحيث أن الجريدة أنشئت أساسا لمخاطبة الرأي العام الفرنسي في الداخل والخارج، فقد نهج عبد الرحيم في كتابته نهج القائد السياسي المحنك، الذي عرف كيف يخاطب الرأي العام الفرنسي بالأسلوب والطريقة التي تؤثر عليه، وتنفذ إلى أعماق فكره، وتفحم المغالين الاستعماريين الذين يعملون على تشويه الحقائق وإظهارها بغير ما تهدف إليه، فكانوا يصورون لأبناء جلدتهم، صورة الحركة الوطنية المغربية، بحركة مخيفة، ويشوهون النوايا الصادقة والمخلصة لما تهدف إليه، من إيجاد مناخ صالح، وتفاهم صادق لتحقيق ما يطمح إليه الشعب المغربي من حرية حقيقية،

---

(1) نظراً لأهمية افتتاحية جريدة (الاستقلال) الأسبوعية الفرنسية، وجمعها في كتاب خاص، كتبت مقدمة الكتاب الذي صدرت فيه، تلبية لرغبة أسرة المرحوم عبد الرحيم بوعبيد.



وإصلاحات عميقة، تزيل كابوس الاحتلال، المكتمل للأفواه، والقامع للمواطنين، وتفتح الطريق لخلق تعاون صادق بين المغرب وفرنسا. يضمن تمتيع المغاربة باستقلالهم وحريتهم، ويضمن للفرنسيين الحفاظ على مصالحهم المشروعة التي لا تتصادم مع سيادة الأمة المغربية، وكرامتها التي يجب أن تبقى دائما مصونة. يقول عبد الرحيم في افتتاحية العدد الأول من جريدة الاستقلال بالحرف : (مهما كانت التطورات المقبلة للأزمة، فإن إرادتنا في التوصل إلى اتفاق بين المغرب وفرنسا، تظل قوية وراسخة، فنحن لسنا من الدعاة المتعصبين لوطنية متجاوزة، ولم يسبق لنا أبدا أن أدرجنا ضمن برنامجنا إلقاء الفرنسيين في البحر، ولدينا وعي واضح بحاجة كل الأمم في الظرفية العالمية الراهنة، إلى العيش في نظام من الترابط على المستويات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية).

إن الفكرة الأساسية التي يدعو إليها الفرنسيين لتحقيق الأهداف الوطنية، والتي تتجلى في كل تحليلاته ومقالاته : هي الدعوة إلى لغة الحوار والتعاون، بدل التعنت والضغط والإرهاق، ويذكروهم دائما بأن قرن الغزو الاستعماري للبلدان الضعيفة، قد انتهى دون رجعة، وأن المفاهيم السابقة للحرب التي تجري الآن، يجب أن تمحى من العقول والأفكار، لتحل محلها مفاهيم جديدة، لا تتنكر أبدا لرغبات الشعوب في الحرية والانعقاد.

فالعلاقة بين الشعوب كيفما كانت قوية أو ضعيفة، أوروبية أو غير أوروبية، لا يعقل أن تبنى على أساس سيد ومسود، وحر وفاقد للحرية، بل يجب أن تبنى على أساس من التعاون الوثيق، المبني على الحق والإنصاف، وإعطاء الحقوق، كل الحقوق لأصحابها، والمبادئ المثلى التي ناضل من أجلها المناضلون، وجاهد في سبيلها المجاهدون في كثير من الأقطار، والتي أعطت فرنسا المثل في الدفاع عنها فيما كتبه وخطب به أدباؤها اللامعون، وزعمائها الأحرار، يجب أن لا تغطى بالتضليلات، والأكاذيب التي تقوم بها الفئات الاستعمارية التي ابتليت بعض الشعوب بوجودها بين ظهرانيها.

لقد أكد فيما كتبه وحرره من مقالات، أن الفرنسيين يفخرون بأنهم دعاة الحرية والمساواة بين الشعوب على اختلاف أجناسها وألوانها

وادياناتها، ولكنه أكد أيضا أنه يجب أن لا تكون ادعاءاتهم مطلق كلام، لا مدلول له في الواقع الملموس، فالمقياس الحقيقي لصدق الأقوال، هو التطبيق الواقعي لما يدعون أنهم دعائه، ونحن نشاهد ونعيش في بلادنا أوضاعا تتناقض التناقض الكلي مع ما يتفوهون به. إن الوقوف ضد مطامحنا المشروعة في الحرية والانعقاد، يؤكد أن ما يتفوهون به بالنسبة لنا، ولمن هم في مثل أوضاعنا، تظهر أن هناك تناقضا سافرا بين ما يقولون وما يفعلون، وأن ما يصرحون به مجرد تضليل، ومطلق كلام، عار عن الصدق والإنصاف والعدل. فمهما كتبوا في دساتيرهم وحرروا في موثيقهم من تعلق بمبادئ الحق والعدالة والمساواة، فإن اقتناعنا بصدق ذلك، متوقف على الاعتراف بحقوقنا الكاملة في الحرية والمساواة، إنهم يطلبون منا أن نكون معهم وبجانبهم في كل الظروف، ولكننا نصارحهم بأن تعاملنا معهم ووقوفنا بجانبهم، لا يكون صادقا إلا إذا اعترفوا لنا بحقنا في الحرية والاستقلال.

يمثل هذا المنطق كان المرحوم عبد الرحيم بوعبيد يتعامل مع الفرنسيين، فلا يقبل ادعاءاتهم كما فعل كيوم المقيم العام الفرنسي عندما قال : (إن فرنسا هي التي أعلنت مبادئ 1789) ولكنه يجيب قائلا : (نعم، ولكنكم الذين دستم بالأقدام حقوق الإنسان التي كان أجدادكم يدافعون عنها فالظالم التي يعاني منها شعبنا، والاضطهاد والتعسف اللذان يعاني منهما، الفلاحون الذين أرهقتهم الضرائب، ثم اغتصبت منهم أراضيهم، فاضطروا تحت عامل القهر والاضطهاد أن يهاجروا إلى المدن، ليبحثوا عن لقمة عيش لهم ولأبنائهم الذين شردوا أفضع تشريد. إن هذا وأمثاله لا يعطى الدليل على التمسك بالمبادئ التي قامت من أجلها الثورة الفرنسية سنة 1789، بل بالعكس من ذلك، يؤكد أن أصحاب هذه الدعاوي، تنكروا لمبادئهم التنكر المخزي، وصارت أقوالهم وادعاءاتهم تناقض أفعالهم.

يقول عبد الرحيم ما معناه : (إن الفرنسيين الذين نستمتع لأساتذتهم يتحدثون من أعلى كراسيهم في الجامعات يخاطبون عقولنا وقلوبنا ويعلموننا مبادئ إنسانية كونية، نجد فيها انسيبتنا الخاصة، وقيمنا الخاصة

ليسوا بالطبع هم الذين يحكموننا ويتحكمون في مصيرنا، ويتكبرون لكل المبادئ التي ناضل من أجلها مفكروهم الأحرار).

لا أستطيع في هذه العجالة أن أتعرض لكل الأفكار التي وردت في المقالات الافتتاحية التي حررها عبد الرحيم بوعبيد لجريدة الاستقلال، ولكنني مؤمن كل الإيمان أن المنطق الذي كان يتحدث به، والأسلوب المقنع الذي كان يستعمله، يعطي صورة واضحة عن وطنيته الصادقة من جهة، وحزمه ونضاله المستميت في الدفاع عن قضايا بلاده من جهة أخرى.

ومن أجل أن ندرك تمام الإدراك الأهداف التي كانت ترمي إليها كتاباته، لا بد أن نرجع إلى الظروف التي كتبت فيها، والحالة التي كان عليها المغرب إذ ذاك.

فمن المعروف أن المغرب كان يعيش أزمة خانقة منذ تولي الجنرال جوان الإقامة العامة الفرنسية بعد إقالة المقيم العام «إريك لابون» وإثر رحلة صاحب الجلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس إلى مدينة طنجة، في أبريل 1947، فقد كانت مهمة جوان الأساسية في نظره ونظر حكومة فرنسا التي عينته، هي تطبيق برنامج خاص من شأنه أن يفقد المغرب كل وجوده وسيادته، ويدرجه طائعا أو مكرها في الوحدة الفرنسية التي يفقد معها شخصيته الدولية والمعترف بها من القانون الدولي العام.

وأول ما كان يهدف إليه جوان هو صدُّ المغاربة ملكا وشعبا عن فكرة الاستقلال، ونزع السلطة التشريعية من يد صاحب الجلالة الملك، وتغيير نظام البلديات بإشراك الفرنسيين قانونيا فيها، وإعطاء مجلس شورى الحكومة الذي كان بيد المعمرين وأرباب رؤوس الأموال الفرنسيين صفة المجلس النيابي الذي له حق التقرير إلى آخر البرنامج الخطير الذي أتى به، والذي قاومه جلالته محمد الخامس، وحزب الاستقلال، بكل الإمكانيات التي كانت لدينا إذ ذاك.

ولقد اشتدت الأزمة بين الحزب وجمالة الملك من جهة، وبين الإقامة العامة من جهة أخرى. وتطورت عدة تطورات، وقدمت فيها عدة مذكرات، سواء من طرف جمالة الملك، أو من جانب حزب الاستقلال.

وأمام تصلب الإقامة العامة ضد مطالب الشعب المغربي، واستعمالها لوسائل الضغط، والإرهاب، والسجن، والنفي، والإبعاد، واستخدام وسائل الدعاية التي كانت تملكها ضدا على الملك والحزب، والدفع بالخائن التهامي الكلاوي للقيام بحركته العدائية ضد الملك والشعب، وطرد الأعضاء الاستقاليين من مجلس شورى المقيم، وأخيرا تهديد الملك بتنحيته من عرشه في المقابلة التي كانت بينه وبين جوان، والتي طلب منه فيها التبرؤ من حزب الاستقلال، وتطبيق البرنامج الذي كان يريد تطبيقه، والذي أشرنا إلى بعضه قبلا، ثم تطويق القصر الملكي بالجيش الفرنسي، إلى آخر ما وقع من أحداث خطيرة، سواء في عهد جوان، أو في عهد الجنرال كيوم الذي أتى بعده، إلى أن بلغ السيل الزبى، بإلقاء القبض على أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب وتقديمهم للمحكمة العسكرية بتهمة التآمر على سلامة الدولة، ثم نفي محمد الخامس إلى كورسيكا وانتسابي، وقيام حركة المقاومة التي قلبت الأوضاع، وأجبرت السلطات الفرنسية على الاعتراف بالاستقلال.

في هذا الجو المشحون بالأحداث المتعاقبة، والمؤامرات المدبرة، كان عبد الرحيم يحرق مقالاته المذكورة، والتي كان يبين فيها - كما ذكرت من قبل - عن دهاء سياسي، وأسلوب حكيم في الخطاب، لا يتنكر للمبادئ، ولا يذهب مع العاطفة المتأججة.

ولكي ندرك تبصر عبد الرحيم فيما كان يكتبه ويحرره، نلاحظ أن آخر مقال كتبه في افتتاحية «الاستقلال» الصادر بتاريخ سادس دجنبر 1952 وهو اليوم الذي يأتي بعد اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد بتونس، تحدث فيه وكان الأحداث التي تجري، لم تتغير عما سبقها، فلقد تناول القضية التونسية، وعرضها أمام اللجنة السياسية للأمم المتحدة، فكان من جملة ما قال :

لقد خلق تدخل السيد محمد ظفر الله خان وزير الشؤون الخارجية الباكستاني في رأي الجميع، انطبعا قويا، فقد وضع مندوب الباكستان أولا، المناقشات في إطار مبادئ ميثاق الأمم المتحدة، والمبادئ المثبتة في الدستور

الفرنسي نفسه، والنبرة المعتدلة والهادئة للخطيب، وحرصه الواضح على إيجاد حل مطابق لروح العدل، ولكن مع أخذ معطيات المشكل بعين الاعتبار، وعلى الخصوص ضرورة ضمان المصالح الفرنسية بتونس، كل هذه العناصر، لا يمكن إلا أن تكشف عن الطابع السلبي والمطلق للموقف (الفرنسي) وهكذا نرى أنه يريد أن يستفيد من جميع المعطيات التي جددت، ليكر على الخصوم المتشددين بنفس الطريقة التي نهجها في كل كتاباته، والمتسمة بالحكمة والتبصر، ومحاولة إقناع الخصم بالأسلوب اللائق.

ومن المحقق أن عبد الرحيم كتب هذا المقال الأخير قبل اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد، ولذلك كان خطابه بالشكل والأسلوب الذي ظهر به، إلا أنه يتخذ موقفا قويا وصلبا عندما يبلغه خبر اغتيال فرحات حشاد في تونس، فيدخل علينا ونحن في إدارة الحزب بزنفة ديبلوايي بشارع تمارة، وهو هائج قائلاً : لا بد من اتخاذ موقف صارم من طرف الحزب ضد الاعتداء الصارخ على تونس، فنتبادل الرأي مع بعضنا البعض، نحن أربعة أو خمسة أشخاص من أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب، ونتخذ قرار الدعوة إلى الإضراب العام، تضامنا مع تونس، وأكلف بتحرير الخطاب الذي وجه إلى فروع الحزب للإعلان عن الإضراب العام يوم الثامن من دجنبر 1952 ويحمل هذا الخطاب في ذلك المساء نفسه بعض الأخوة الوطنيين إلى الفروع الأساسية لتعمل على تنظيم الإضراب، وبعد يومين على تنفيذ الإضراب يلقي القبض على أعضاء اللجنة التنفيذية، ومن ضمنهم عبد الرحيم بوعبيد وتأخذ الأزمة طوقا أخرى يطول الحديث عنها.

رحم الله أخانا عبد الرحيم الوطني الصلب، والسياسي الحكيم،  
والمفكر البعيد النظر.

أبو بكر القادري

7 دجنبر 1996م

## تقديم لكتاب :

### تطور الممارسة الديمقراطية بالمغرب (\*)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيد المرسلين وآله وصحبه.

جاء في وثيقة المطالبة بالاستقلال، المؤرخة بحادي عشر يناير 1944 والمقدمة إلى جلالة الملك المرحوم سيدي محمد الخامس، وإلى المقيم العام الفرنسي، وممثلي الدول الأجنبية بالمغرب، بعد المطالبة بالاستقلال ما يلي : (2- فيما يرجع للسياسة الداخلية : أن يلتمس من جلالتة أن يشمل برعايته حركة الإصلاح التي يتوقف عليها المغرب في داخله، ويكل لنظره السديد، إحداث نظام سياسي شوري، شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية بالشرق، تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب، وسائر طبقاته وتحدد فيه واجبات الجميع).

وهكذا نرى بوضوح كامل، أن وثيقة المطالبة بالاستقلال والحرية، أكدت أن يكون الاستقلال مدعماً بشروطه الداخلية، وهي تمتيع الشعب بحقوقه كلها، وفي طليعة هذه الحقوق، وعلى رأسها، تنظيم البلاد على أسس ديمقراطية شورية، وذلك بوضع دستور شوري سليم، ينعم في ظلّه المواطنون جميعهم بحريتهم الكاملة، لتسيير شؤون بلادهم، وتقرير ما يرونه صالحاً لبلادهم، والنهوض بها في مختلف مجالات الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والقضائية، في دائرة تعاليم الإسلام، الداعي إلى الشورى والعدل والإحسان. ويجب أن نشير هنا، إلى أن وثيقة

---

(\*) من تأليف الأستاذين محمد التطواني وعيسى العربي.

المطالبة بالاستقلال، كانت محررة من طرف نخبة صالحة صادقة من المواطنين الأحرار، ومعرضة قبل تقديمها لمن يهمهم الأمر : على جلاله الملك المنعم سيدي محمد الخامس، الذي وافق على كل ما فيها من بنود. ومن هنا، فإن وثيقة المطالبة بالاستقلال والدستور، كانت وثيقة تاريخية عز نظيرها، حيث كانت وثيقة جماعية، التقى فيها نظر الشعب، ونظر رائده وملكه المفدى، رمز البلاد، وعزتها، وكرامتها، وإمارتها الدينية والدينية. فجلالته رحمه الله، كان يرى في الملكية أمانة مقدسة، ولذلك فيجب أن تكون ملكية دستورية، حسب منطق العصر وروحه الذي هو عصر الشعوب، وعصر الحريات الأساسية التي ترتقي بالشعوب في ميادين التقدم والنماء.

والإسلام الذي دعا إلى الشورى الحقيقية، لدى دراسة مصالح الأمة، ترك قضية تنظيمها حسب التطور الذي تتطوره الإنسانية، فلم يقيد بها بأي شكل من الأشكال، وإنما يأتي تنظيمها في مساطر وقواعد، حسب ما يحقق مطامح الشعوب في العدل، والحرية، والمساواة، ووفق ما ينظم العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، التنظيم الذي من شأنه، أن يضمن للحاكمين القيام بواجباتهم نحو مواطنيهم، ويضمن للمحكومين مراقبة الحاكمين في دائرة ما نص عليه دستور البلاد المقدس، باعتباره القانون الأساسي، الذي لا يجوز الانحراف عنه، ولا التخلي أو الابتعاد عما نص عليه. والمغرب البلد المسلم الذي التزم بالإسلام عقيدة وشرعية، وديناً ودولة، التزم مسيرته وملكه السابقون عن طريق البيعة الشرعية، بتطبيق مبدأ الشورى الذي طبّقه الخلفاء الراشدون، ومن أتى بعدهم من الحكام الصالحين، وتطبيق مبدأ الشورى لم يأخذ خلال التاريخ طريقة واحدة، ولا شكلاً موحداً، كان يتحقق بطريقة أو أخرى، حسب الظروف والتطورات التي تكون عليها البلاد. وإذا كان الغربيون لهم تجارب متعددة، وأشكال متنوعة، فيما يتعلق بتنظيمات بلادهم الديمقراطية، وتطويرها حسب منظورهم الخاص بهم، وحسب التجارب التاريخية التي مروا منها، فإننا كبداً إسلامي مرتبط بالإسلام، كان لنا تصورنا الخاص، فيما يتعلق بدولتنا، والأسس القويمية التي يجب أن ينظم عليها مجتمعنا، والعلاقات التي تربط بين حاكمينا ومحكومينا. فمناظورنا نحن

المسلمين إلى الدولة، يختلف في بعض الجهات عن منظور الغربيين، ووضعنا للدساتير، لا يقبل أن يغفل عن ارتباطنا بالدستور القرآني، الذي الترمناه عقيدة، وشريعة، وأحكاماً وأخلاقاً، إذ دولة الإسلام، ليست دولة علمانية، وليست دولة متمتعة تمنع التفكير والتجديد، فيما فيه مصلحة للمسلمين. ومن هنا كانت دولة الإسلام، دولة وسطاً، تبقى دائماً مرتبطة بالأسس التي أتت من السماء، ولا تنحرف عنها، وتعمل جادة فيما يتعلق بالتجديد والتقويم الذي يضمن مصالح العباد، وتحقيق رقيها وتقدمها وسعادة مواطنيها، وتصان فيه الحقوق والواجبات، وتنظم به علاقات الحاكمين والمحكومين، مثل ما تنظم في دائرته، علاقة الدولة بالمواثيق الدولية التي توافق عليها الدولة المعنية.

لقد وضعت الدساتير لدى الدول الراقية المتقدمة، ليقضى على الاستبداد والحكم المطلق، وليسير الحاكم والمحكوم في خط متوازن، كل واحد منهما يؤدي واجباته بنزاهة وتعاون وثيقين.

والمغرب البلد الإسلامي العريق، مرت به ظروف، كان يعتمد فيها على حل مشاكله الداخلية والخارجية على مبدأ الشورى، وكدليل على ذلك مؤخراً، ما كان لدى بعض ملوكه من مجالس، يرجع إليها الأمر في حل مشاكله، كمجلس الأعيان الذي كان في عهد السلطان عبد العزيز، وكالهيئة التي كتبت البيعة في أول ولاية للسلطان عبد الحفيظ.

ولدى تولية الملك الصالح سيدي محمد بن يوسف، مقاليد الملك، كان يفتنم كل فرصة ليؤكد أن النظام الديمقراطي، هو النظام الصالح لتسيير شؤون البلاد، فلقد جاء في خطاب العرش الذي ألقاه جلالتة يوم 18 نوفمبر 1950، والدولة الاستعمارية آخذة بخناقها (أن أفضل حكم ينبغي أن تعيش في ظله بلاد تتمتع بسيادتها، وتمارس شؤونها بنفسها، هو الحكم الديمقراطي الذي تقوم عليه الدول المعاصرة، والذي يوافق مبادئ ديننا الحر الكريم). ثم أكد على ذلك في أول عهد بلاده بالاستقلال حيث قال في خطاب العرش يوم 18 نوفمبر 1955 : (إن أول خطوة يجب أن يخطوها مغرب الاستقلال هي تأسيس دولة عصرية مسؤولة، تعبر تعبيراً حقيقياً عن إرادة الشعب، وتجعل



من بين المهام التي تباشرها، مهمة وضع أنظمة ديمقراطية، على أساس الانتخاب، وفصل السلط، في إطار ملكية دستورية، قوامها الاعتراف لجميع المغاربة على اختلاف عقائدهم، بحقوق المواطن، وبالحرية العامة والنقابية).

وحتى لا يكون تطبيق مبدأ الديمقراطية، مجرد أمنية لم تدخل في التطبيق، وحتى يضمن لتطبيق الديمقراطية النجاح المطلوب، قرر رحمه الله، ورضي عنه، أن يقع التطبيق بالتدرج، حتى لا تفشل الخطة، وتقع النكسة، وهكذا أعطى أوامره في السنة الأولى للاستقلال، بتكوين مجلس وطني استشاري في شهر غشت 1956. تتمثل فيه الهيآت الوطنية، والنقابية، والعلمية، والفلاحية، والتجارية، والصناعية، والطبية، والصيدلية، بالإضافة إلى ممثل للأقلية اليهودية.

وكان اختيار أعضاء هذه المجلس، بطريقة شبه انتخابية، حيث كانت كلُّ هيئة من الهيآت المذكورة، تقدم لجلالة الملك لائحتين يختار منهما من يوافق على تعيينه، حسب ما تضبطه القوانين والظواهر الشريفة، وهكذا كان المجلس المذكور، يمثل الشرائح المجتمعية المغربية كلها دون استثناء، ويعطي صورة مشرفة عن تكوينه وتمثيله، وطابعه شبه الديمقراطي، في انتظار مرور المرحلة التجريبية التي أرادها جلالة الملك، ووافقت عليها كل الهيآت الوطنية، ليصبح مجلساً نيابياً منتخباً انتخاباً حراً، مثل ما يوجد في البلدان الديمقراطية العصرية.

والواقع أن هذا المجلس بعد تكوينه، وانتخاب لجانه ومجالسه، صار يؤدي رسالته التمثيلية أحسن أداء، وكان تكوينه تجربة ناجحة كل النجاح، وكانت العروض التي تعرض فيه من قبل رجال الحكومة، تناقش المناقشة الحرة النزيهة بكل شفافية، وتبصر، وخبرة، وإتقان.

ورغمًا عن صفته الاستشارية، وطابعه غير التقريري، فقد كانت تعرض عليه ميزانية الدولة العامة والإضافية، وجميع القضايا التي تهم مصلحة البلاد، ويرى جلالة الملك مصلحة في عرضها عليه.

والشيء الذي كان يثلج الصدر، ويريح الفكر، أن تركيبة المجلس، لم تكن من منطلق فكري واحد، وإنما كانت تمثل جميع الاتجاهات الفكرية، وكانت المناقشات فيه حرة، يستطيع كل ذي فكر أن يعبر عن فكره واتجاهه كما يرى، وأستطيع أن أقول : إننا عشنا فترة اجتماعاته مرتاحين كل الارتياح، سواء لدى دراستنا لبعض القضايا التي تعرض للدراسة، أو للجو العام الذي كانت تقع فيه الدراسة، سواء كانت القرارات تؤخذ بالاجماع، أو بالأغلبية، وكانت المعارضة الذي تقع فيه، يفسح لها المجال للتعبير عن رأيها بكل حرية ووفق ما تنص عليها القوانين التنظيمية التي نظمت تسييره، وكانت لجانه الثلاث، لجنة الشؤون السياسية والعامية، ولجنة الشؤون الاقتصادية، ولجنة الشؤون الاجتماعية، كل منها تقوم بمهمتها أحسن قيام.

لقد بقي المجلس الوطني الاستشاري يعقد جلساته، نحواً من سنتين ونصف، أي من 12 نونبر عام 1956م إلى 23 مايو 1959، ولولا ظروف استثنائية وقعت سنة 1959 عاقته عن السير، ل بقي يؤدي رسالته ومهمته إلى الشروع في تكوين المجلس النيابي المنتخب، والذي كان قاب قوسين من التكوين، بعد إقرار دستور للبلاد، ولكن الأقدار أرادت أن تتأخر الحياة البرلمانية المقررة، إلى ما بعد وفاة جلالة الملك المنعم سيدي محمد بن يوسف، وتولية جلالة الحسن الثاني، الذي أكد لنا إثر وفاة والده، وقبل دفنه، في اجتماع خاص عقدناه معه رحمه الله، أنه ملتزم بما التزم به والده من إقرار حياة نيابية، وتكوين دستور للبلاد، وهكذا كان أول دستور عرفته بلادنا في عهد الاستقلال، هو دستور سنة 1962 الذي أدخلت عليه عدة تعديلات، في سنوات 1970 و1972 و1992 ثم في سنة 1996 ولازال العمل به إلى حد الآن.

وبعد، فلقد وفق الله سبحانه وتعالى الشايبين الأستاذين السيد محمد بن أحمينا العلامة المؤرخ الفقيه السيد محمد التطواني، والأستاذ السيد عيسى العربي إلى وضع دراسة مفيدة، حول تطور الممارسة الديمقراطية بالمغرب، ستصدر إن شاء الله في عدة أجزاء، وها هو الجزء الأول الذي يتعلق بالمجلس الوطني الاستشاري بين أيدينا، نتصفحه ونستفيد مما جاء فيه من معلومات

وتدقيقات حول المجلس الوطني الاستشاري، ولقد جاء في مقدمته ما يلي :  
(لقد قطع المغرب منذ إحراره على الاستقلال في سنة 1956 أشواطاً مهمة على نهج الممارسة الديمقراطية، بحيث أصبح معه، يصنف ضمن الدول الرائدة في هذا المجال، ولاسيما على مستوى العالمين العربي والإسلامي، وعلى صعيد إفريقيا وبلدان العالم الثالث بوجه عام، ويتجلى هذا التطور الذي سلك فيه نهج التدرج، أولاً في تأسيس المجلس الوطني الاستشاري، منذ السنة الأولى من عهد الاستقلال)، إلى أن يقول : (ومساهمة منا في رصد هذا التطور الذي عرفته الممارسة الديمقراطية في بلادنا، وفي التعريف به، ونشره في أوساط المهتمين، فكرنا بعون الله وحسن توفيقه، في إصدار سلسلة من الأبحاث، نريدها أن تتمحور حول المؤسسات النيابية التي شهدتها هذه المرحلة، وتستعرض في نفس الوقت النصوص التشريعية، والتطبيقية، المنظمة للديمقراطية المحلية وتطبيقاتها)، وحسب ما جاء في نفس المقدمة، ستصدر هذه الدراسة في أربعة أجزاء، الجزء الأول منها الذي اطلعنا عليه، يتعلق بالمجلس الوطني الاستشاري، والذي نقدمه للقراء الكرام، شاكرين لواقعية الأستاذين محمد التطواني، وعيسى العربي، ما بذلاه من مجهود علمي، ودراسة موثقة، مدعمة بالنصوص والتشريعات التي صدرت في الموضوع.

ولقد ارتأى الأستاذان الباحثان، أن يخصصا الفصل الأول من الكتاب لدراسة الفكر الديمقراطي بالمغرب، خلال الفترة السابقة لتأسيس المجلس الوطني الاستشاري، فأتيا بدراسة مفيدة وواقية، عما عرفه المغرب في عهده السابقة، قبل الإسلام وبعد الإسلام من تطبيقات ديمقراطية، تجلت في حكم الجماعات التي (كان يجري انتخابها بطريقة أو بأخرى) أو لدى تنظيم الدولة المغربية بعد دخول الإسلام إلى المغرب، أو بعد ذلك قبيل عهد الحماية الأجنبية، سواء في عهد المولى عبد العزيز، أو عندما كان بعض النبهاء المغاربة في تلك الفترة يتقدمون به من مشاريع دستورية، أو إصلاحات في مختلف المجالات التي تدعو إلى الإصلاح والتجديد، وذلك قبل فرض الحماية على المغرب، إلى غير ذلك من المشاريع والإصلاحات التي أتت بها الظواهر والقرارات التي صدرت في عهد الحماية.

وأشار هذا الفصل المفيد، إلى التجربة الدستورية التي أراد البطل المغربي الخالد الذكر محمد بن عبد الكريم الخطابي، أن يقوم بها لدى قيامه بالثورة ضد الإسبانيين أولاً، وضدهم وضد الفرنسيين معهم.

كما أشار إلى الأحداث والمطالب التي وقعت إثر صدور الظهير البربري، وإلى المطالب التي تقدمت بها كتلة العمل الوطني سنة 1934، إلى غير ذلك من المواضيع التي تناولتها المقدمة.

والواقع أن الأستاذين الكريمين محمد التطواني وعيسى العربي بذلا جهداً كبيراً في إخراج هذا الجزء الأول من كتابهما (تطور الممارسة الديمقراطية بالمغرب) يستحقان عليه كل ثناء وتقدير، ونرجو الله، أن يمدهما بعونه، حتى يتم المشروع كاملاً، بإصدارهما الأجزاء الثلاثة الباقية بمعونته سبحانه وتعالى.

أبو بكر القادري

15 شوال الأبرك 1420هـ

22 يناير 2000م

## خطاب ألقيته في مؤتمر الحزب الفلاحي البلغاري بصوفيا<sup>(\*)</sup>

الحمد لله.

سيدي الرئيس.

الرفقاء الأعزاء.

اسمحوا لي قبل كل شيء، أن أعبر لكم عن تشكراتي وأصدقائي أعضاء الوفد المغربي، على دعوتكم لنا للحضور في مؤتمركم الثاني والثلاثين.

إن الروابط القديمة والمتينة بين حزب الاستقلال، والحزب الفلاحي البلغاري، لا تزيدها الأيام إلا متانة، وإن زيارة وفدكم للمغرب، وحضوره في المؤتمر الثامن لحزب الاستقلال، ترك أثرا عميقا في نفوس جميع المناضلين بحزبنا، كما أنه كان فرصة لزيادة التعرف على ما تبذله منظمتمكم الفلاحية القوية، من مجهود للرفع من قيمة الفلاح البلغاري، والنضال في سبيل إعزازه وكرامته، وتمتعه بجميع ما يضمن له التقدم والرفاهية.

وأغتتم هذه الفرصة لأحيي باسم رئيس حزبنا الأستاذ علال الفاسي وأعضائه، رئيس حزبكم الزعيم كيوركى رئيس جمهورية بلغاريا الشعبية. كما أحيي قائد الجماهير الفلاحية ببلدكم، الرفيق الكسندر شامبوليسكي.

إن اتصالاتنا المتوالية بمنظمتكم، وزيارة رئيس حزبنا لبلدكم، أعطيانا فكرة حقيقية على ما يبذله الحزب الفلاحي البلغاري الصديق، من نضال ومجهود، في مختلف الميادين، سواء منها الميدان السياسي أو الاجتماعي.

---

(\*) كان للحزب الفلاحي البلغاري علاقة بحزب الاستقلال. وقد حضرت هذا المؤتمر ممثلا للحزب.

وإذا ما تحققت في بلدكم عدالة اجتماعية، وإذا ما لاحظنا تقدما ملموسا لدى الشعب البلغاري، فإن ذلك يرجع أولا وبالذات لما بذله حزبكم مع الجبهة الوطنية من مجهود، لتحقيق الرفاهية والتقدم، والدفاع عن الأخوة والسلام.

لقد أعطت بلادكم المثل على تكاثف الجماهير والتحامها في جبهة وطنية، للنضال في سبيل ازدهار الحياة ببلدكم، وتطويرها وتنمية معطياتها.

وهكذا أصبحنا نرى هذا التقدم المشاهد في بلدكم وخاصة في الميدان الفلاحي، حتى أصبح هذا التطوير محط الأنظار، فلتهنأوا بما تحرزونه من تقدم لصالح شعبكم، ولنتمن من أعماقنا أن تزيد بلدكم تقدما، وجماهيركم التحاما، لخير شعبكم، وسعادة الإنسانية جمعاء.

سيدي الرئيس.

غير خاف عنكم، أن المغرب بدوره بلد فلاحي، إذ يمثل الفلاحون فيه نحو الثلثين من السكان، ولذلك فإن اهتمام حزب الاستقلال بالفلاح المغربي، يأخذ المرتبة الأولى.

لقد مرت على بلادنا فترة من الحياة، كان المغرب فيها في قبضة الاستعمار، وكان المعمرون الفرنسيون يأخذون بخناق الفلاحين المغاربة، فيستغلونهم أسوأ استغلال، ويستولون على أراضيهم، ويغصبون خيراتهم، ويسخرونهم لخدمتهم، كما تسخر الأنعام. وهكذا قاسى الفلاح المغربي الشدائد، وعانى من أنواع الفقر والبلاء والتشريد، ما تشيب لهوله الولدان.

وإذا كان الاستعمار الفرنسي ذهب إلى غير رجعة، فإن رواسته لازالت تعمل عملها، ولازال حزبنا يكافح ويناضل ليتحقق الشعار الذي أطلقه زعيم الحزب والذي يقول : (الأرض لمن يحراثها، لا لمن يغصبها). حتى يكمل تحرير بلادنا من كل استعمار، وحتى لا تقع في استعمار جديد، يتمثل في فيودالية تريد أن تنبعث من جديد.

إن حزب الاستقلال إذ يولي عنايته الكاملة لقضية الفلاحة والفلاحين بالمغرب، فإن ذلك اعترافا منه بما أسداه الفلاح المغربي لقضية الحرية والاستقلال من خير، وما بذله من مجهود لقضية بلاده.

إن للحزب برنامجا دقيقا للإصلاح الفلاحي، يشابه في كثير من نقطه، برنامج حزبكم، ويعطي الأهمية لإسعاد الفلاح المغربي من جهة، وتطوير الفلاحة على أسس حديثة من جهة أخرى، كما يبدي اهتمامه بسكان القرى وتمدينها، وإحداث صناعات فلاحية، تقوى التطور الفلاحي، وتدفع به إلى حياة أفضل.

ومن جملة عمل حزبنا في الميدان الفلاحي، تأسيس اتحاد فلاحى مغربى، سبق أن زار أحد رؤسائه بلادكم، ولازال يواصل عمله لتطوير الفلاحة بالمغرب، وتنمية وسائلها، واستعمال كل الوسائل الحديثة لرفع إنتاجها. كما أن حزبنا يعتمد كل الاعتماد على العامل الفلاحي الذي يستحق كل عناية واهتمام، والذي لولاه ما تقدمت فلاحة، ولا ازدهرت بلاد، ولا حصلت تنمية.

ومما يجب أن يسجل بهذه المناسبة بمداد الفخر، تلك الثورة الفلاحية الكبرى التي قام بها الحزب، عندما كان يشارك في تسيير شؤون الدولة، وأعني بها عملية الحرث الجماعي، تلك العملية التي تعتبر ثورة حقيقية في ميدان الزراعة والتكاثف الجماهيري، الذي أدرك بفضل تربية الحزب، الفوائد التي يجنيها الفلاحون الصغار بتكاتفهم وتعاونهم.

ولو أتيح لتلك العملية أن تستمر، ولو أتيح للقائمين عليها أن يستمروا في مراكز المسؤولية، لكانت نتيجتها فريدة مثيرة لكثير من الإعجاب. سيدي الرئيس.

إذا كان حزب الاستقلال جاهدا حتى تحررت بلادنا من قبضة المستعمرين، وإذا كان نضاله يتجلى في كثير من الجبهات، سواء منها الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية، فإنه يبدي العناية الكبرى لقضايا التحرر

من الامبريالية العالمية، والاستعمار الذي يريد أن يبرز في شكل جديد، وهو يعلن في كل الأوقات ولدى كل المناسبات، مناصرته لجميع القضايا التحررية في العالم، ويساند كل المساندة الشعوب المستضعفة، التي لازالت تعاني من غطرسة الاستعماريين والامبرياليين، وتكافح للتحرر من قبضتهم، يجب أن تكون مشاكل الشعوب المستضعفة، مشاكلنا نحن الذين عانينا من الاستعمار كل أنواع البلاء، ويجب أن تتضافر جهود العاملين للسلام والأمن الدوليين، حتى يرفع كابوس الظلم عن المنكوبين، وحتى تتحرر كل البلاد التي تعاني من سيطرة الغاصبين.

إن تعاون الامبريالية والاستعمار الصهيوني، يتجلى في احتلال أجزاء من تراب البلاد العربية، وتشريد شعب كامل من بلاده ووطنه، هو الشعب الفلسطيني المجاهد، والاستيلاء على بلاده بقوة الحديد والنار، وتكاثف قوى البغي والاستعمار ضده. وإن واجبنا كشعوب حرة، أن نقف وقفة صامدة بجانب المناضلين الفلسطينيين، ومساعدتهم على تحرير بلادهم، واستنكار كل أعمال العدوان التي يقومون بها.

إن التعاون الدولي، لا بد أن يقوم على أساس الحق والعدل، وأن السلام المنشود لدى جميع المخلصين، لا يتحقق إلا إذا ضمنت كل الشعوب حرية تقرير مصيرها، وإلا إذا رُفرت راية الحق والعدل والمساواة على الجميع.

فلتتكاثف جهودنا لتحقيق ما تصبو إليه شعوبنا من حرية وتقدم وسلام، ولنسر في طريق البناء والتشييد لفائدة الإنسانية جمعاء. ولأتمنّى في الأخير لمؤتمركم الثاني والثلاثين كل نجاح، ولأحیی بهذه المناسبة الشعب البلغاري الصديق، والاتحاد الفلاحي البلغاري، ولأشكركم على حسن ضيافتكم وجميل استقبالكم والسلام.



## مع جمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا

حضرة الأخ الإستاذ الدكتور يعقوب ميرزا رئيس جمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فلقد تشرفت باستدعائكم للحضور في الندوة السنوية السادسة عشرة التي ستعقد إن شاء الله بجامعة «انديانا» في «بلمونطن» بولاية «انديانا» حول الأسرة المسلمة في أمريكا الشمالي.

وإنني سلفاً أشكركم على هذه الالتفاتة الطيبة التي أبيتم إلا أن تشركوا أخاً من إخوانكم في المساهمة فيها.

وإنني أعتنم هذه الفرصة لأخبر إخوانكم، أنني سأعمل بحول الله على تلبية هذه الدعوة الكريمة، لأحضر مع إخوان لي في العقيدة والدين، لأساهم معهم في مناقشة إسلامية، تهدف إلى تصحيح أوضاع، وتخطيط طرق لبناء مجتمع إسلامي سليم. وهكذا أكون قد قدمت بمساندة إخوان لي يبذلون جهدهم الجهد للتعريف بقضية أساسية من القضايا التي يهتم بها دينهم الحنيف، والتي اهتم بها الرسول الأمين عليه السلام عندما أقام المجتمع الإسلامي الصحيح بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وسأشعركم بيوم وصولي عندما أقرر ذلك في الوقت المناسب.

تحياتي وإخواني أعضاء جمعية شباب النهضة الإسلامية لإخوتكم  
ولجميع أعضاء جمعيتكم وإلى اللقاء بحول الله.

أبوبكر القادري  
رئيس جمعية شباب النهضة الإسلامية بالمغرب

9 جمادى الأولى 1398هـ  
17 أبريل 1978م

## خطاب إلى الدكتور صالح أوزجان

الحمد لله وحده

الأخ الكريم الأستاذ الدكتور صالح أوزجان (تركيا).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد غيبة طويلة، استلمت كتابكم الكريم، فحمدت الله على سلامتكم وعافيتكم، ودعوت لكم بالتوفيق والسداد في كل أعمالكم.

لقد أتيت لي أن أزور المملكة العربية السعودية أواخر شهر مارس الماضي، حيث اغتنمت فرصة زيارتي للبنان، فاقتنصت بضعة أيام أدت فيها سنة العمرة، وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ثم اتصلت بالإخوان في الرابطة، حيث صادفت اجتماع المجلس الأعلى العالمي للمساجد، فدعيت للجلسة الافتتاحية التي انعقدت تحت رئاسة الأمير فواز.

لقد سررت من أن كمية من المصاحف الكريمة وجهت إلى مسلمي رومانيا، وبلغاريا، فرجو الله أن تكون فاتحة خير على أولئك الإخوان الذين نسيهم إخوانهم المسلمون، فتركوهم يرحلون تحت وطأة نظام، لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

أما قضية المصحف التي أشرت إليها في كتابك، فلقد وجهت ابني إلى الدار البيضاء، كي يتصل بصاحب المكتبة التي دفعت لها النموذج الذي صحبتته معك.

وبعد المذاكرة معه أرجع نسخة أخرى غير التي دفعت له، ولكنها أيضا من ترجمة الدكتور حميد الله. معذرا بأن عشرة دولارات للنسخة الواحدة تجعل بيعها عسيرا، حيث يلزمه صائر البريد من بيروت إلى المغرب، مع أن هذه النسخ نفسها تباع ببعض المكتبات بما يساوي هذا المقدار نفسه تقريبا. والحاصل أنه حسب ما يظهر، لا يود شراء أية أعداد من المصحف المذكور.

أرجو أن تبلغ سلامي وتحياتي لجميع أبنائكم البررة، ولجميع الإخوة الذين تعرفت عليهم ببلادكم، سائلا الله عزت قدرته أن يوفقنا وإياكم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين.

أخوكم :  
أبوبكر القادري

2 جمادى الأولى 1398هـ  
الإثنين :  
10 أبريل 1978م

## في موقع إسلام أون لاين

Islamonline. net

### حديث حول شخصية أبي بكر القادري :

أبو بكر القادري .. الثورة بالتعليم والثقافة

حنان أعميمي وبشرى مهيب

المغرب

2002 / 05 / 23

بعد وفاة المجدد العظيم، الشيخ «عبد القادر الكيلاني»، وهجوم التتار على بغداد، في القرنين السابع والثامن الهجريين، اضطر بعض أبناء الشيخ عبد القادر للهجرة إلى بلدان أخرى، فقصدت مجموعة منهم الأندلس، واستقرت بها، ومن هذه المجموعة تفرّعت الأسرة أكثر؛ فبعد سقوط غرناطة، وتعرض أهلها للاضطهاد في محاكم التفتيش، اضطر أحد فروعها للفرار إلى المغرب.

ومن هذا الفرع وُلد أبو بكر القادري سنة 1914، بعد سنتين من وقوع المغرب في براثن الاستعمار، ونشأ في أسرة متدينة؛ كان والده ملجأ لسكان مدينة «سلا»، ومرجعاً لهم في العديد من القضايا، لحل مشاكلهم وخلافاتهم، وبلغ من كثرة توافد المظلومين عليه بحثاً عن الإنصاف.. أن أصدر الملك مولاي حفيظ ظهيرا «بيانا» يتولى القادري الأب بموجبه العدالة في الرباط، لكنه رفض المنصب؛ لأنه لم يكن يحبّذ الاشتغال في وظيفة تابعة للسلطة.

توفي الوالد وعمر الصغير 8 سنوات، أثرت أيام اليتيم المبكرة بشكل بالغ على حياته.. فأصبح ذلك الطفل المثابر المجد، الذي تحمل المسؤولية قبل

الأوان، يعمل ويدرس في آن واحد، كما سنجد ذلك الطفل، مرهف الحس، الرافض لكل أشكال الظلم والاعتداء على الآخرين.

كفله أحد إخوته، وكان من الشباب العلماء؛ فرباه تربية دينية، حفظ القرآن على يده، وما زال أبو بكر يحفظه عن ظهر قلب؛ لأنه يخصص وقتا يوميا لمراجعتة.

بدايات النضال.. الطرد من المدرسة الفرنسية :

قرر أبو بكر القادري دخول مدرسة فرنسية لتعلم اللغة الفرنسية، رغم أن سنه قد وصلت 16 سنة؛ وهو ما يعني أنه سيزامل من هم أصغر منه كثيرا، لكن ذلك لم يؤلمه؛ لإصراره على تحصيل العلم، وبعد ثلاثة أشهر قررت الإدارة أن ينتقل إلى القسم التالي في التعليم لتفوقه على أقرانه، وبعد مدة وجيزة انتقل مرة أخرى إلى القسم الثالث، وفي هذه المرحلة سيتلقى المبادئ الأولى لمهنة التدريس، إذ سيكلفه أستاذه بتصحيح بعض دفاتر التلاميذ؛ لأنه كان متفوقا في اللغة العربية، وهكذا أصبح في نظر التلاميذ أستاذهم.

لكن المعلم الصغير، يتم توقيفه من طرف الإدارة الفرنسية، والسبب كان بسيطا جدا؛ إذ دعتة معلمة فرنسية إلى الوقوف في الساحة مع التلاميذ الصغار فرفض؛ لأنه ليس من سنهم؛ فاستدعاه مدير المؤسسة، وطلب منه أن يعتذر للمعلمة، لكن أبا بكر رفض؛ لأنه يرى أنه لم يقلل من شأن المعلمة، ولم يخطئ في حقها؛ فتم طرده من المدرسة.

وكان هذا الطرد بداية حركة طلابية ثائرة؛ حيث أضرب التلاميذ عن الدراسة؛ فطردت الإدارة بعضهم من المدرسة، ولما جاء بعض التلاميذ وسألوه عن الخطوة التي يمكن اتخاذها أمام الإجراء الجائر الذي اتُخذ في حقهم... قرر أبو بكر القيام بحركة قرآنية، وهكذا بدءوا يجتمعون بعد صلاة المغرب لتلاوة القرآن؛ فكانت الحركة القرآنية حركة مباركة، وضحت معالم طريقه النضالية، المرتكزة أساسا على القرآن، والمبنية كذلك على تجميع القلوب وتربيتها على مبادئه.

ظهير بربري مشؤوم.. ومقاومة حضارية :

أصدرت الإدارة الفرنسية في مايو 1930 ظهيرا بربريا، حاولت من خلاله، خلق نوع من الفصل بين المغاربة الذين يتكلمون العربية، والذين يتكلمون الأمازيغية؛ وذلك لجلب الأمازيغيين للفرنسيين، بدعوى أنهم يعيشون في المغرب منذ القدم، وليس لهم ارتباط بالذين يتكلمون العربية، ويجب إحياء الأعراف القديمة لهم، مثل : ألا ترث المرأة، وألا تخضع لأحكام القضاء، وألا يكتبوا باللغة العربية، ولا يتعلموها، ولا يتكلمون بها... فعمدت السلطات الفرنسية، إلى تأسيس مدارس بربرية تدرّس فيها البربرية والفرنسية.

أمام هذه الغطرسة الاستعمارية، تحرك شباب الحركة الوطنية في موجة احتجاجية، سُميت بحركة «اللطيف»، وسميت بهذا الاسم لأنها اعتمدت في أساسها على اتخاذ المساجد كمنفذ أساسي لتوعية المغاربة بخطورة السياسة الفرنسية الرامية إلى إحداث التفرقة بين العرب والبربر، وطلب من المصلين ترديد هذا الدعاء : «اللهم نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر».

كان مجاهد أبو بكر من الشباب الفتيّ الذين انشغلوا بهذه الحركة، والقضية الوطنية.. وكان يشعر بأن عليه واجبات ثلاثة :

أولا : تحقيق حلم الوالد بأن يكون فقيهاً كما كان يُلقّبه دوماً.

ثانيا : المسؤولية تجاه أبناء الوطن، ومحاولة تحسين أوضاعهم.

ثالثا : إذكاء روح النضال ضد الاحتلال.

وضع أبو بكر يده على الداء، واختار المقاومة في ميدان التعليم، واتجه بعزيمة الشباب، إلى تأسيس مدرسة حرة (التعليم بالبحان) بزواوية «ابن عبود»، وعُرفت هذه الزاوية بالمكتب الإسلامي، الذي سيؤرق بال السلطات الفرنسية؛ لأنه بدأ ينافسها من جهة، ويقاومها من جهة أخرى، فقد كان لا

يتوقف عن العمل إلا مدة 15 يوماً لا غير في الصيف، وبدأت المدرسة تنشغل تماماً بالتلاميذ الواردين إليها من المدارس الرسمية.

وكانت نتيجة ذلك، أن تعتقله فرنسا لكونه صعد من وتيرة المقاومة التعليمية والثقافية التي اختارها، حيث قام بفتح فرع للمدرسة السابق ذكرها لما كثر الإقبال عليها؛ لأن المغاربة وجدوا ضالتهم في تعليم ينتمي إلى هويتهم العربية والإسلامية، وفي ذلك التاريخ، كانت هي المدرسة الحرة الوحيدة التابعة للحركة الوطنية.

#### مطالب الوطنيين ومظاهرات المسجد :

في سنة 1934 تقدم عشرة من الوطنيين المغاربة من بينهم علال الفاسي والمكي الناصري - وكان منهم القادري وهو إذ ذاك أصغرهم سناً (20 عاماً) - بمذكرة تضم مطالب الشعب المغربي في ميدان الحريات العامة، كحرية الصحافة وإصلاح العدالة، والقضاء على الفساد، لكن السلطات الفرنسية ماطلت وسوفت إلى أن أعلنت رفضها بشكل قاطع سنة 1936، وعقدت المجموعة مؤتمراً مصغراً لصياغة مطالب مستعجلة للشعب المغربي في نفس الوقت الذي تقود فيه مجموعة من المظاهرات. وتم القبض على «أبو بكر القادري» مرة ثانية، ورغم الإفراج عنه، فقد لجأ إلى مهد المظاهرات : المسجد، فقد كانت الحركة الوطنية المغربية عقب كل صلاة، تقود مظاهرات ضد الحماية الفرنسية، وألقى أبو بكر خطبة في المسجد، احتج فيها على إلقاء القبض على مجموعة من الوطنيين، ودعا إلى تنظيم مظاهرات تضامنية، فقادها خليفة الباشا من المسجد إلى السجن مرة أخرى سنة 1937.

#### السجن امتحان ومدرسة :

وأثناء استنطاقه في الدار البيضاء، خضع للتعذيب، وبعد اجتياز مرحلة التعذيب، أنزل إلى قبو، وقضى مدة تقرب من 20 يوماً لا يتناول فيها إلا الخبز والماء فكانت تسلّم له كسرة خبز صغيرة يابسة مع كأس من الماء، وكان صدى صراخ الذين يتعرضون للتعذيب يصل إليه. ثم نُفي إلى «تافينغولت»



وهي منطقة نائية في منطقة «تارودانت» بسوس في بيت مغلق، لا يُسمح له بالخروج إلا نصف ساعة في الصباح ونصف ساعة في المساء.

يروى أبو بكر عن فترة السجن : «السجن معيار للثبات، والصدق، وحسن المعاشرة، والإيثار، ولا تعرف أهمية هذه المواصفات إلا في الامتحان، والسجن مدرسة من مدارس الحياة الحقيقية، المتخرج منها لا بد أن يحصل على شهادة في معرفة الحياة...».

ويُتوج المجاهد القادري نضاله الوطني بالتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال وتكوين مجموعة من الوطنيين الذين سيوقعون على هذه الوثيقة.

تعليم الفتيات.. فرض ديني :

مما قاله أبو بكر القادري : «إننا عند الكلام عن حرية المرأة، ومساواتها، لا بد أن نفرق بين التقاليد والعادات، التي ما أنزل الله بها من سلطان، وبين ما أقره الإسلام للمرأة من حقوق وواجبات.. ودورها دور أساسي لا يمكن التقليل من أهميته، وينبغي العمل على إزالة العوائق...».

والكثيرون يعرفون أبا بكر بأنه صاحب الفضل الأول بعد الله تعالى على الفتاة المغربية، وحصولها على فرصتها في التعليم، فقد أخذ على عاتقه - وهو رجل تعليم بامتياز - تعليم المرأة المغربية، في وقت كان فيه تعليمها محالا، فأولى مسألة تعليم الفتاة عناية كبيرة، وبذل في سبيل ذلك جهدا كبيرا، بتدشين مدرسة عربية للفتيات، وتمزقت بذلك خرافة التمييز بين الرجل والمرأة في التعليم، وتخرق الصمت المطبق على الأمر.

وحتى ندرك التغيير الذي أحدثه الرجل بدعوته هذه، نذكر أنه حتى عام 1946 كان عدد مدارس البنات لا يتجاوز أصابع اليد في المغرب كله، وكان الاستعمار يقصر تعليمهن على الخياطة، والتطريز، والمبادئ البسيطة للكتابة، ومن الطريف أن الرجل بدأ أول قسم للثانوي في مدرسة النهضة ببنتين فقط، هما ابنة صديق له، وابنة شقيقه؛ وذلك لأن الأمر تعدى الاستعمار ليصل إلى أن فكرة تعليم الفتيات لم يكن المجتمع المغربي يستوعبها تماماً، فبدأ القادري

يعمل على «تطبيع» العلاقات بين الأسر المغربية، وبين قضية تعليم البنات، فبدأ يقيم الحفلات المدرسية، حيث تتولى فتاة إلقاء خطبة بحضور الأمهات اللواتي بدأن ينقلن الأمر للبيوت، فأخذ الآباء يقتنعون بضرورة تعليم بناتهم.

أسرته وحياته الخاصة :

ولعل هذا التحايل اللطيف، وروح الدعابة والمزاح البريء هو سمة مشتركة بين العظماء، فلا نجدهم - كما نتصورهم - وقد علا وجوههم العبوس والضيق طول الوقت.. فأبو بكر القادري كانت زوجته له بمثابة السند والحضن الدافئ الذي يلجأ إليه، كلما اشتدت الأزمة مع المستعمر الفرنسي، فكانت خير رفيق، وخير طرف يتجاذب معه أطراف الحديث عن واقع الأمة المغربية وطموحه للنهوض بها.

وبما أن القادري كان يؤمن بفكرة تعليم الفتاة، فقد بدأ هذا المشوار بزوجه غير المتعلمة التي تمكنت خلال سنوات من نفض غبار الأمية عنها، بل وشاركت مع فتيات مدينة «سلا» ومجموعة من النساء اللواتي يعتبرن الرعيل الأول، لمدرسة أبو بكر القادري التي أسست لخدمة المرأة المغربية.

للقادري أولاد، فكان أباً راعياً صاحباً ناصحاً، شديداً أحياناً، وليناً أخرى، فلم يستعمل - كما يقول عن نفسه - يوماً سوطاً أو عصاً لعقاب أبنائه، وإنما يكتفي بالتوجيه واللوم.

أثمر هذا النموذج التربوي تفوق الأبناء في تربيتهم، وحصولهم على شهادات عليا حوّلت لهم تقلد مناصب عليا في المجتمع.

ويتذكر «أبو بكر» جلسات سَمَر مع أسرته التي لا يزال حريصاً على عقدها نهاية كل أسبوع، ويتم فيها سماع الأغاني التقليدية، ويختم بموشح من الموشحات الأندلسية.

وبالمقابل كان القادري لا يغفل الزاد الروحي الذي يجب أن يتشبع به أبنائه، حيث كانت الأسرة القادرية، معتادة على القراءة الجماعية للقرآن.

## استمرارية في العطاء :

ورغم حصول المغرب على استقلاله يظل المجاهد أبو بكر، موجوداً على الساحتين السياسية والفكرية.. إذ تولى مسؤولية الكتابة العامة للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، لمدة عشرين سنة، ومسؤولية أمين عام مساعد للمؤتمر الأفريقي الإسلامي، وأيضا أمين عام مساعد للمؤتمر العالمي للإعلام الإسلامي، كما سيُشرف بالعضوية بمجلس الوصاية على العرش.

لم يفارق أبو بكر القلم والتأليف، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمجموعة من المؤلفات منها في الميدان الإسلامي :

في سبيل مجتمع إسلامي - في سبيل وعي إسلامي - التعليم.. المهمة الأولى في الإسلام - دفاعا عن المرأة المسلمة - في سبيل وحدة إسلامية، زيادة على مذكراته التي صدر منها أربعة أجزاء.

وفي ميدان العمل القومي : المغرب والقضية الفلسطينية.

كما أن له كتابات في أدب الرحلات.

## شهادات :

إن المجاهد المغربي أبو بكر القادري، سيبقى من الشخصيات التي ساهمت في صنع التاريخ المغربي، ومن المؤسسين الرواد للفكر الاستقلالي بالمغرب، ولا غرابة في أن يناديه أحد رجال الحركة الوطنية وهو عبد الرحيم بوعبيد «أستاذي في الوطنية».

ولا عجب أن يقول عنه عبد الكريم غلاب عضو الأكاديمية المغربية ومدير جريدة العلم : «الأستاذ أبو بكر القادري بنشأته الأسرية، وبتعليمه، وثقافته، وبعقيدته الدينية، وارتباطه بالمثل الإسلامية، وبرغبته في أن يناضل من أجل الإسلام، في كل مكان، كما يناضل من أجل المغرب.. استحق أن يكون من رواد الحركة الوطنية ومن مؤسسيها».

## لقاء ذكريات ومذكرات :

- لقاء تكريمي لدى صدور : (مذكراتي في الحركة الوطنية).
- الذكرى السابعة والخمسون لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.
- الذكرى الستينية للمطالبة بالاستقلال.



## لقاءٌ تكريمي لدى صدور :

### «مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية»<sup>(1)</sup>

أيها الإخوة الكرام،  
أيتها الأخوات الفاضلات.

السيدة الفاضلة أرملة أخينا وعزيزنا المرحوم صاحب هذا البيت،  
الذي سيبقى حيا ولو بعد موته، وسيبقى بيته عامرا ولو بعد غيابيه، لأنه تركه  
في يد أمينة، في يد نشيطة، حية، وفية ومستقيمة.

قبل أن أقول أية كلمة ولو قصيرة، أتوجه بالدعاء بالرحمة والدعوات  
الصادقة، لصاحب هذا البيت، الذي أبقى، رحمة الله عليه إلا أن يبقى بيته هذا  
بيتا للعلم والعلماء، وأن يبقى بيتا عامرا بالمتقنين والثققات، ويبقى دائما وفيها  
كل الوفاء للمكرمات، شكرا لأختنا الأستاذة فاطمة الجامعي، وأقول الجامعي  
مثلما قال أحد إخواننا السابقين، لأنها منتسبة لأولاد جامع، ولأنها، أيضا،  
متخرجة من الجامعة. فهي جامعية في معنيين، ولعل المعنى الأول يتلشى أمام  
المعنى الثاني، الذي بسببه تقوم بهذه النشاطات، وهذه اللقاءات، التي تعبر عن  
صدق نواياها، وعن تعلقها وإخلاصها ومحبتها، أولا لزوجها الذي فارقها  
بالذات، ولم يفارقها بالروح. فهي دائما تتذكره، وتريد من إخوانه أن يتذكروه  
معها، وهي تريد أن يبقى هذا البيت بيت علم، وبيت صالحين وصالحات،  
ولذلك فهي تتكبد كثيرا من المشقات، وتحمل كثيرا من الصعوبات، لتحيا  
هذه الذكرى، ذكرى رجل كرس حياته للعلم والفلسفة، ولصالح الطلبة،  
وخدمة البلاد والوطن. فلا يسعنا نحن في اختتام هذه الجلسة، إلا أن نزوده

(1) الكلمة التي ارتجلها أبو بكر القادري في الحفل التكريمي الذي أقامته له أسرة المرحوم  
الدكتور محمد عزيز الحبابي، يوم 30 ماي 1999.

بصالح الدعوات وبالرحمات. لقد قال الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ :  
«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، وعلم ينتفع به،  
وولد صالح يدعو له» وأقول وأزيد و«امرأة صالحة تبقى وفيه له».

إخواني وأخواتي، أخي رئيس هذه الجلسة،

كم أنا خجول أن آخذ الكلمة لا لأوفيكم حقكم، فأنا عاجز، ولا لأقول  
إنكم كرمتموني، لأن هذا الشخص الضعيف ربما لا يستحق التكريم، ينبغي أن  
يكون للمعاني، ولا يكون للأشخاص، يكون للمبادئ، ولا يكون للذوات،  
كل ما أرجوه أن كل ما قلتموه من ثناء، لا يجعلني أغترُّ بنفسي، وإنما أقول ما  
قال الرسول ﷺ : «اللهم اجعلني صغيراً في نفسي، كبيراً في أعين الناس».

أيها الإخوة،

إن الظروف التي تجتازها بلادنا، ربما هي في حاجة إلى مثل هاته  
اللقاءات، التي ليس المقصود منها تعداد فضائل الأشخاص، وإنما المقصود منها  
إنارة الأفكار، وإيقاظ الضمائر، وبث الوعي بالواجبات نحو هذه البلاد التي  
أعطت الكثير، والتي وفّت لجميع من عاش فيها، هاته البلاد التي أنجبت رجالاً  
صادقين صالحين، وعلماء أوفياء للمثل والمبادئ، سواء في ميدان العلم، أو في  
ميدان الجهاد، أو في الميدان الروحي الصوفي أيضاً. وهنا أفتح قوساً لأجيب  
أخي الدكتور أحمد توفيق، عن السؤال الذي وضعه عليّ، والذي يتطلب  
مني، إن شاء الله، وأرجو أن يدعو لي، هو وإخواني الحاضرين والغائبين، حتى  
يوفقني الله، لأجيب عن الأسئلة الكثيرة التي اختار لها هذه الفرصة، وأنا  
سعيد بأن يضعها عليّ، وأتمنى أن أجيبه عنها، حسب استطاعتي.

في الواقع، أيها الإخوة إن قضية الصوفية والسلفية، يجب أن ينظر إليها  
بأناة وتبصر، حتى لا نقع في أخطاء، فكيف تعاملت معها الحركة الوطنية، هذا  
سؤال لا بد أن أقوله، فلربما يكون فيه جواب عن السؤال. حسب علمي، لم  
ينقطع حبل الصوفية عن الحركة الوطنية أبداً، بل الدوافع التي كانت تسيّر  
الكثيرين من الرواد الأولين، دعوتهم إلى اعتناق الفكر الصوفي، وإن لم يسموه

بهذا الاسم، والفكر الصوفي السلفي، هو الذي قوى جهادهم، وهو ما قام به الأولون، وأرى، وهنا أرجع إلى زعيمنا علال الفاسي رحمة الله عليه، فالميزة التي كان يمتاز به، حسب الذين عرفوه حق المعرفة، أنه بنى تفكيره وتوجهه وتخطيطاته السياسية والاجتماعية على أسس وقواعد بينة، تربط الحاضر بالماضي، لقد كان يعرف تاريخ بلاده، كان يعرف حركة كل المقاومين، وكل المجاهدين السابقين، كل المقاومين الذين قاموا بالحركة في الماضي، وكان يستمد منهم، رحمة الله عليه، كثيرا من الاستمدادات، وكثيرا من التوجيهات، ربما كانت الظروف التي عاشتها الحركة الوطنية في بدايتها الأولى، تنظر إلى الصوفية بمنظار خاص، وتنظر إلى السلفية بمنظار آخر، كانت الظروف إذ ذاك ظروفًا خاصة بالنسبة للمعركة بين من يسمون أنفسهم بالصوفية، وبين من يسمون أنفسهم بالسلفيين، لقد استغلت الصوفية من طرف أشخاص ليسوا من الصوفية في شيء، ولقد كان بعض السلفيين ينظرون إلى الصوفية بالمنظار الذي كانوا يظهره به، وليس هو من الصوفية الحقيقية في شيء، وكانوا يقروءون عن الصوفية الحقيقيين شيئا آخر، ومن يقرأ حاضر العالم الإسلامي، وكنا نقرأه ونحن صغار، في العشرين من العمر، يرى ما قام به الصوفية في نشر الإسلام، سواء في إفريقيا أو في غير إفريقيا، وكانوا يصارعون الاستعمار بكل طاقاتهم وإمكاناتهم، فالصوفيون الحقيقيون كانوا يسرون في النهج الذي دعا إليه رسولهم الأمين محمد ﷺ، من نشر الإسلام، والدفاع عن مبادئه المثلى، وهنا لا بأس أن أشير ولو بكلمات فأقول: الصوفيون الحقيقيون هم أهل السنة الحقيقية، وأستدل هنا مثل شيخني وجدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، عندما كان يتحدث عن الصوفية والصوفيين، قال ما معناه تقريبا: عندما تأخذ طريقك أيها الملتزم بفكرنا الصوفي السني، وأقول السني، لأن الشيخ عبد القادر كان سني الطريقة، عندما تأخذ الطريقة، لا بد أن تأخذ بيدك اليمنى المصحف، وتأخذ بيدك اليسرى السنة النبوية، ولا بد أن تعلم مع ذلك أن الذي يقودك هو الرسول محمد ﷺ هذه هي الصوفية الحقة كما فهم الصوفيون الحقيقيون، وكما فهمها.... الذين قالوا عنه أنه يحارب الصوفيين، وأعني به الإمام ابن تيمية، فالإمام ابن تيمية لم يرفض مطلقا



الصوفية الحقيقية السنية، وإنما قال بها حتى إنه عندما كان يتحدث عن الشيخ عبد القادر كان يقول داعيا له : قدست روحه.

الصوفية الحقيقية هي التي شرحها الشيخ عبد القادر في كتبه، ومنها كتاب الغنية الذي ألفه بنفسه، حينما طلب منه ذلك. النقطة الثانية التي أريد أن أشير إليها، هي أننا ونحن في بداية حركتنا الوطنية، كنا نكون الخلايا والجماعات، وكنا نهى للخلايا نشرة أسبوعية تلقى عليهم أثناء اجتماعهم، وهاته الاجتماعات، أو هاته الخلايا، كانت كأنها فرق من فرق الصوفية، وكنا نستشعر أن شعبنا تنظم في مراحل من تاريخه على طريق الصوفية الحقيقيين، وأنا نريد أن نخلفهم، ولكن بطريقتنا التي تجمع بين التربية الحقيقية الروحية، المستمدة من قول الرسول ﷺ : «أن تعرف الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». وبين التعاليم الاستنهاضية التي تدعو إلى التحرر والتنظيم ومكافحة الاستعمار.

لقد كانت صوفيتنا صوفية سنية، ليست صوفية المزامير والطبول، ولا الذبح على القبور، ولا الركوع للقبور، ولا التماس النفع والضرر من القبور، ليس هذا مطلقا. إنها صوفية كتاب الله في اليد اليمنى، وسنة الرسول في اليد اليسرى، والإمام هو رسول الله الذي اقتدى به الأنبياء والرسول في المسجد الأقصى ليلة الإسراء.

إخواني، إنكم أثبتتم كثيرا على المذكرات وعلى صاحب المذكرات. والواقع أنها تجربة، ولا أقول تجربة، لكن أقول إنها محاولة لتسجيل بعض الأحداث الباقية في الذهن، حتى يستفيد الآخرون مما قام به الأولون، هذه المذكرات دفعني إلى كتابتها، أولا : أنني لاحظت أن كثيرا من الإخوان الذين سبقوني في الميدان، هؤلاء الرواد السابقون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، انتقلوا إلى رحمة الله، ولم يدونوا شيئا، ولم يسجلوا في مذكرات، ما قاموا به من أعمال، مع أنهم قاموا بأعمال كثيرة، ولذلك تساءلت مع نفسي، وأقولها، وربما تستغربون مني ذلك، وقد بلغت من الكبر عتيا، إني تجاوزت الثمانين، أقول إنه لا يصح مطلقا أن تبقى فترة من تاريخ المغرب، كانت فترة

نضال صوفي حقيقي، لا يسجل ولو جزءا منها، ليأخذ منها العبرة الجليل الجديد. إن الذي كان ينخرط في حزبنا، في الأول، في المراحل الاندفاعية الصادقة، كان ينخرط ليؤدي واجبه بتجرد مطلق، لا ليتقاضى الأجر، ولا ليصل إلى المنصب، ولكن من أجل أن يقدم نفسه ضحية في سبيل هذه البلاد، حتى تستعيد بلادنا كامل مجدها، كأمة مغربية أصيلة، لها تاريخها، ولها أمجادها، ولها ثقافتها، ولها حضارتها المتميزة عن غيرها، ولها هويتها.

إن المغرب يجمع بين البربر أجدادنا الأصلاء وبين العرب الأشقاء الوافدين بالدعوة الإسلامية، والامتزاج بين العرب والبربر، كون شعبا موحدا مسمى بالمغاربة. فليس هناك عنصر عربي وعنصر بربري، وإنما هناك مغاربة، أنا قادري، أبي أحمد، ينتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني، وهو ينتمي إلى الشجرة النبوية على ما صححه المؤرخون الثابتون السابقون، وأنتسب من جهة أمي إلى بني مرين الذين قال فيهم الأمير شكيب أرسلان : «إنهم نصرروا الدين ونشروا المعرفة، وتبثوا دعائم اللغة العربية، بتكوينهم وتأسيسهم للمدارس العلمية».

فهل أنا بربري أم أنا عربي؟ أنا بربري وعربي في آن واحد. ولكنني أفتخر بأنني أنتمي إلى الشجرة النبوية، إلى الشجرة المحمدية، أفتخر بهذا ولا أتكر لعروبتني، ولا لإسلامي، ولا لمغربييتي الأصيلة، وأؤكد بأن كل من يتكلم اللغة العربية فهو عربي. أفتخر بهذا، وقديما قيل : «من تكلم العربية فهو عربي» إذن نحن كلنا عرب، وكلنا برابرة، فلا معنى بأن يأتي في هذا الظرف من يقول بأن هناك فوارق بين أبناء هذه البلاد المغربية.

حركتنا الوطنية أيها الإخوة ابتداء من سنة 1930 لن تقوم إلا على أساس وحدة هذا الشعب، وحدة عقيدته، وحدة عنصره ووحدة هويته، ووحدة قيادته. وهذا ما عبرت عنه في حديث ألقيته في تطوان، في ندوة نظمتها أكاديمية المملكة المغربية حول الهوية المغربية.

وفقنا الله موحد كلمتنا وصان هويتنا، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

## كلمتي في احتفال بالذكرى السابعة والخمسين لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال بمدينة (وجدة)<sup>(\*)</sup>

حضرات الإخوة والأخوات.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني سعادة غامرة، أن أحتفل معكم هنا في مدينة وجدة، بالذكرى السابعة والخمسين لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال. إنني سعيد بأن أتحدث إلى إخواني وأخواتي، وإلى هذا الجمهور الكريم، في هذه المدينة الوطنية المجاهدة، ذات السبق في العديد من المواقف والملاحم البطولية. سعيد بأن أتحدث في مدينة النضال والكفاح، مدينة الشهامة والبطولة، مدينة التضحية والوفاء، عن ذكرى هي بكل المقاييس من أعظم ذكريات الكفاح الوطني المغربي.

لقد ساهمت مدينة وجدة ومنطقة المغرب الشرقي قاطبة، في معارك الكفاح الوطني، دفاعا عن استقلال المغرب، وتحريره ووحدته، ومقدساته، وكانت هذه المدينة الكعب المحلي في الفداء والاستشهاد، وفي الصمود والثبات، وفي دعم المعركة الكبرى التي خاضها الشعب المغربي في النصف الأول من الأربعينيات، ثم في عقد الخمسينيات الذي بلغ فيه النضال أوجه، واختط المغرب له طريق الثورة المباركة التي دخلت التاريخ باسم ثورة الملك والشعب، والتي ارتبطت هذه المنطقة بها ارتباطا وثيقا.

---

(\*) ألقيتها في وجدة بمناسبة الذكرى السابعة والخمسين لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.

## حضرات الإخوة والأخوات.

إننا نجتمع اليوم للاحتفال بالذكرى السابعة والخمسين لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، هذا الحدث الحاسم الذي كان تحولا لمجرى الحركة الوطنية المغربية، وحدا فاصلا بين عهدين من الكفاح، العهد الأول تميز بالمطالبة بالإصلاحات، ولم تكن هذه المطالبة يسيرة، ولكنها كانت شاقة، قدمنا فيها التضحيات، وعرف فيها الوطنيون السجون والمنافي، ولحقهم الأذى والضرر، وصمدوا صمودا باهرا، لولاه لما كان في الإمكان الوصول إلى المرحلة الحاسمة يوم عشرين يناير من سنة 1944.

وكان هذا العهد، عهد الإصلاحات في إطار عقد الحماية، التي فرضت على بلادنا في ظروف حالكة، تمهيدا ضروريا لا بد من قطع مرحلتها، حتى نستكمل شروط المواجهة مع سلطات الاستعمار الفرنسي، وحتى يكون عملنا قائما على أسس راسخة. ولقد ناضلنا في تلك المرحلة من أجل تحقيق مطالب الشعب المغربي في الإصلاح الشامل، على جميع المستويات ففي سنة 1934، بعد الكفاح الصامد ضد السياسة البربرية قدمنا نحن أعضاء كتلة العمل الوطني، مطالب الشعب المغربي إلى جلالته الملك محمد الخامس وإلى سلطات الحماية ممثلة في المقيم العام الفرنسي وإلى الحكومة الفرنسية بباريس ثم قدمنا في سنة 1936 المطالب المستعجلة باسم الكتلة أيضا، ولم نجد تجاوبا ولا تفاهما من السلطات الاستعمارية وفي سنة 1937 وفي عهد الحكومة الاشتراكية بفرنسا دخلنا في مرحلة التنظيم المحكم لحركتنا الوطنية.

فأسسنا الحزب الوطني، وكان الهدف الأول الذي وضعناه نصب أعيننا، هو المطالبة بتحقيق مطالب الشعب المغربي، ولكننا في هذه المرحلة، وفي طليعتها الحريات العامة، وجدنا أنفسنا في مواجهة مع المستعمرين، في سنة 1937 حيث سلط علينا القمع، فمنع الحزب الوطني، وأوقفت جريدة الحزب (الأطلس)، وزج بقيادته في السجون، وكان نصيب رئيس الحزب علال الفاسي، النفي عن الوطن، وإلى مجاهل افريقيا

ولمدة تسع سنوات، مثل ما نفي آخرون إلى جهات متعددة في الصحراء وغيرها، في هذه المرحلة التي سبقت المطالبة بالاستقلال التام، وبعد خروجنا من السجن انصرف اهتمامنا إلى توعية الشعب بحقوقه، وإلى ترسيخ قواعد العمل الوطني، وإلى بلورة المفاهيم الأساس، والمبادئ الثابتة للحركة الوطنية، وكان عملنا في هذا المجال مثمراً، ومؤثراً، وذا مردودية عالية، إذ أن الشعب الذي تجاوب معنا في 11 يناير سنة 1944، تكونت طلائعه المناضلة في تلك المرحلة التي امتدت من 1930 إلى 1937. وحتى في الفترة الفاصلة بين نهاية سنة 1937 وبين سنة 1943 التي عملنا فيها على التحضير لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان الشعب المغربي، على الرغم من حالة القمع، ومنع الحياة الحزبية الوطنية، وتوقف الصحافة الوطنية المغربية، يتهيأ للعهد الجديد، وهو العهد الذي يبدأ في 11 يناير سنة 1944، عهد المطالبة الصريحة الواضحة، المباشرة، بالاستقلال، وإلغاء عقد الحماية، والعودة بأوضاع البلاد، من الناحية السيادية، إلى ما قبل 30 مايو سنة 1912، وهو تاريخ التوقيع على معاهدة فاس.

كانت الظروف ظروف الحرب العالمية الثانية، وكانت كثير من الشعوب بدأت تتحرك للمطالبة بحقوقها وتحريرها، وكان الواجب يفرض علينا أن نضع قضية المغرب، ضمن القضايا التحريرية في العالم، وهكذا، وفي هذا الإطار بدأنا نستعد للمطالبة بالاستقلال.

لم تكن مطالبتنا بالاستقلال دون تمهيد، وإنما كان الحدث مخططاً ومدبراً على أعلى مستوى من التخطيط والتدبير، وكان في الوقت نفسه معبراً عن الوعي الوطني الذي بلغ في تلك الفترة درجة رفيعة من النضج والاكتمال والاستواء.

كان المحيط الدولي مشحوناً بالحركات التحريرية، فأثناء الحرب التي ابتدأت من سنة 1939 وانتهت في سنة 1945، ارتفعت الأصوات المطالبة بتقرير مصير الشعوب، وكان الجو العام على الصعيد الدولي، يتجه نحو تحرير الشعوب التي كانت واقعة تحت نير الاستعمار، سواء أكان ذلك تحت

غطاء الحماية، أو الانتداب، أو الاستعمار الاستيطاني المباشر القائم على الإلحاق والتبعية الكاملة.

وكان لابد للحركة الوطنية المغربية المتمثلة عهدئذ في الحزب الوطني الممنوع، أن تكون حاضرة في الساحة، وهكذا، وبالتنسيق التام مع جلالة السلطان المنعم سيدي محمد بن يوسف رحمه الله، تم التحضير للمرحلة الجديدة للكفاح الوطني، بالانتقال من مرحلة المطالبة بالإصلاحات، إلى مرحلة المطالبة بالاستقلال. وكنا نعلم علم اليقين، أن المرحلة الجديدة ستكون حاسمة، وستفجر الصراع بيننا وبين سلطات الحماية. ولكننا لم نكن نملك سوى الإقدام على الدخول إلى الطور الجديد من كفاح الحركة الوطنية من أجل الحرية والاستقلال. فكانت معركة فاصلة، امتدت في أطوار متقلبة إلى 16 نوفمبر من سنة 1955 وهو يوم رجوع محمد الخامس من منفاه، وتبشيره ببزوغ عهد الحرية والاستقلال، أي إن العهد الجديد للحركة الوطنية الذي قام على أساس المطالبة بالاستقلال استغرق إحدى عشرة سنة. بينما استغرقت مرحلة المطالبة بالإصلاحات عشر سنوات، من سنة 1934 إلى سنة 1944، تخللتها سنوات من القمع، والمنع، والسجن، والإعدام، والإقصاء عن ساحة المعركة.

كذلك فإن المرحلة التالية، من المطالبة بالاستقلال، إلى إعلان الاستقلال بعودة جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف من المنفى، تخللتها هي أيضا سنوات السجن والقمع والقهر والقتل في مطلع الخمسينيات. فكانت التضحيات في كل المراحل.

لقد قررنا في أواخر سنة 1943، ونحن نحضر وثيقة المطالبة بالاستقلال، أن نخرج بالقضية المغربية إلى المحافل الدولية، وأن نضع سلطات الحماية الفرنسية أمام الحقيقة التي رأينا أن الوقت قد حان لمواجهتها بها. ولذلك كان اهتمامنا منصبا على تقديم الوثيقة، لا للدوائر المسؤولة في المغرب فحسب، ولكن إلى ممثلي دول الحلفاء في المغرب أيضا، على اعتبار أن القضية المغربية، هي قضية تحرير واستقلال، وهي قضية من عهود ما قبل الحرب، يتعين أن تصفى مع القضايا والأوضاع التي صفت، استعدادا لعهد

جديد يعرفه المجتمع الدولي بعد خروجه من الحرب، وبعد انتصار قوى الديمقراطية والحرية والسلام في هذه الحرب.

وكان هذا تديرا محكما وبرنامجا وطنيا، تم تسطيره بالتنسيق التام بين جلالة الملك، والحركة الوطنية، ممثلة في قيادة الحزب الوطني الذي سينبثق عنه حزب الاستقلال.

في تلك المرحلة، كانت القضية المغربية تقف أمام مفترق الطرق، ولم يكن أمامنا من اختيار سوى المطالبة بالاستقلال، لأسباب كثيرة، منها أن المغرب حافظ على استقلاله طوال القرون، ولم يرضخ لأي استعمار، ومنها أن المطالبة بالإصلاحات لم تأت بنتيجة، وأن الظرف الدولي لم يعد يقبل بما هو دون الاستقلال، ومنها أيضا أن الشعب المغربي قد ضاق ذرعا بنظام الحماية، وأنه أصبح مستعدا لدخول معركة الاستقلال بكل تضحياتها، خصوصا وأن العلاقة المتينة بين جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف، وبين الحركة الوطنية، أصبحت تمثل عنصرا جديدا سيكون له الأثر، القوي والفاعل في كسب معركة الاستقلال.

لقد كان المعني الذي يتمثل في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، هو المحافظة على الدولة المغربية، وترسيخ قواعدها، وصون حقوقها، والدفاع عن مكوناتها وخصوصياتها. كانت المطالبة بالاستقلال تصحيحا للوضع غير الطبيعي الذي فرض على المغرب في سنة 1912، وذلك بالعودة إلى السيادة المغربية الكاملة، وإلى الوحدة الترابية للمملكة المغربية غير المنقوصة، وكانت المطالبة بالاستقلال تعني أيضا، تصميمنا على المحافظة على ثوابت الكيان الوطني المغربي ومقوماته، عقيدة، وحضارة، وثقافة، ولسانا عربيا قرآنيا، بما يعني ذلك من الرجوع إلى الوحدة الوطنية المغربية الصحيحة، المتجردة من الأنانيات والحساسيات، في إطار التفافنا جميعا حول العرش المغربي، الذي هو القاعدة والمرتكز والمنطلق، وهو الهوية الوطنية لكل مواطن مغربي.

وبهذه الروح تحركنا في النصف الأخير من سنة 1934، في استعداداتنا وتحضيراتنا لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944. كنا نرمي إلى

القضاء على الأفكار الانهزامية، وعلى النزاعات التفريقية، وكنا نعبئ الشعب بالفكرة الوطنية الصحيحة، ونحي فيه روح التضحية والفداء، لأن المعركة التي قررنا خوضها، كانت من المعارك الحاسمة وكنا نعلم ذلك يقينا. وكان الله معنا، لأننا كنا مع الحق والعدل، ومع المشروعية.

حضرات الإخوة والأخوات.

إن معركة حادي عشر من يناير سنة 1944، كانت علامة فاصلة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية.

ونحن اليوم إذ نحتفل بذكرها السابعة والخمسين، إنما نستحضر ملحمة من ملاحم البطولة في تاريخ المغرب المعاصر، كان لمنطقة المغرب الشرقي النصيب الأوفر من المشاركة فيها. فأحداث سادس عشر من غشت سنة 1953، هي التي أشعلت شرارة ثورة الملك والشعب التي انطلقت في 20 غشت سنة 1953. ففي هذه الربوع الغالية من الوطن المغربي، تكونت فروع من الحركة الوطنية، كانت تغذيها التربية الوطنية الإسلامية التي كنا نغرسها في نفوس أبناء الشعب، وهي التربية التي تقوم على الإيمان بالله، والوفاء لدينه الحق، والتعلق بالعرش، والاستعداد الدائم للدفاع عن الوطن ومقدساته. لقد كانت الأخلاق والقيم والمبادئ الإسلامية، أساس الحركة الوطنية المغربية، ومن هذا الأساس انطلقنا في كفاحنا الوطني، حين قدمنا وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى سلطات الحماية، وإلى جلالته السلطان سيدي محمد بن يوسف، وإلى ممثلي دول الحلفاء في المغرب، يوم حادي عشر يناير من سنة 1944.

وقد قامت وجدة، والمنطقة الشرقية، بدور متميز في هذه المعركة، وكان للعنصر النسوي نصيبه من العمل والتضحية والفداء. ذلك أن شعبنا في هذا المغرب الشرقي جبل على الشهامة والوفاء والصدق والعمل الجدي، وكان الفرنسيون يعرفون هذه الخصال البطولية في أبناء شعبنا في المغرب الشرقي، ولذلك كان القمع الاستعماري الذي سلط على هذه المنطقة بالغ القسوة، ولكن إرادة الشعب، التي هي من إرادة الله، انتصرت، وكان لا بد للمؤمنين أن يفرحوا بنصر الله.



وعلى الرغم من أن وطنيا واحدا هو المرحوم سي بناصر<sup>(1)</sup>، هو الذي وقع من هذه المنطقة على وثيقة المطالبة بالاستقلال، فإنه في الحقيقة كان ينوب عن جميع المواطنين في المغرب الشرقي، الذين مالبتوا أن أبدوا تأييدهم الكامل ببعثهم برقية بالتأييد المطلق التي وقعها بالنيابة عن فرع الحزب المرحوم أحمد بن دالي، وبعثهم بعرائض التأييد للوثيقة الممضاة من جميع الطبقات وكان من هنا انطلاق انبعاث وطني أدى إلى إيجاد جيل من الوطنيين كان له دوره في معارك الخميسات، كان من جملتهم المرحوم محمد الدرفوفي والمرحوم عبد الرحمان حجيرة.

حضرات الإخوة والأخوات.

ونحن نعيش هذه الذكرى الوطنية، نطرح على أنفسنا هذا السؤال : هل لا يزال الخط الوطني الذي سرنا فيه في حادي عشر يناير سنة 1944، هو الخط الوطني الذي يسير فيه المغرب اليوم؟ هل لا تزال روح حادي عشر يناير تسري في الكيان الوطني المغربي؟

هل حافظنا على محتوى وثيقة المطالبة بالاستقلال، وعلى مضمونها الوطني؟

لقد حان الوقت لنطرح على أنفسنا هذه الأسئلة وغيرها، وآن لنا اليوم أن نقوم بنقد ذاتي، نصصح فيه المسار، ونضبط الاتجاه، الذي تسير فيه، من أجل أن نراجع أنفسنا، ومن أجل أن نعرف إلى أين نحن نمضي؟

إننا مطالبون بأن نعمل جميعا من أجل تجديد البناء الوطني، ومن أجل ترسيخ قواعد الدولة المغربية، ومن أجل أن يقوم البناء في كل الميادين على قواعد ثابتة.

---

(1) السيد ناصر بن الحاج العربي، كان الممثل لكتلة العمل الوطني ثم الحزب الوطني بوحدة المغرب الشرقي قبل تنظيم الحزب الوطني، وبقي يشتغل في دائرة الحزب إلى تحقيق الاستقلال حيث أسندت له وظيفة قضائية.

إن ذكرى حادي عشر يناير ينبغي أن تحيي فينا جذوة العمل الوطني، في إطار الوحدة الوطنية، ومن أجل تحقيق الأهداف العليا التي من أجلها كان كفاحنا بالأمس، ويجب أن يكون كفاحنا اليوم وغدا إن شاء الله.

إن هذه الثوابت هي روح الإسلام، واللغة العربية، هي روح الإسلام الذي جعل من المغرب دولة ذات كيان مستقل، وجعل من المغرب حضارة ذات إشعاع ممتد. وهذه الروح هي التي يجب أن نحافظ عليها، ونبثها في شعبنا.

إن الإسلام العظيم، هو الذي ملأ قلوبنا بالشجاعة يوم تقدمنا نقدم وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولا مستقبل للمغرب، ولا حاضر للمغرب، إن نحن فرطنا في هذه الروح، فهذه عقيدتنا، وحركتنا الوطنية كانت دائما، إسلامية الروح، إسلامية المحتوى، إسلامية الأفكار، إسلامية الغاية.

ونحن اليوم نؤكد على ضرورة الحفاظ على هذه الروح، لأننا أصبحنا مهددين بأخطار كثيرة، ولأن مجتمعنا أصبح يسير في تحول وعدم انضباط، ولأن الأخلاق التي تربينا عليها، صارت تفقد إشعاعها. ولا ينبغي أن نقعد نلوم أنفسنا، ولكن علينا أن نتشبت بالروح الإسلامية أمام التحديات، والمخاطر، وأمام المؤامرات التي تحاك ضد المغرب. وليس في ذلك انغلاق، وليس فيه تزم، وليس فيه رجعية، وإنما هي الثوابت الوطنية الراسخة، ولكل دولة ثوابت، ولكل شعب خصوصياته الثقافية، ومقوماته الحضارية. حضرات الإخوة والأخوات.

ونحن في مدينة وجدة، وقرييين من الجارة الشقيقة، ونحن بهذه الذكرى في وقت تتعرض فيه آمالنا وطموحاتنا في بناء وحدة المغرب العربي، تتعرض فيه إلى العديد من الانتكاسات.

إن الحديث عن المغرب العربي انطلاقا من هذه الذكرى، ومن هذه المنطقة، يفرض نفسه علينا. وإذا كنا متمسكين بوحدة المغرب العربي التي ناضل أبناء هذه المنطقة من أجلها نضالا طويلا، وكانوا محضنا لفكرة وحدة المغرب العربي، فإنني أوجه نداء من هنا، إلى الاخوة في الجوار، للعودة إلى

العمل بفكرة وحدة المغرب العربي، لأن مستقبل المنطقة في وحدة بلدان المغرب العربي، ولا مستقبل لهذه الدول الخمس، خارج دائرة وحدة المغرب العربي.

فلنتشبع جميعاً بروح وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولنسير وراء العرش، ملتفين بجلالة الملك سيدي محمد السادس الذي هو ضامن وحدة المغرب وحامي سيادته، ورمز الدولة المغربية، حفظه الله وحقق على يده وبقيادته آمالنا الوطنية كلها، ولنؤكد بهذه المناسبة، دعوتنا إلى الحفاظ على الوحدة الوطنية، والعمل يداً في يد، مع كل المخلصين لهذا الوطن، دون تمييز بين انتماءاتهم الفكرية والسياسية، لتحقيق ما يهدف إليه المغرب من نماء وسعادة وهناء.

رحم الله شهداءنا برحمته الواسعة، وفي مقدمتهم بطل الحرية والاستقلال، جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه، ورحم الله جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني محرر الصحراء المغربية، وباني النهضة المغربية الحديثة. ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز.

والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته.

## في الاحتفال بالذكرى الستينية للمطالبة بالاستقلال بمدينة (سلا)

أيها الإخوة والأخوات.

إنها مناسبة سعيدة، ألتقي معكم فيها لنحتفل بالذكرى الستينية لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، ذلك اليوم الأغر في تاريخ المغرب الحديث، الذي عبر فيه الشعب المغربي، بواسطة نخبة صالحة صادقة من رجاله الوطنيين الذين عبروا في الوثيقة التي قدموها لجلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس، نور الله ضريحه وللإقامة العامة الفرنسية، ومندوبي الدول الكبرى، عن رفضهم للوجود الاستعماري ببلادنا، ومطالبتهم بتحقيق استقلالها، وتحريرها من ربة الاستعمار البغيض، وإدخال إصلاحات جذرية على تسييرها بإحداث (نظام سياسي شوري ديمقراطي، تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي، وبسائر طبقاته، وتحدد بها واجبات الجميع).

لقد عاش المغرب استقلاله وحرية القرون العديدة، وحفظ وصان كرامته وذاتيته، مآت السنين العديدة، إلى أن أصيب بأفة الاستعمار، أوائل القرن العشرين، نتيجة التآمر الاستعماري ضده، وتخاذل بعض المسؤولين، وعدم قيامهم بما يجب عليهم من تحديث وتطوير، لتسيير دواليب شؤون الشعب المغربي، طبق ما كانت تطالب به النخبة الصالحة الناهضة في البلاد إذ ذاك.

إنها فترة حالكة مرت في تاريخ بلادنا. يوم أن حطت جيوش الاستعمار البغيض ركابها بأراضينا، لم يقو على تحملها الشعب المغربي العربي الأمازيغي الحر، الذي لم يعيش إلا الحرية طوال القرون، فقام يواجه الاستعمار بما كان لديه من عزيمة وعتاد قليل، وبقي يقاوم بالسلاح القليل لديه، نحو ربع قرن كامل أي من سنة 1912 إلى سنة 1934، حيث انتفضت أرتال من الشباب الناهض الحي، تطالب بتغيير الأوضاع، ومقاومة مخططات الاستعمار،

فكانت مقاومة السياسة الاستعمارية البربرية التي ابتدأت عام 1930 وكانت مطالب الشعب المغربي التي تضمنت الإصلاحات الضرورية الواجبة للنهوض بالشعب المغربي في مختلف مجالات الحياة المغربية، والتي تقدم بها للمسؤولين رجال كتلة العمل الوطني سنة 1934، ثم جاءت السنوات التي أعقبت المطالبة بالإصلاحات، وفي طليعتها المطالبة بالحرية الأساسية العامة، التي توالى فيها المحاكمات والاعتقالات والسجون والمنافي والإبعاد.

وفي عهد الحكومة الاشتراكية الشعبية بفرنسا، أي في سنة 1937، وجدنا أنفسنا في مواجهة قاسية جدا مع الجنرال نوغيس، الذي عينته الحكومة الاشتراكية ليعمل على تحقيق الإصلاحات الضرورية، فكان الجواب، هو السجن، والإبعاد، والاعتقال الذي تجلّى في أعلى درجات المكر، بنفي الزعيم علال الفاسي إلى أدغال إفريقيا طوال تسع سنوات، وكان سجننا نحن أعضاء الحزب الوطني وأعضاء إخواننا في الحركة القومية وفي طليعتهم الزعيم محمد ابن الحسن الوزاني، الذي أبعده إلى الصحراء المغربية، ثم إلى قرية إترز القريبة من فاس التي فرضت عليه الإقامة الإجمالية فيها سنوات.

كانت الظروف الدولية بعد هذه الفترة، مشحونة بالمطالبة بالحرية العامة، فأثناء الحرب العامة التي ابتدأت أواخر سنة 1939، ارتفعت الأصوات المطالبة بتقرير مصير الشعوب، وكان ميثاق ما سمي بالميثاق الأطلسي الذي وقعه كل من الرئيس روزفيلت، والوزير البريطاني «تشرشل» والذي حددت فيه المبادئ التي يجب أن يعمل الحلفاء على تطبيقها لصالح الشعوب بعد انتهاء الحرب، والذي جاء فيه بالنص: (إنهما يحترمان حق الشعوب كافة، في اختيار نظام الحكم الذي يريدون أن يعيشوا في ظلّه، ويتمنيان عودة الحقوق الأساسية، والحكومات المستقلة إلى أصحابها، الذين انتزعت منهم بالقوة. وإنهما يتمنيان تحقيق سلم، يوفر لجميع الأمم أسباب عيشها بأمان، داخل حدودها، ويؤمن الضمانة لكل الشعوب، لتتمكن من العيش بحرية، دون خوف أو حاجة).

كان الواجب علينا نحن المسؤولين في الحزب الوطني، الذي سمي في ما بعد بحزب الاستقلال، يفرض علينا أن نضع قضية المغرب ضمن القضايا

التحريرية في العالم، وهكذا صرنا نفكر عمليا فيما يجب القيام به، وكانت أفكار تعرض، البعض منها يصرح بالمطالبة بالاستقلال، والبعض منها يكتفي بالمطالبة بتغيير أوضاع الحماية، ولكن فكرة المطالبة بالاستقلال تغلبت، واقتنع بها الجميع، وهكذا وبالتنسيق الكامل مع جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس قدس الله روحه. تقرر أن يكون المطلب هو الاستقلال.

لقد كان اتصالنا نحن رجال ما كنا نسمى بـ(الطائفة) أو (الزاوية) وهو الجناح السري في الحزب الوطني، اتصالا موثقا سريريا مضبوطا ومحكما مع محمد الخامس، وزاد توثيقا في سنة 1943 لدى إعدادنا للمطالبة بالاستقلال، حيث كانت الاتصالات السرية بيننا وبينه رحمه الله متواصلة، ونظرا لأننا سنقدم على أمر خطير وصعب، لا يمكن أن يتقبله الفرنسيون بأي شكل من الأشكال، كما سيتجلى من بعد، فلا بد مع التهيئ الذي نهى أنفسنا له، أن نزيد توثيقا مع ملكنا ورمز وحدتنا بعهد فيما بيننا وبينه، نقسم فيه معه على الإخلاص لله والوطن، والملك، والمحافظة على الأسرار، وأن لا نقوم بأي عمل إلا بعد مشورته وموافقته، وأقسم هو نفسه نور الله ضريحه على ذلك.

وهكذا كان عملنا معه رحمه الله. عملا وطنيا خالصا، وهكذا تقدمنا له بوثيقة المطالبة بالاستقلال، بعد أن اطلع عليها من قبل، ونظمتنا معه، كيفية تقديمها، ويوم التقديم وساعته، وهكذا كانت مرحلة تاريخية حاسمة في تاريخ المغرب الحديث، تحقق بكيفية لا رجعة فيها، تضامن وتكاتف الشعب مع العرش، وتكاتف العرش مع الشعب، لتحقيق الاستقلال، ورفض الاستعمار، وتطوير تسيير الشعب المغربي، على أساس نظام ملكي دستوري، يضمن حقوق مختلف الطبقات الشعبية، ويحرس الوحدة المغربية الثابتة تحت العرش المغربي الخالد. كانت بسلا، خلية صغيرة سرية، تدعى بخلية (فتح) تابعة للحزب الوطني، تنشط في الميدان الثقافي والتوجيهي والسياسي في الظاهر، ولكن أعضائها الأساسيين مطلعون على النشاط السري للطائفة، أي للجنح السري للحزب الوطني، وهذه الجماعة بحكم انتمائها للطائفة، كانت هي الموقعة على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وهؤلاء الموقعون من مدينة «سلا»

هم : أبوبكر<sup>1</sup> القادري، عبد الرحيم<sup>2</sup> بوعبيد، قاسم<sup>3</sup> الزهيري، محمد<sup>4</sup> البقالي، الطاهر<sup>5</sup> زنيير ابن العلامة أبي بكر زنيير، الحاج<sup>6</sup> بوبكر الصيحي، الصديق<sup>7</sup> بن العربي ويضاف إليهم : السيد المرحوم محمد بن الخضر، من آسفي وكان مقيما إذذاك بسلا هؤلاء هم الذين كانوا يعتبرون المسيرين السياسيين للحزب الوطني في سلا، بالإضافة إلى آخرين من الإخوان، من جملتهم المرحوم أحمد ابن اليمني الذي لم يطلب منه التوقيع على الوثيقة، لأنه كان إذ ذاك مقيما بسيدي قاسم كأستاذ في التعليم.

كان التوقيع على الوثيقة سرّياً، مشدداً عليه، حفاظاً على السرية، حتى تكون المبادرة مفاجئة للسلطات الاستعمارية، وكان القرار الذي اتخذناه يقضي بأن التوقيع يكون من طرف رجال الطائفة، أو من الذين ترتني المصلحة الكبرى للبلاد أن يشاركوا في التوقيع ولو لم يكونوا من الطائفة، بشرط أن يعطوا الضمانة الكافية للسرية. ويضمنهم أفراد من رجال الطائفة، ومن هؤلاء بعض الإخوة من قدماء تلاميذ المدرسة الإدريسية بفاس كالمرحوم محمد الزغاري، والمرحوم إدريس المحمدي، اللذين بعد توقيعهما وتنظيم حزب الاستقلال، كانا من أعضاء المجلس الأعلى للحزب.

ويجب أن أسجل هنا أننا بمقدار ما كنا محافظين على السرية المطلقة، كنا حريصين وعاملين على إضافة أشخاص وطنيين غير طائفيين، وغير منتمين للحزب الوطني، لسد الطريق أمام الإقامة العامة التي تعمل على تفريق الجهود الوطنية. وليكون مطلب الاستقلال مطلباً إجماعياً لا تعصب فيه ولا احتكار، ومن هنا نظمنا اتصالاً بالمرحوم محمد بن الحسن الوزاني في منفاه باتزر، ومن هنا كان اتصالنا برجال الحركة القومية الذين وإن جاء تضامنهم بعد يومين بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، فإنها أثبتت أن الوطنيين الأحرار، وإن لم يكونوا في حزب واحد، فإن مطلب الاستقلال مطلب الجميع، ويجب أن تتظافر على تحقيقه الجهود، وهكذا كان والحمد لله.

بعد تقديم وثيقة الاستقلال في حادي عشر يناير 1944، اهتز المغرب هزة عنيفة قوية. فصارت تتوارد الوفود من جميع أنحاء المغرب دون استثناء،

حاملة عرائض التأييد، وموقعة من مختلف الطبقات الشعبية بمآت التوقيعات، سواء من العلماء، والمثقفين، أو من التجار والحرفيين، أو من الفلاحين والعمال، أو من غيرهم من طبقات الشعب المختلفين، وكانت أيام انتفاضة شعبية عارمة، دامت نحو العشرين يوما، كان القصر الملكي بالرباط، مقصد الوفود من جميع الأقاليم والجهات، الأمر الذي أربع الاستعماريين الذين ظنوا أول وهلة، أن مطلب الاستقلال سيبقى محصورا في دائرة أعضاء وأنصار حزب الاستقلال، فتبين لهم أن المطلب مطلب الشعب كله، بملكه وأفراد شعبه، وأن الاجتماع الذي عقده جلالة الملك محمد الخامس، وحضره الوزراء والعلماء وكبار المسؤولين في الدولة، كلهم يؤدون وبياركون المطالبة بالاستقلال، ويرفضون الحمایات المفروضة عليهم من طرف الاستعماريين فرنسيين وإسبانيين ودوليين.

لقد انبهر الاستعماريون، وظنوا أننا ما تقدمنا بوثيقة المطالبة بالاستقلال، إلا ووراءنا جهات ودول أجنبية تساندنا في مطلبنا، ولذلك وقفوا وقفه المتردد ماذا يفعلون، بل أكثر من ذلك وافقوا على إجراء مفاوضات غير مباشرة معنا، في انتظار تعاليم من رؤسائهم في الجزائر، حتى إذا ما تبين وتأكد لديهم أن تحركنا في المطالبة في الاستقلال، ليست له أية دوافع أجنبية، وأن الدافع إليه هو ضمائرنا الوطنية الصميمة، فهناك قرروا مقاومتنا بكل الوسائل التي لديهم، وهكذا بدءوا باعتقال الأمين العام للحزب الأستاذ المرحوم الحاج أحمد بلافريج والأمين العام المساعد المرحوم محمد اليزيدي وتفتيش منازلهما، متهمين المرحوم بلافريج بالذات، بأن له اتصالا بالألمانيين، ولذلك لا بد من تقديمه للمحاكمة باعتباره متعاوناً مع المحور.

وإثر إلقاء القبض على بلافريج واليزيدي، وقع استدعائي وإخوان لي من طرف باشا سلا، والمراقب المدني الفرنسي، مخبرين بإلقاء القبض على المذكورين أعلاه، وأنه ممنوع منعا كلياً القيام بمظاهرات، أو احتجاجية أو أي شيء من شأنه أن يخل بالأمن العام، وأنه إذا ما حدث أي اضطراب،



فسيكون معه السجن والعقاب، ولقد أجبنا في حينه، بأن الاتهامات الموجهة إلى الأمين العام للحزب، مرفوضة رفضا كليا، وأنا متضامنون معه التضامن الكلي. ثم افترقنا بعد التهديد، لننظم المظاهرة العارمة التي شارك فيها الشعب بمختلف طبقاته، سواء منهم الرجال أو النساء. كما استستمعون لتفاصيلهما بعد هذا الخطاب.

لقد تجاوزت سلا مع الرباط، التي قامت بمظاهرات عارمة قوية أولا، واخترقت جموعها جنبات القصر الملكي، وشارك فيها شباب متحمس كل الحماسة، وكان وقعها عظيما في مختلف أنحاء المغرب، وسقط فيها عدة ضحايا في طليعتهم الشباب الصديق حساين رحمة الله عليه.

أما مظاهرة سلا، فلقد سقط فيها عدة شهداء كان من جملتهم: الفقير الجيلاني الفيلاي وخلافة الصحراوي وبوعزة بن العربي الشاوي وبلال بن فاتح الدكالي، وجرحت فيها جرحا أليما، توفيت بعده المرحومة خناتة الرونودة، زوجة العمري. وكان من المجروحين أيضا: الإخوة محمد الناصري وأحمد السفياي والعربي المريني وعبد الرحيم حركات، وحكم بالإعدام بعد ذلك على الشاب الوطني المتحمس السيد أحمد بن اعبود شقيق أخينا المرحوم الدكتور المهدي بن اعبود.

وبالمناسبة أسجل بمنتهى الفخر والتقدير أننا بعد انتهاء مظاهرة سلا. طفنا على منازل الشهداء الذين سقطوا ضحايا العنف والقتل، ومن جملتهم منزل المرحومة خناتة الرونودة، التي بعد ما سلمت عليها وهي في حالة جد أليمة من جراء إصابتها في ساقها اللذين رأيتهما عبارة عن قطعات من الدم الخالص القاني، وهي مع ذلك ثابتة صامدة، حيث أجابتنني بعد أن واسيتها، بأنها سعيدة بهذه التضحية من أجل بلادها.

بعد انتهاء المظاهرة العارمة التي كان على رأسها أخي المرحوم عبد الرحيم بوعبيد ومن أبطالها الإخوان المرحومان محمد البقالي، وعبد السلام النجار، الذي كنا ندعوه بالشرطي الوطني ومن النساء المرحومة البتول الصبيحية.

بعد هذه المظاهرة بقليل، وقع احتلال المدينة من طرف الجيش الفرنسي والسنغالي، فطوقت المدينة من جميع أطرافها، واعتلت الجيوش سطوح المنازل، وصارت المدينة كأنها قلعة جيش.

ثم بعد ذلك وقعت الاعتقالات، بشكل فيه كثير من العنف، خصوصا أثناء وقوفنا بساحة المراقبة المدنية بباب الحجاز ونحن شبه عراة ساعات عديدة، ثم جاءت السيارات العسكرية لتنقل المعتقلين إلى سجن لعلو بالرباط ثم بعد امتلاء زنازته إلى معتقل عسكري بشارع تمارة، وكان من جملة المعتقلين فيه أستاذنا الفقيه العلامة السيد أبو بكر زنيبر، وولده الطاهر ومحمد رحم الله الجميع.

ثم جاءت المحاكمات التي يطول شرحها وما وقع فيها.

أيها الإخوة والأخوات.

ان حدث تقديم وثيقة الاستقلال الذي نحتفل بذكره السنوية، يعتبر حدا فاصلا بين عهدين من الكفاح، عهد المطالبة بالإصلاحات، وعهد المطالبة بالاستقلال الذي تحقق - والحمد لله - بعد إحدى عشرة سنة من المطالبة بالاستقلال.

لقد كنا ندرك تمام الإدراك، أننا دخلنا في مرحلة صعبة مع الاستعمار، وليس لنا من سلاح إلا سلاح الإيمان، ولكننا كنا مصممين على السير إلى الأمام، مهما كانت الظروف قاسية، وأن كفاحنا يجب أن يستمر لتحقيق ما نصبو إليه، وللحفاظ والدفاع عن ثوابتنا ومقوماتنا العقائدية والحضارية والثقافية. وحرصنا على وحدتنا الوطنية المغربية العريضة المتجردة من الأنانيات والعصبية، وتشبثنا والتفافنا حول العرش العلوي المغربي، الضامن لذاتيتنا المغربية، والحفاظ على هويتنا الوطنية. فلنقض على الأفكار الانهزامية والتفريقية، ولنعبئ شبابنا بالروح الوطنية الصحيحة، ليسير في النهج القويم، والصراط المستقيم مثل ما صار سلفه الأولون، وآبائه المخلصون.

إننا ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين، نسائل أنفسنا. هل لازلنا ولا يزال شبابنا سائرين في الخط والروح التي كانت مسيطرة علينا في حادي عشر يناير 1944؟. إننا وإن شبابنا بالخصوص مدعوون إلى أن نراجع أنفسنا، هل لازلنا سائرين في الطريق الصحيح؟ لترسيخ قواعد دولتنا المغربية، وبنائها على القواعد المتينة. في كل الميادين والمجالات المتعددة.

إن ذكرى حادي عشر يناير، لا بد أن ترجع بنا إلى عام 1944 ليتجدد شبابنا الوطني مثل ما تجدد في ذلك الوقت، من أجل تحقيق الأهداف الوطنية، ومن أجل الحفاظ على الثوابت التي هي الإسلام، والوحدة، والمغربية، والحضارة العربية والأمازيغية والتشبث بالملكية العريقة، وبالثقافة العربية الإسلامية وبلغه القرآن. إن هذه الثوابت، هي التي ضحى المضحون من أجلها، ومات الشهداء دفاعا عنها، فطوال تاريخ المغرب خلال أربعة عشر قرنا، كان المغاربة متشبثين بثوابتهم وبها كتبوا تاريخهم ودفاعهم عن حرمانهم، وبها قاوموا الاستعمار الذي احتل البلاد ليقضي على ذاتيتهم وحضارتهم ولغتهم.

إن الحفاظ على الروح الإيمانية بالمقدسات والثوابت، هو ما يجب أن تتكاتف عليه الجهود، ويربى ويكوّن الشباب على ضوئها وفي دائرتها، فلا خير في أمة تنسى ذاكرتها وقيمها ومقوماتها، ولا مستقبل للمغرب الناهض إلا بالحفاظ عليها، والنضال في سبيلها.

إن الظروف العولمية التي نتحدثنا، يجب أن نقف أمامها صامدين، ثابتين، موحدّين، وموحّدين، متمسكين بمغريبتنا الأصيلة، وحضارتنا العربية الأمازيغية، وعقيدتنا الإسلامية السمحة، واثقين بأنفسنا، مصممين على بناء مستقبلنا وفق إرادتنا، وما نتطلع إليه من مستقبل متقدم مشرق والله سبحانه يوفقنا ويهدينا سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أبو بكر القادري

29 يناير 2004م

7 ذي الحجة الحرام 1424هـ

## حواران صحافيان :

- حوار مع جريدة (الشرق الأوسط).
- حوار مع جريدة (الأيام) حول الغناء والسماع وتلاوة القرآن.



## حوار جريدة (الشرق الأوسط)

مع أبي بكر القادري

### حول قضايا مغربية وسياسية

الرباط في 1998/02/18

أجرى الحوار : منصف السليمي

أبو بكر القادري القيادي البارز في حزب الاستقلال المغربي لـ«الشرق الأوسط» :

هذا رأي بصراحة في تداول الأجيال على المسؤولية، وأسباب تراجع الأحزاب «الوطنية» وعلاقة «الاستقلال» بالجماعات الإسلامية.

أبو بكر القادري (83 سنة) هو من الرعيل الأول من الحركة الوطنية المغربية، وهو اليوم أبرز الزعماء التاريخيين في حزب الاستقلال المغربي، وهو عضو مجلس رئاسة الحزب، وهي هيئة قيادية ذات نفوذ مرجعي، ويصفه السياسيون في المغرب بأنه من حكماء الحزب، ويعتبر أهم شخصية دينية في الحزب، منذ رحيل الزعيم التاريخي للحزب المرحوم علال الفاسي، خاض القادري تجارب مبكرة من حياته في الكفاح والعمل الوطني، وسجن من قبل السلطات الاستعمارية، ولم يكن عمره يتجاوز العشرين، ولم يتقلد في حياته أي منصب حكومي، رغم تولي الحزب للمسؤولية في الحكومة عدة مرات في العقود الماضية، وكانت له دائما نظرتة ومواقفه المتميزة للأحداث. والقادري هو عضو في أكاديمية المملكة المغربية، وعضو مجلس الوصاية، وصدر للقادري عشرات المؤلفات وأحدثها الجزء الثاني من مذكراته «مذكراتي في الحركة الوطنية» والقادري هو من الموقعين على وثيقة استقلال المغرب سنة 1944.

«الشرق الأوسط» أجرت معه حوارا شاملا حول قضايا مغربية ساخنة، كمستقبل تحالف حزبي الإستقلال والإتحاد الإشتراكي، وتداول الأجيال في المؤسسات السياسية والعلاقة مع الجماعات الإسلامية، كما يغطي الحوار مراحل أساسية من حياة الرجل الغنية بتجارب العمل السياسي والوطني، وهي تشكل حصيلة جيل مايزال يتمتع بمكانة خاصة في المغرب وخصوصا في حزب الإستقلال.

وفيما يلي نص الحوار :

\* ما المصادر الثقافية التي نهلت منها في بداياتك، وكيف كانت دراستك ؟

— كانت دراستي الابتدائية في مدرسة حرة، ثم تابعت الدراسة في الجوامع، بإستثناء الدراسة الخاصة التي تابعتها في مرحلة لاحقة، وبالموازاة لذلك كنت مارست التجارة في فترة قصيرة من حياتي. وهي أمور أثرت في حياتي. لم تكن الدروس القليلة التي كنت ألقاها تسد لهفي للعلم والمعرفة، فبدأت أتوسل السبل لتعميق تكويني العلمي وزادني الثقافي، وخصوصا عندما وقعت أحداث الظهير البربري الذي أصدرته سلطات الحماية في 16 مايو (أيار) سنة 1930، وكان عمري إذاك 16 سنة. ووضعت لنفسي برنامجا للدراسة الخاصة وكأني بالمدرسة، لكنني لاحظت أن لدي نقصا في اللغة الفرنسية، قياسا لأقراني الذين يتعلمون اللغة الفرنسية بالمدارس الفرنسية، وطرح أمامي مشكل السن الذي كان يفوق أعمار تلاميذ مرحلة الدراسة الابتدائية، ومع ذلك صممت ولوج الفصول الإبتدائية بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، (مدرسة أسستها الحماية الفرنسية ليدرس فيها أبناء الأعيان من المغاربة). وكان شكلي غريبا، وأنا أكبر التلاميذ بالفصل الذي التحقته أول مرة، لكن شغفي بتعلم اللغة حثني على الاستمرار، بل إن المعلمين كانوا يستعينون بي في عدد من الواجبات البيداغوجية في اللغة العربية، كتصحيح دفاتر التلاميذ. وبعد قضاء أكثر من سنة في تلك المدرسة بدأت إدارتها تتعامل معي بحذر، خوفا من قيامي بأنشطة تحريضية للتلاميذ ضد الفرنسيين، فقررت إيقافي من المدرسة. وكان لذلك القرار أثره في تكيف

حياتي بكاملها، فقد كان أول تفكير يتبادر لذهني هو تحدي الإدارة، وتمثل التحدي في تأسيس مدرسة رغم صغر سني، ومن هذا المنطلق كانت البداية مع التعليم، بدءاً من إلقاء الدروس بالمساجد، وصولاً إلى فتح مدرسة خاصة.

\* وما هو تقييمكم الآن لحالة التعليم في المغرب، بعد أربعة عقود من الاستقلال، وأين تقفون إزاء التقييمات المتباينة لأزمته؟

– لقد اجتاز المغرب في مرحلة الثلاثينات والأربعينات، حالة مفارقة بين نظامين تعليميين متباينين : تعليم عربي تقليدي لا تجديده فيه، وتعليم فرنسي عصري، تهتمش فيه اللغة العربية، لكن فكرة تأسيس المدارس الخاصة من قبل الوطنيين، ساعدت على بلورة منهج تعليمي ثالث يقوم على تجديده التعليم العربي، والمحافظة على الأصالة في نفس الوقت، ومن هنا نشأ الصراع بين الإستعمار، والحركة الوطنية حول ملف التعليم، حيث كانت السلطات الاستعمارية تمنع المدارس الوطنية (مدارس خاصة) من تدريس المواد العلمية كالجغرافيا والرياضيات والتاريخ، ولكننا رفعنا تحدياً من خلال الدخول باللغة العربية في تجربة تدريس هذه المواد العلمية، وانتقلنا في مرحلة لاحقة لمواجهة قضية ازدواجية اللغة. وهنا طرح سؤال جوهري : هل إن تعليم اللغة الفرنسية في المراحل الابتدائية ضروري أم يتعين تأجيله إلى المرحلة الثانوية؟ وإنقسمت الآراء آنذاك إلى توجّهين، بين رافض ومؤيد.

\* وماذا كان رأيك؟

– وكان لي رأي خاص في الموضوع، ويقوم على فكرة تركيز تكوين التلميذ في المرحلة الأولى (الابتدائي وما قبل الابتدائي) إلى غاية عشر سنوات، على التعليم العربي، بينما كان إخوة وطنيون، وضمنهم أحمد بلافريج وآخرون يؤيدون فكرة ازدواجية اللغة منذ البداية. وأسس بلافريج منذ الوقت مدرسة على هذا المنهج، وهي مستمرة ليومنا هذا بمدينة الرباط. ولكننا كنا متفقين على مبدأ ضرورة تعلم اللغة الأجنبية.



\* ألم تكن تجربة تعليم المرأة في ذلك الحين، مجازفة في مواجهة تيار تقليدي عام يرفض تعليمها وخروجها من البيت؟

– تقليديا كان تعليم المرأة محدودا جدا، لكننا توخينا أساليب إستخدمنا فيها «التحايل»، لتمرير فكرة تعليم البنت، من خلال الاعتماد على التوجه الإسلامي، والتركيز على المبادئ الإسلامية التي تؤكد مساواة الرجل والمرأة، وساعدنا في ذلك معرفة الشعب بنا، وثقته في تمسكنا بالأصالة، وكانت النتائج طيبة جدا.

\* وما هو رأيك الآن في حالة التعليم بالمغرب، وكيف تردون على من يحمل حزب الإستقلال جانبا مهما من مسؤولية فشل النموذج التعليمي؟

– يجتاز التعليم بالمغرب في الفترة الراهنة حالة أزمة، ولا أعتقد أن المشكل يكمن في وجود خطأ في المنطلق، أي في إختيارات المراحل الأولى من الاستقلال، ولكن المشكل الجوهرى يكمن في عدم تطبيق الإختيارات التي إنطلقنا منها في بداية الإستقلال، وحدثت دائما تعثرات وتغييرات متتالية للسياسات وللوزارات المكلفة بالتعليم، وكل يأتي ويمسح عمل سلفه. وقد واجهنا في المرحلة الأولى من استقلال المغرب، إتجاها قاده أطر فرنسية، ظلت تعمل بصفة مستشارين بالمغرب بعد الإستقلال، وفي مرحلة لاحقة واجهنا جيلا من الأطر المغاربة، الذين تكونوا على أيادي فرنسية، أي ما يطلق عليه بالإتجاه الفرنكفوني. وقد إعتمدنا في إختياراتنا أربعة أسس: التعليم حق للجميع (تعميم التعليم)، التعريب (ضد الفرنسية) توحيد البرامج التعليمية لجميع أبناء المغاربة، توخي المنهج، تكوين الأطر (كنا نطلق عليه عبارة المغرّبة). وأعتقد إن هذه الإختيارات لم يقع التراجع عنها مطلقا، لكن التطبيقات الحكومية شابتها عيوب كثيرة.

\* واجهت اللجنة الوطنية للتعليم بالبرلمان السابق صعوبات كبيرة، وهنالك آراء متباينة إزاء قضايا التعريب، وتعدد اللغات في النظام التعليمي، فما هو رأيكم؟

– أولاً هنالك مسألة تاريخية : فقد فرض علينا تاريخياً تعلم اللغة الفرنسية، لأن الإدارة والمعاملات كانت في مجملها باللغة الفرنسية، أما في شمال البلاد، فكانت اللغة الإسبانية سائدة، لكن وقعت الحكومات السابقة (إثر الإستقلال) في خطأ عندما فرضت اللغة الفرنسية على المناطق التي تتقن الإسبانية. وكان يتعين إغناء النظام التعليمي المغربي باللغة الإسبانية بالنسبة للمناطق التي تتقنها.

وثانياً : اعتبر أن مسألة تعلم اللغات الأخرى، والتفتح عليها سواء كانت فرنسية، أو إسبانية، أو إنجليزية، أمر واجب ولا غنى عنه، وخصوصاً الإنجليزية.

\* هل تعتقد الآن، أن جيل الحركة الوطنية والإستقلال، قد أدى دوره ورسالته، وكيف تبدو لك عملية الإنتقال بين ذلك الجيل، وأجيال الشباب، هل هي طبيعية أم تحفها مصاعب ؟

– أعتقد أن الرواد الأوائل للحركة الوطنية، بذلوا جهوداً جبارة لإخراج المغرب من طور إلى طور، في ميادين الحياة العامة، والسياسة، والتعليم والمفاهيم، وقد إتجهت رسالة الحركة الوطنية منذ بداياتها قبل الإستقلال وبكل إتجاهاتها (أحزاب كتلة العمل الوطني في الثلاثينات، الحزب الإصلاح الوطني والحركة القومية (الشورى والإستقلال) وحزب الوحدة المغربية ثم حزب الإستقلال)، لتغيير المفاهيم، وأنماط التفكير لدى الناس. واعتبر أن هذه الأحزاب والرواد، أدوا دورهم ورسالتهم بتفاني مطلق، في مكافحة الإستعمار، وتحقيق الإستقلال وفي تغيير المفاهيم لدى الشعب وفي إنشاء تنظيمات إجتماعية وسياسية جديدة، وهو ما أحدث تغييراً في المغرب من مغرب عتيق، إلى مغرب جديد.

وفي المرحلة اللاحقة أي الأربعينات والخمسينات، ظهر جيل جديد، وأعني جيل المهدي بنبركة (السياسي المغربي الذي اغتيل في الستينات) وعبد الرحيم بوعبيد (توفي سنة 1991)، وقد تفاعلت قيادات الحركة الوطنية الممثلة في حزب الاستقلال بأريحية، إزاء هذا الجيل، وتقبلته

ضمنها من أجل تقوية الحركة، وإستمرارها، وتطورها، وعدم التوقف، أو إحتكار القيادة. وتميزت الحركة الوطنية المغربية بميزة التواصل بين أجيالها. ولكن بدأنا نلاحظ خلال الفترة الأخيرة ظهور إنتقادات لجيل الحركة الوطنية كونه لم يفسح المجال لأجيال الإستقلال (الأجيال الجديدة)، في تولي المسؤوليات في المؤسسات السياسية أو غيرها، ولكنني أعتبر أن هذه الملاحظات ليست على الوجه التام من الصحة، أولاً : أبدأ من حزب الاستقلال أعرق الأحزاب المغربية، تجد في قيادته توازناً بين من هم جيل الأربعينات والخمسينات وجيل الستينات والسبعينات، فمثلاً تجد في القيادة محمد بوسطة (الأمين العام) ومحمد الوفا (عضو في اللجنة التنفيذية للحزب) وبينهما ما لا يقل عن 30 سنة. ومن هذه الحالة يتبين أن فكرة إحتكار الجيل الأول للقيادة، غير صحيحة. ثانياً : إن إثارة هذه الأفكار، وكما يقول المثل «للتشويش لا غير».

\* «التشويش» على ماذا؟

— على الفكر الوطني، أو على القيادات الوطنية، والدور الذي تقوم به، فلماذا لا تثار هذه الأفكار في حالة القيادات التاريخية في المجتمعات المستقرة، كالصين، وفرنسا، وبريطانيا، وروسيا... أما النقطة الثالثة، حول دور الشباب، وأعتقد أن المسألة تتلخص في مدى نضج وديناميكية ومسؤولية النخب الجديدة من خلال مشاركتها في تسيير مؤسسات المجتمع والمنظمات والأحزاب، فمن الحتمي أن يتولى هؤلاء الشباب مسؤوليات قيادية.

\* وكيف تردون على الرأي الذي يعتبر أن إستمرار قيادات تاريخية لفترة طويلة على رأس مؤسسات حزبية أو نقابية، يعيق تطور الديمقراطية، والحوار داخل تلك الهيئات، وغياب التداول على المسؤوليات؟

— لا يمكنني مسaire هذا الرأي، لأنه كلام مطلق، لا يحل المشاكل الكبرى التي يمكن أن تواجه التطور والبناء، والخبرة والتجربة ضروريان، ولكن الواجب لضمان الإستمرارية وتواصل الأجيال، أن يفتح ذوا التجربة

المجال للقيادات الشابة، كي تساهم المساهمة الضرورية في تحمل المسؤولية ومعالجة المشاكل.

\* وإذا طرحنا الموضوع على مستوى نخب المغرب العربي، فهنالك من يتشائم حول المستقبل، بسبب ظهور فجوة بين أجيال الشباب في دول المغرب العربي، بينما كان التواصل قويا بين أجيال الحركات الوطنية في هذه البلدان؟

— مع الأسف الشديد وأقولها بمرارة، إن الرؤية بالمغرب العربي قبل الإستقلال كانت سليمة، لكن هيمنت فيما بعد نظرات ذاتية وقطرية محلية، وقد غدت المشاكل التي تركها الإستعمار بين دول المنطقة، النظرة الضيقة في كل بلد، وتمركزت الإهتمامات حول الخلافات بشأن تلك المشاكل والمخلفات الإستعمارية، وتراجع التفكير الجماعي في المستقبل.

\* صدر لك جزءان من مذكراتك عن تاريخ الحركة الوطنية المغربية، ورغم تحفظ جل السياسيين بالمنطقة عن كتابة مذكراتهم، فهل يقودك رأي مختلف لهذه المسألة؟

— ستقتصر ملاحظاتي عن المغرب، حيث يوجد به تقصير كبير من قبل الزعماء السياسيين في هذا الباب، ويمكنني القول بأن عدم كتابة شخصية مثل المرحوم علال الفاسي لمذكراته مأساة حقيقية، وكذلك الحال بالنسبة للمرحوم عبد الرحيم بوعبيد أو المهدي بنبركة. إن ظروف الحياة متقلبة، ولا يعلم الإنسان متى يقضى، ولذلك فمن الضروري أن يقوم السياسيون بتدوين الوقائع والمذكرات بشكل يومي كي لا تضيع مع الزمن، وتبقى مرجعا لمن سيأتي بعده، وينبغي التعامل مع هذا الأمر باعتباره ليس مجرد شأن شخصي، بل هو ذاكرة جماعية وتاريخ بلد.

وشخصيا أجد صعوبات عديدة الآن في كتابة مذكراتي، بسبب ضياع عدد من المعلومات، وغياب وثائق، وبعضها أتلّف في عهد الإستعمار، لأنّ عملنا السياسي في عهد الاستعمار، كان يعتمد السرية، ونتحاشى تدوين المعلومات والوقائع.

ولهذا فإن مجموع ما كتب عن تاريخ الحركة الوطنية المغربية لحد الآن، لا يشكل سوى 20 في المائة تقريبا مما حدث من حقائق ووقائع.

\* وبعد إصدارك الجزء الثاني من «مذكراتي في الحركة الوطنية»، هل لديك جديد في هذا المجال؟

– أفكر في إنجاز جزء ثالث من هذه المذكرات، حول مرحلة 1945 إلى تاريخ إستقلال المغرب سنة 1956، وأسأل الله أن يمدني بالصحة والعافية، ما يساعدني على إنجاز هذه الخطوة.

\* وما هي عادتك في الكتابة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالمذكرات؟

– لا أخضع لنظام مطلق في الكتابة، فأحيانا أجد إندفاعا وقابلية للكتابة، وأحيانا لا أشعر بميل لها، وهي مسألة خاضعة للظروف، ففي الصيف الماضي، قضيت إجازتي بإحدى مدن الشمال المغربي، ووجدت قابلية كبيرة للكتابة، وعندما عدت للرباط قضيت أسابيع، دون أن أكتب حرفا واحدا..

\* هل تكتب بإعتبارك كاتباً، أم مؤرخاً، أم شخصية تسرد سيرتها الذاتية؟

– أنا لا أدعي بأنني كاتب أو صحفي، وإنما لدي شعور بالمسؤولية على تدوين حقائق في تاريخ المغرب، وخصوصا بعض المواقف في الكفاح الوطني، التي مازلت أذكرها جيدا، ومن جهة أخرى أنا أقرأ أحيانا كتابات عن تاريخنا الوطني، وألاحظ أنها تتضمن تزوير الحقائق، فأشعر بمسؤولية تصحيح الأخطاء وتفنيد التزوير.

\* هل يمكنك الإشارة لبعض حالات التزوير؟

– ليس ضروريا، لأنني لا أريد التجريح في أحد. ورغم أنني لاحظت أن بعض الكتابات تتجاهل عددا من الحقائق، أو تتغاضى عنها، فقد عمدت في كتابة مذكراتي عن الإبتعاد عن التجريح في الأشخاص.

\* قبيل وفاة المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، ظهرت بوادر تحالف سياسي بين حزبي الإستقلال، والإتحاد الإشتراكي للقوات الشعبية، تم توسيعه في مرحلة لاحقة، ليشمل أحزاباً أخرى، وأطلق عليه «الكتلة الديمقراطية»، فهل مازالت مقومات هذا التحالف قائمة، أم أن التطور السياسي الذي شهده المغرب منذ سنوات، أفقده معنى إستمراره؟

— إن وحدة الفكر الوطني مسألة ضرورية، ومن هنا كان تحالف حزبي الإستقلال والإتحاد الإشتراكي، ثم إن ظهور «الكتلة الديمقراطية» فيه فائدة للمغرب، بل يمكنني القول بأن وحدة الفكر الوطني لفائدة النظام السياسي المغربي، لأن فيه إستمرارية للفكر الوطني وسيادته. والمقصود بوحدة الفكر الوطني، أن يكون ضمن المبادئ الأساسية للحركة الوطنية: الإسلام والعروبة والحضارة المغربية التاريخية والنظام الملكي الدستوري، ولهذه الأسس أهمية كبيرة في ضبط الحركة السياسية المغربية، وفق نطاقها الطبيعي، وتجنّبها بعض القفزات الطائشة. كما تكتسي وحدة الفكر الوطني، أهميته، إزاء مواجهة بعض الضغوط، أو ما يسمى بالقوى الضاغطة، والتي تعمل في إطار إنتماء وطني، لا يستند إلى أسس جوهريّة، وهو ما يتعين مواجهته من خلال التمسك بوحدة فصائل الحركة الوطنية. ويمكنني هنا الإحالة إلى خطاب الملك الحسن الثاني بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب في 20 أغسطس (آب) الماضي، حيث شدد على مسألة التربية، لأنه بدون تأسيس التربية على ثوابت ومبادئ وطنية، لا يمكننا ضمان مسيرة الوطن وإستقراره. وأعتقد أن التشاور والعمل المشترك بين أحزاب الحركة الوطنية، من شأنه إعادة الإعتبار للأبعاد الوطنية وتقويتها.

\* هنالك من يرى بأن وجود حزبي الإستقلال والإتحاد الإشتراكي في ضفتي الحارطة السياسية، أي أحدهما في المعارضة، والآخر في الحكومة، يكون عنصراً مساعداً على التوازنات السياسية في البلاد؟

— إن وحدة أحزاب الحركة الوطنية، ليس الهدف منها تحقيق مكاسب سياسية، وإنما يتعدى الأمر إلى الحفاظ على مقومات التربية الوطنية، لأن

السياسة هي في خدمة الفكر الوطني، وليس العكس. ولا تطرح مسألة وحدة أحزاب الحركة الوطنية من منظور الحسابات السياسية الصرفة كالبحث عن التوازنات.

وإذا لم يتم التركيز على التربية الأخلاقية والوطنية، فإن العمل السياسي لا يمكنه أن يحقق نتائجه المرجوة لفائدة الوطن، ولإعادة الثقة في العمل السياسي، لابد من بذل جهود حقيقية في ميدان التربية.

\* وكيف تفسرون تراجع نتائج أحزاب الكتلة الديمقراطية في الانتخابات الأخيرة؟

— إضافة لمشكل الشفافية، وإحترام القانون والمواثيق الموقعة (ميثاق الشرف السياسي)، فهناك عنصر آخر على درجة من الأهمية والخطورة، لا ينبغي أن ننكره، بل يتعين الحديث عنه بصراحة، ويتعلق الأمر بطغيان الذاتية، والإعتبارات المادية، كحب المال والنفوذ والمناصب والوظائف، وتراجع التربية الوطنية، وهو ما يقتضي العودة لتغذية التوجه الوطني من خلال بعث جيل جديد، مؤمن بالأفكار التي قامت عليها الحركة الوطنية.

\* كيف تنظرون لمسألة إنضمام إحدى أهم الجماعات الإسلامية المغربية لحزب الحركة الشعبية الدستورية، ألا تعتقدون بأن هذه الخطوة كان أحرى بها حزب الاستقلال، وهل يدل ذلك مثلاً على إخفاق الحزب في إستقطاب هذه الجماعات؟

— إن تعاطف حزب الاستقلال مع الحركة الإسلامية أمر أساسي، ولكنني ألاحظ بأن تلك الجماعات هي فعاليات وليست أحزاباً، ولذلك فإن لقاء حزب سياسي له برنامج متعدد الأبعاد، مع جماعة إسلامية لا تهتم إلا بموضوع خاص، لا يوفر الشروط لقيام إندماج حقيقي. ولذلك لم يتيسر قيام هذا النوع من التعاون الوثيق في جميع الميادين، ولكن حزب الاستقلال يظل متجاوباً مع الأفكار الإسلامية الصحيحة، ومع الحركات الإسلامية التي تهدف لتربية الشعب على أسس إسلامية صحيحة.

- \* هل يتعلق الأمر إذن بمؤاخذات على الجماعات الإسلامية ؟
- لا يتعلق الأمر بمؤاخذات بقدر ما هي مسألة منهجية، فنحن أمام حالة جماعات لا يشمل نشاطها وإهتمامها قضايا معينة، فكيف يمكن إدماجها ضمن مجال لم تعلن عن إهتمامها به.
- \* وهل تعتقدون بأن تطور تلك الجماعات لتصبح أحزابا سياسية أمر طبيعي في بلد إسلامي ؟
- هذا أمر ضروري، ولا أرى لماذا لا يمكن قيامه.
- \* ولكن تطرح مسألة إحتكار صفة التحدث بإسم الإسلام ؟
- هذه مسألة قائمة، وهناك من لديه تحفظات، ولكنها في الغالب مجرد إفتراضات، ويتعين على الجماعات الإسلامية من جانبها، أن لا توهم الآخرين بأنها تسعى لإحتكار الإسلام، من خلال تعاملها معهم باعتبارهم مسلمين من درجة ثانية، هذه أمور غير مقبولة.
- \* وكيف تقيمون الأوضاع في الجزائر ؟
- شخصيا أعتبر أن ما يحدث في الجزائر من أحداث لا علاقة له بالإسلام في شيء، وتربطنا بالأشقاء من الأحزاب، والنخب الجزائرية، وشائج عاطفية، وعلاقات تاريخية.
- \* ولكن تطور الأمور في الجزائر، وتنامي الحركات الإسلامية في المنطقة، يثير قلق الأوساط الغربية، كونه مصدر عدم إستقرار ؟
- إن الحكم بهذه الصيغة العامة على كل الحركات الإسلامية، أمر يخفي وراءه حملة مغرضة على الإسلام، تقودها دوائر غربية، وهي دوائر تصطنع المخاوف من التوجه الإسلامي بشكل عام، نتيجة تنامي الإسلام في أوروبا نفسها، وهي مسألة لها جذور تاريخية.
- \* ألا تعتقدون بأن تلك المخاوف، لها ما يبررها في أحداث العنف والإرهاب التي ترتكب ؟



- برأبي إن الجماعات التي ترتكب أعمال عنف، وإرهاب، وتقتيل، على غرار ما يحدث في الجزائر، هي جماعات تعمل ضد الإسلام.

\* وما هي أبرز المعضلات التي واجهت المغرب العربي؟

- المشكلة بين المغرب والجزائر، وأساسا مشكل الصحراء، وحدثت مشاكل بعد الاستقلال مع تونس، بسبب خلاف الرئيس الحبيب بورقيبة مع الزعيم صالح بن يوسف. أما مع الإخوة الجزائريين، فقد كان لمصالي الحاج توجه وحدوي، أعمق من الاتجاه الذي نهجته جبهة التحرير الوطني، كما كان لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر توجه وحدوي محدود. وبالنسبة للحركة الوطنية التونسية، فإن الحزب الحر الدستوري بقيادة الثعالبي كان أقرب لنا.

وبعد الإستقلال، وتعاقب العقود، برزت ظاهرة سلبية في دول المغرب العربي، وهي ضعف الإهتمام بالتكوين الوحدوي، والتربية الوطنية السليمة، القائمة برأينا على المبادئ الإسلامية، والوطنية الوحدوية. كما إن إختلاف النظم السياسية، ووقوع عدد من الانقلابات في الحكم، ساهم في تباعد المنظور لدى أجيال الإستقلال بدول المغرب العربي، بينما تميز المغرب بإستمرارية الملكية، كمؤسسة عريقة ضامنة للوحدة. نحن في حزب الإستقلال تاريخيا، متمسكون بالملكية، من منظور يقوم على مبدأ الملكية الدستورية، وهو رأي دافعنا وندافع عنه رغم الإنتقادات التي وجهت لنا، تعاقبت على الحكم بالجزائر، قيادات جبهة التحرير والعسكريين، وعاشت تونس تجربتين مختلفتين من الحكم في عهد الرئيس بورقيبة، ثم المرحلة الحالية. وفي المغرب تشكل الملكية ضمان وحدة البلاد، على إمتداد تاريخ المغرب، والملكية الدستورية تتعارض مع الحكم المطلق أساسا.

\* ما هي برأيكم أسباب تعثر تجربة اتحاد المغرب العربي؟

– لقد شهدت دول المنطقة في العقود الماضية، مناهج سياسية وإقتصادية مختلفة، إشتراكية وليبرالية وغيرها، ولعل اختلاف التوجهات في بلدان المغرب العربي عرقلت تحقيق الوحدة المنشودة، ونحن نتوق بإستمرار لإحياء فكرة المغرب العربي، على مستوى شعبي، وعدم إقتصارها على الجانب الحكومي.

\* وما هو السبيل لإعطاء مشروع المغرب العربي بعدا شعبيا؟

– من خلال تفعيل المؤسسات الشعبية، العمالية، والطلابية، والنسوية، وهيئات المجتمع المدني، وإيجاد تواصل فيما بينها على إمتداد منطقة المغرب العربي، من خلال فتح جسور حوار وتعاون ديناميكي فيما بينها، ولكننا نلاحظ أن هذا البعد توقف منذ عقود مع الأسف الشديد.

\* وهل أنتم متفائلون أم متشائمون. بمستقبل المغرب العربي؟

– لا أريد أن أكون متشائما، ولكنني لست متفائلا كثيرا إذا لم نصحح العزم على القضاء على المثبطات، وإزالة أسباب عرقلة طريق الوحدة المنشودة.

## حديث حول الغناء والسمع

### وتلاوة القرآن

أجراه : عبد السلام المفتاحي

جريدة (الأيام) يونيه 1998

### الفن في حياتهم

ها هم الكتاب والأدباء وحتى العلماء، يعلنون في لحظات صفاء مع النفس عن موسيقاهم المفضلة وأغانيتهم المحببة... لقد كان مثل هذا «البوح» إلى وقت قريب في قائمة «المسكوت عنه» كما لو أن عوالم الكتابة تتنافر مع عوالم الموسيقى والغناء، والحال أن الموسيقى، كما يقول شوبنهور، تصوير دقيق شامل لإرادة الحياة، تعبر عن السرور كله، والألم كله، لهذا فهي تبقى بعد فناء العالم...

هل نحتاج في هذا التقديم، أن نذكر بمقولات ابن حزم في الغناء، وإبداعات الفارابي في الموسيقى، وتأليف الفقهاء والأدباء والفلاسفة في فن التعبير بالأنغام؟ هل نستعيد في هذا المقام، إشارة برجسون من أن الموسيقى تعتبر من أقوى الفنون، لأنها أسرع في نقلها من حال إلى حال، وأبعد في الإستحواذ.

أم نسجل فقط إعتراف جبران بأن الغناء سر الوجود؟

إن الأمر في هذا التحقيق، لا يتعلق بإعلان رغبات المستمعين كما تتم في البرامج الإذاعية المملة، ولكن يتعلق بمحاولة للاقتراب من عوالم المشتغلين بهم الكتابة وأمور الفكر، حتى نكشف أنهم كما يؤثرون يتأثرون، وأن حياتهم الداخلية لا تنقل باللغة وحدها، ولكن قد تنقل في شكل تذوق موسيقي «خاص» أو ميل إلى إيقاع غنائي معين. إن المسألة تكاد تقترب هنا من قول بعضهم: قل لي أي نوع من الموسيقى تسمع، أقول لك ماذا تكتب...

«الأستاذ أبو بكر القادري رحب بـ«الأيام» وتفضل بالإجابة عن سؤال يتعلق بعلاقته بفن الموسيقى، والغناء، وعن الموسيقى التي يفضلها» فقال :

يمكن أن أقول بأني تذوقت الموسيقى أو بالأحرى الغناء منذ صغري. وذلك أني نشأت في وسط ديني، وكنت أحضر عددا من الإحتفالات الدينية التي كانت تشتمل على أمداح نبوية، مع إطلالة شهر المولد النبوي، كنا ندرس البردة والهمزية، وكان لابد أن يرافق ذلك ما يشبه تقسيمات عود، لبعض الأمداح النبوية. لقد دفعني كل ذلك إلى تعاطي «النعيمات» ومعرفة «طبوع» الآلات وغير ذلك. أما المرحلة التي تلتها فتتعلق بالآلة الأندلسية، وهنا أيضا كان لي أخ أكبر مني سنا (يرحمه الله) وكان مولعا جدا بالآلة. وقد وجدت نفسي بعد فترة لا أكتفي بالسماع، وإنما أطرب لها أشد الطرب، وحتى الآن ورغم كبر سني، فأني كلما التقيت بجوق ممتاز لطرب الآلة مثل (عبد الكريم الرايس) إلا جلست لأغني معهم... وعلى الرغم من أنني لست «فنانا»، فأني أعتبر نفسي من الهواة والذواقين. يعجبني مقام العشاق، وأحب نغمة الرصد. كذلك أميل إلى «رصد الذيل» لأنه كما يقال، إذا طال الليل، عليك برصد الذيل.

أضف إلى كل ما أسلفت، أنه في شبابي، ونظرا لتذوقي للألحان والآلة، بدأت أتلو القرآن بصيغ متعددة، تبعا لهذه «الطبوع»، والنعيمات المتعددة. وفي المدرسة التي كنت أديرها، حاولت تلقين هذه النعيمات للطلبة حتى نرددها في المسجد. وقد كان هذا الإجراء نوعا من التحدي للإستعمار (خصوصا في الآيات التي يكون فيها تحدي) حيث كنا نغير في الصيغ، من خلال صيغ عالية أو واطئة أو رقيقة، خصوصا في بعض الآيات التي تشعر بتحديها بالقرآن، للظلم الاستعماري، وهذا الأسلوب نهجته ومازلت أنهجه في المولد، حيث أقرأ قصة المولد، بنفس الصيغ التي يغنى بها حتى اليوم المادحون مع التغيرات اللازمة في مطلع كل صيغة.

الحق أن الموسيقى الأندلسية، قد ربت في نوعا من الذوق، وهكذا فعندما أنصت لقطعة غنائية لعبد الوهاب، أو أم كلثوم، أو عبد الحلیم حافظ،

أو ليلي مراد، أو فيروز (القدس) تأخذني هذه القطع أخذا. لا أكتمك أي ذهبت مرة إلى لبنان، ولم يكن بالإمكان أن لا أحضر سهرة لفيروز، ولقد بذلت سفارة المغرب وقتها المستحيل، حتى أحصل على ورقة الدخول التي كانت قد نفذت قبل موعد السهرة بشهرين.

أيضا خلال زيارتي لمصر بحثت عن مجموعة أسطوانات أم كلثوم حتى أشتريها، وإذا كنت أفضل عند محمد عبد الوهاب أغنيته، (لم يكن وقتها كاسيتان)، (كليوبترا) فإنني أجد أن ليلي مراد قد غنت بصوت حلو، قطعاً غنائية ممتازة، تمثل فعلا الغناء الراقي الذي أميل إليه.

أما طرب الملحن فإنه يعجبني. كلما توفرت لدى مغنيه الفصاحة والمقدرة على إخراج الحروف من مخارجها. وحينما يتوفر مثل هذا الشرط، تجدني أشرك حتى ولو بالنقر بالأصابع، خصوصا إذا كان المجمع يضم بعض الأصدقاء.

خارج طرب الآلة والغناء العصري، أجدني معجبا ببعض الغناء الشعبي، وبالخصوص بوشعيب البيضاوي ومن على شاكلته لأنه نوع من الطرب لا يمكن إلا أن نتجاوب معه.

كذلك، وقد تستغرب هنا، إذا قلت لك بأنني أعتبر ناس الغيوان في بعض اللحظات فلاسفة، إن بعض قطعهم لا تملك إلا أن تتجاوب معها، ما يثير الإعجاب في مجموعة ناس الغيوان، هو مضمون كلامهم أولا، وإيقاعهم ثانيا، وشكلهم الذي يكونون فيه ثالثا، وبعبارة أخرى فإنهم يتقمصون ما يعبرون عنه. عكس الموسيقى الأندلسية التي يمكن مزاولتها باسترخاء، ودون كبير عناء، بل الأكثر من ذلك هناك «الرباعيات» وهو نوع من الغناء الذي كانت تغنيه العواتق عندنا في عيد الأضحى. وهذا الغناء يشبه الموال. وقد كتب فيه الأستاذ محمد الفاسي كتابا سماه (رباعيات فاس). مع الأسف لم يبق أثر لمثل هذا الغناء، الذي يعتبر من أروع ما عرفته الساحة الشعبية من غناء.

إن ما تقدم، لا يعني أنني غير معجب بما في الساحة المغربية المعاصرة،  
فأنا معجب بالراشدي، خصوصا في تلحيناته التي يغنيها إسماعيل أحمد  
وبالخصوص (يا محمد صاحب الشفاعة).

أريد أن أختتم بالحديث عن شيء مهم له علاقة بما نحن بصدده، ويتعلق  
الأمر بالأنشيد، فهذه الأخيرة، لعبت دورا في تاريخ الحركة الوطنية، وفي  
بث الوعي الوطني. وقد كانت لنا أناشيد وطنية تتعلق بالوطن والإشادة به.  
وأناشيد تتعلق بالملك، وأناشيد أخرى دينية... يمكن أن أغنيها لك الآن فتشير  
حماسك، وحينما أتلو هذه الأناشيد على أطفالي، يعجبون بها، وأكتشف  
مدى فقرهم في هذا المجال. إنني أخشى أن يفقد هذا الجيل المقدرة على  
التذوق الموسيقي الرفيع.

## حوار حول جمعية شباب النهضة الإسلامية

أجرى الأستاذ بيجو فريد، مراسل مجلة (الأمة) القطرية، حديثاً معي حول جمعية شباب النهضة الإسلامية، وذلك بتاريخ غشت 1983 ولقد استهل حوارهِ الذي نثبْت مقتطفات منه بما يلي:

.... إنها جمعية إسلامية من بلاد المغرب المسلم، جمعية أمضت عشرين سنة من العمل الجاد، في سبيل توعية الشباب، وتوجيهه الوجهة الإسلامية.

جمعية أخذت على عاتقها، مسؤولية تحقيق الحصانة الفكرية الإسلامية التي يفتقر إليها الكثير من الشباب، أخذت على نفسها تجنيد كل الطاقات والإمكانات، لمحاربة تيار الإلحاد والتنصير الذي ينطلق من أوروبا، والذي يتسم بحدة التأثير، نظراً لموقع المغرب الجغرافي في المشرق، على أبواب القارة العتيقة، إلى أن يقول:

اغتنمت (الأمة) الفرصة لتعقد لقاء مع السيد رئيس الجمعية، تسلط من خلاله الأضواء على هذه المسيرة الطويلة والحافلة من حياة جمعية شباب النهضة الإسلامية:

سؤال: في البداية، أستاذ القادري، نود لو نعرف من كان له الفضل في تأسيس الجمعية وما الباعث على ذلك؟

جواب: أسس الجمعية مجموعة من المثقفين، ذوي الاتجاه الإسلامي في مستهل الستينيات، سنة (1962) ولقد اكتسبت الجمعية القدرة على

الاستمرار، بفضل إسهام عدد من الأساتذة والرواد الأوائل في غضون هذا القرن، للثقافة الإسلامية بالمغرب، أمثال علال الفاسي رحمه الله والأستاذ عبد العزيز بن عبد الله وغيرهم من المفكرين اللامعين الذين كان لهم النصيب الأول في هذا الإنجاز، الذي مازال يعطي الثمار.

أما فيما يتعلق بالباعث على تأسيس الجمعية، فإننا بعد فترة الجهاد الوطني، وحصول المغرب على الاستقلال، لاحظنا ضرورة إيجاد تيار إسلامي فكري، يكون في مستوى مقاومة التيارات الفكرية (الملحدة) التي أصبحت تجثم على صدر بلادنا، ورأينا بأن هذا التيار، يجب أن يستوحي المنهج السليم المتطور، الذي يمكنه من مواجهة الممارسات التضليلية مادام طابع العصر، يفرض مقارعة المنطق بالمنطق، ومناقشة الأفكار بالأفكار، هذه المسؤولية التي نعد لها الشباب، يجب أن تحيد عن كل تزمّت أو جمود، أو انحلال أو انحراف عن الخطاب الإسلامي، ومما سلف، أستطيع أن أستخلص لكم أهداف الجمعية، وهي :

1 - إيجاد حركة وتيار إسلامي بين أوساط الشباب، لتعريفهم بالفكر الإسلامي، ومن تمّ، إعدادهم للإسهام في البناء الحضاري والفكري لبلدهم، مع ربط هذا التطور، بحقائق الإسلام المثلى، ذلك لأننا نعتقد بأن ديننا، دين حضارة وقيم وعقيدة وتربية روحية. فنحن في المغرب، كما في غيره من البلاد الإسلامية، في أمس الحاجة إلى أن نستوعب حقائق ديننا، حتى نبني نهضتنا على أساسه، خصوصاً ونحن نعتقد أن الإسلام لا يقف حجر عثرة في سبيل أي تقدم، مادام التقدم محكوماً بالقواعد والأصول الإسلامية، وروح الشريعة السمحاء.

2 - تنمية العلاقات بين شباب العالم الإسلامي، بعضه ببعض، وتوثيق العرى بين جميع المفكرين المسلمين في العالم.

3 - الاتصال بالجمهور المغربي - الشباب خصوصاً - بقصد تربيته وتوجيهه التوجيه الإسلامي، عن طريق الدرس والوعظ والقلم والمحاضرة.



سؤال : قامت جمعيتكم بعقد ندوات وأنشطة فكرية، ماذا كانت الموضوعات المطروحة للنقاش، ولماذا اختيرت تلك الموضوعات بالذات ؟

الجواب : تحقيقاً لما هو مسطر من أهداف الجمعية، فإنه بداهة، لا بد وأن تنصب جميع نشاطاتها في الإطار العام لتلك الأهداف، لذا فنحن نعمل على تفتيح أفكار الشباب، على مواضيع إسلامية كثيرة، تتصل بالحياة، ليفهموا الإسلام على حقيقته، كمنهج متكامل، ونظام حياة.

على سبيل المثال : نظمنا مناظرة حول موضوع البعث الإسلامي، ما هي شروطه ؟ كيف نستطيع أن نحققه ؟ وجئنا لذلك بمفكرين إسلاميين من المغرب والمشرق على السواء. ومن جملة ما طرح أيضاً من مواضيع، هل للإسلام فلسفة ؟ وما هي مكونات ومبادئ النسق الإسلامي الفلسفي ؟ وهل الفلسفة الإسلامية متميزة، لها خصوصياتها ؟ وكنا نتجه في ذلك إلى التعريف بالقرآن، لنستدل على أن الفلسفة الإسلامية ليست الفلسفة اليونانية التي تأثر بها المعتزلة، أو غيرهم من ذوي الفكر في العصر العباسي، وليست التي يريد أن يأتي بها المعاصرون عن طريق الوجودية أو الماركسية، وإنما هي الفلسفة التي ينبغي أن تنبع من القرآن الكريم.

وعلاوةً عما سبق، عرضنا لقضية التطور الفكري، وفي ذات الوقت، كنا نتابع بعض الأفكار والآراء والإيديولوجيات الطارئة، فنبين موقف الإسلام منها، ثم ما الذي يمكن أن نستفيد منها ؟ وهل في ديننا ما يغنيها عنها ؟ وكنا نحاول دائماً أن يتسم نشاطنا بالتنوع، والمرونة، والواقعية، بحيث حاولنا أن نقدم أجوبة واضحة لكل الأسئلة المطروحة.

وأشير هنا، إلى موضوعين حيويين، أفردنا لهما اهتماماً خاصاً، وهما فلسفة الإسلام الاقتصادية، والأدب الإسلامي.

وكل المواضيع التي أثيرت، حاولنا أن نخرج بصدها بصورة واضحة، لكونها مواضيع الساعة، لها حيويتها وحضورها الدائم في تساؤلات الشباب، لذا فقد توخينا من طرحها للنقاش، إزالة ما يلتبس على

شبابنا من أمور، وتوضيح الرؤية عندهم، نزولاً عند رغبتهم في فهم حقيقة الإسلام، وبالتالي، مساندة الحياة، دونما حيرة أو عجز عن مواجهة الخصوم.

كذلك فقد كانت الجمعية، تتجه إلى العامة بواسطة المسجد، لتنظيم محاضرات ودروس دينية، وكنا نختار لذلك الأعياد والمناسبات الإسلامية، فنشرح لهم جوانب في السيرة النبوية، ونماذج من سيرة السلف الصالح.

ولا يفوتنا أيضاً أن نشير إلى أن النساء كان لهن دور لا يستهان به في نشاط الجمعية، حيث يشاركن بإلقاء محاضرات على الجمهور من النساء، وهؤلاء المحاضرات، عالمات تخرجن من جامع القرويين، وهنّ عضوات في الجمعية.

كذلك أدينا هذا الدور، عن طريق المدرسة، قصد توعية التلاميذ، إلا أن مثل هذه المبادرة، تكون موضع تقدير واستحسان عند بعض المدارس، في حين لا يبدي بعضها الآخر قبولا وموافقة على ذلك».

ثم تعرض الحوار لمواضيع أخرى لها أهميتها كإصدار مطبوعات ونشرات ومجلات وجرائد، مثل مجلة (الإيمان) وجريدة (الرسالة) وغير ذلك من المواضيع، نأمل أن تتاح لنا الفرصة لنشر الحوار كاملاً بحول الله.

## ثلاث شخصيات من التاريخ المغربي :

- مهدي المرابطين : عبد الله بن ياسين.
- سيدي محمد بن عبد الله ودوره في الإصلاح.
- الذكرى المئوية لوفاة صاحب كتاب الاستقصا،  
أحمد بن خالد الناصري.



## مهديُّ المرابطين، ومؤسس دولة الملتمين : عبد الله بن ياسين

كتبت هذا المقال، أواخر الثلاثينيات وأنا في عهد الشباب، وكنت قد أسست جمعية أطلقت عليها جمعية الشباب المسلم، كان من أهم ما تقوم به، التعريف بعظماء المغرب خلال التاريخ، ومنهم عبد الله بن ياسين، وكنا قمنا بزيارة للرماني، من قبيلة زعير للبحث عن مدفنه والترحم عليه، فقمنا بذلك عملياً نحن أعضاء جمعية الشباب المسلم.

ولقد وجدت ضمن أوراقى القديمة، أنا أسجل بعض ذكرياتي ومذكراتي، هذا المقال، فقررت نشره ضمن هذا الجزء من المذكرات، لعل أن يجد فيه الشباب موعظة وذكرى.

هناك عن يمين الذهاب إلى مركز الرماني، من قبيلة زعير، وعلى بعد نحو الخمسين كيلومترا من الرباط، يترآى للناظر بناء أبيض، فوق ربوة عالية جدا، يتساءل عنه المسافر، فيعلم بأنه مدفن عظيم من عظماء المغرب، وبطل من أبطال الإسلام، وفقهه من فقهاء المالكية الأحرار، إنه كما يقول عنه ابن أبي زرع، مهدي المرابطين، ومؤسس دولة الملتمين، إنه عبد الله بن ياسين. فهل يدري المغاربة أي عظيم هو ابن ياسين؟ وهل يدري الشباب بالخصوص الدور الخطير الذي قام به ذلك البطل الخالد، في الذود عن عقيدة الأمة، وجمع كلمتها ولم شتات فرقتها، وتربية أبنائها، ونشر المبادئ المثلى بين مختلف طبقاتها.

لقد أسس دولة، وأحيا شعبا، وصان عقيدة، وحارب الفساد، وأقام الحدود، وقاوم الزيغ والزندقة، وجعل حدا لسيطرة الطبقة المترفة، ودعا إلى المساواة بين الناس، حتى أصبح اسمه يرن في أسماع مختلف طبقات الأمة،

في كل أنحاء المغرب والسودان، وحتى صارت تتطلع إلى اصلاحاته كل القلوب المومنة في جميع أطراف البلاد.

لقد نشأ كما ينشأ الطلاب المغاربة إذ ذاك، يرتوي من مناهل العلوم، ويتلقى دروسه على جلة العلماء، ويمرّن نفسه على رياضة روحية قوية، تدرّبه على العزوف عن متاع الحياة الزائل، وتجعله يتعلّق بالمثل العليا، وتحبّب إليه الفناء في صالح المجموع.

تلقى علومه بالمغرب، وتطلعت نفسه لزيارة الأندلس، ففضى بها أزيد من سبع سنوات، درس فيها ما شاء الله أن يدرس، ثم قفل راجعا إلى بلاد جزولة، حيث التحق برباط أستاذه ومرييه وجاج بن زلو اللمطي رحمه الله. ولقد كانت عادة العلماء العاملين، أن لا يعتبروا العلم وسيلة لجمع الحطام، ولا مدعاة لكسب النفوذ، وإنما يعتبرونه رسالة سامية في الحياة، وخلافة حقيقية للنبوّة، وعهدا لا بد من تطبيق محتواه.

كان العلماء يعتبرون أنفسهم ورثة الأنبياء حقا، فلا بد من أداء الرسالة التي كان يؤدّيها الأنبياء، فعليهم أن يبينوا للناس، وأن يعظوا الناس، وأن يدعوا للخير، وأن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر وأن يتحملوا في سبيل دعوتهم كل مكروه إن اقتضى الحال، وأن يكونوا على استعداد لصيانة عقيدة الأمة، والدفاع عن كيانها، وحراسة مقدساتها من كل مكروه ومن كل عبث ومن كل هجوم، ومن كل تغيير، كانوا يعتبرون أنه لا علم بدون عمل، ولا صلاح بدون دعوة، ولا نجاح بدون استعداد للنضال والكفاح والجهاد.

ولأمر ما كانوا يسمون مدارسهم «ربطا»، لأنهم كانوا يرابطون فيها للدراسة والتعليم والتبيين، وللتربية والسلوك والتقويم، والاستعداد للدفاع دائما عن بيضة الدين، والتهيئ للجهاد في سبيل إعلاء كلمة رب العالمين.

في هذا الجو الذي كان يسود طبقة العلماء العاملين، تربّى عبد الله بن ياسين، فتشبع بروح إسلامية قوية، واقتنع أن الإسلام دين دعوة ونضال، وكفاح واستبسال، ولذلك رأيناه يبادر إلى قبول المهمة التي كلفه بها أستاذه

«وجاج»، حينما تلقى رسالة من أستاذه أبي عمران الفاسي، يطلب منه فيها أن يبعث مع زعيم قبيلة جدالة، يحيى بن ابراهيم الجدالي، طالبا «يثق بدينه وورعه، وكثرة علمه وسياسته، ليعلمهم القرآن، وشرائع الإسلام، ويفقههم في الدين».

لقد آمن عبد الله بن ياسين أن دوره في الإرشاد وبث الدعوة قد أتى، وأنه قد آن الأوان لأن يقوم بواجبه الديني والوطني، وهكذا نراه يصاحب يحيى المذكور إلى ديار المثلثين، وهكذا نراه يرسم خطة في الإصلاح، تبدأ تعليمية وتبشيرية أولا، ولا تنتهي إلا وهو ممتط صهوة جواده، يحارب ويجاهد، يحارب الزيغ والإلحاد، ويجاهد الكفر والطغيان، إلى أن سقط شهيدا في معركة الجهاد رحمه الله.

تحدثنا كتب التاريخ، أن أول عمل قام به ابن ياسين، أنه صار يعلم الطلبة ويرشدهم، ويربي فيهم روح النضال، وحب العمل، والتعلق بالدين، والاستمسك بسنة سيد المرسلين، ثم اتجه إلى قلوب العامة يؤلفها وينصحها، وينفذ إلى قلوبها، يطلب منها أن تبايعه عن نصرته الكتاب والسنة، والسير في الحياة وفق تعاليمها والرجوع إلى حقيقة الإسلام، والتقيد بأوامر الدين في السلوك.

وهكذا نظم حركته ودعوته، معتمدا على تلك الفئة من الطلاب التي قربها وعلمها ورباها، ثم على الجماهير الشعبية التي أصبح في نظرها المعبر الأمين عن أمانيتها، والحامي الصدوق لحقوقها، والساعي لجمع شتاتها، والتي استحوذ على مشاعرها، فأصبحت لا تظمن إلا إليه، ولا تعتمد إلا عليه، والتي نسجت على شخصيته هالة من التقديس، فيها كثير من الحق والصواب، ولكن فيها مع ذلك كثير من الخرافات.

عكف عبد الله بن ياسين يعلم ويرشد ويدعو، أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، ملتزما السنة والكتاب في جميع أقواله وأفعاله، مقيما الحدود على أقرب الناس عنده، وأخصهم لديه، معطيا القدوة الصالحة في سلوكه الشخصي، إلى أن أصبح اسمه يهز المشاعر هزا، وأضحت دعوته تنتشر هنا

وهناك، وأمسى الطلبة يردون عليه من جميع الأنحاء، وهو لا يزيد في دعوته إلا صموداً، وفي التقيد بالسنة إلا تمادياً.

وفي هذا الطور الثابت من دعوته، وفي هذا الثبات الشديد حول مبادئه، رأى فيه بعض الرؤساء والسادة والمتولين، خطراً يهدد مصالحهم، ولجأوا يكبح من نزواتهم، فقرروا مقاومته وصاروا يكيّدون لحرّكته، ويتربصون بدعوته، ويريدون أن يقضوا عليها في مهدها. فرأى بعد أن أخذ الرأي من أخلص الناس إليه، وأشدهم تمسكاً بدعوته، أن يعتزل هؤلاء الرؤساء المستغلين ويتخذ لنفسه مع الزمرة المومنة بدعوته رباطاً يتهيأ فيه للخروج من دعوته السلمية، إلى إزالة العراقيل التي تقف أمامه، ومحاربة أولئك المشتطين المستغلين المترفين، الذين لا يهمهم في الحياة، إلا ارضاء نزواتهم البهيمية، والذين يرون في الحياة استغلالاً واستعباداً وتعالياً على الطبقات الشعبية الفقيرة. ومضت عليه مدة مديدة في رباطه، يعلم ويدرب، وينظم ويستعد، إلى أن رأى أن الوقت قد حان لتتميم دعوته، وتأسيس دولته التي أراد لها أن تكون دولة إسلامية صحيحة، تقضي على الفساد أينما كان وحيثما وجد، وتعمل على وحدة الأمة في عقيدتها وفي مذهبها، وتصون هذه الأمة من عبث العابثين وزيف المنحرفين، الذين أصبحوا يكيّدون للملّة والدين، يبتشون سموهم بين المواطنين، سواء كانوا من البرغواطين، أو الرافضيين، واستمد اتجاهه من قول الرب الكريم: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ فخرج من رباطه يدعو ويجاهد، ويقاوم ويناضل، وجعل الرئاسة لواحد من القوم، هو الأمير يحيى ابن عمر، وظل هو بعيداً عن الرئاسة، وإن كان هو المخطط الأول، والمدير الرئيسي لأمر الدولة الجديدة، التي عرف كيف يؤسسها وينظم شؤونها، فاعلنها حرباً عواناً على المنحرفين في قبيلة جدالة، ثم لمتونة، والسوس، وتامسنا، وغيرها.

وفي الوقت الذي كان فيه يحارب ويقاوم، كان ينظم بيت المال، ويسقط المكوس والمغارم على المواطنين، ويث دعايته في مختلف الجهات،



فيوزع الصدقات على الطلبة والفقهاء، والقضاء على كثير من الجهات، حتى استطاع أن يخلق جواً جديداً لدى مختلف القبائل المغربية، وحتى صارت تصله الاستنجات من فقهاء وعلماء البلاد، يطلبون منه أن يقصد جهاتهم، ويظهرها من إدران الفساد والانحلال. وإن الرسالة التي وصلته من فقهاء سجلماسة، لتتم عن مقدار النفوذ والسمعة اللتين بلغهما، كما تم عن الوضع الفاسد الذي كان يخيم على البلاد إذ ذاك.

توالت انتصارات عبد الله بن ياسين في مختلف فتوحاته، وخضعت له أطراف المغرب والسودان، وتقدم في هذه الفتوحات إلى أن بلغ قبائل زعير في الجهة التي تدعى «تامسنا»، والتي كانت تقطن بها فئة ضلت الطريق، وانحرفت عن المهيع الرشيد. وهي فئة البرغواطيين، فقاوم شذوذها وتحريفها وزيفها، وجاهدها جهاد الأبطال، إلى أن أصيب في معركة من معاركها، فسقط جريحاً، ثم مال بث أن لفظ أنفاسه رحمه الله في يوم الأحد 24 جمادى الأولى عام 451هـ وهنا يجب أن نقف وقفة لنطلع على تلك الوصية الذهبية التي وصى جماعته بها وهو وجود بنفسه الأخير، قال: «يامعشر المرابطين، إنكم في بلاد أعدائكم، وإني ميت في يومي هذا لا محالة، فإياكم أن تجبنوا وتفشلوا فتذهب ربحكم، وكونوا ألفة وأعوانا على الحق، وإخوانا في ذات الله تعالى، وإياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرئاسة، فإن الله يؤتي ملكه من يشاء، ويستخلف في أرضه من أحب من عباده، ولقد ذهبت عنكم، فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم، ويقود جيوشكم، ويغزوا عدوكم، ويقسم بينكم فيئكم، ويأخذ زكاتكم وأعشاركم».

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن حياة رجل عظيم من عظماء بلادنا، إليه يرجع الفضل في تأسيس الدولة المرابطية المجاهدة، التي طالما كافحت في سبيل العقيدة السمحة، والتي كان بطلها الثاني يوسف بن تاشفين، يعد بحق منقذ الإسلام بالأندلس من غزوات الصليبيين، والتي كان عهدا عهد انتشار للثقافة الإسلامية، والحركة الإصلاحية. فهل يليق بنا أن نترك صفحات عظمائنا مهملة مضاعة، وهلا يجب علينا أن نقيم لهؤلاء العظماء

ذكريات وذكريات، فتتدارس أعمالهم ونستمد من إيمانهم، ونبرهن على أننا  
أمة لا تنسى أمجادها، ولا تهضم حقوق عظمائها، ولا تتنكر لخدمات  
أبطالها.

لقد مرت أزيد من تسعمائة سنة على وفاة عبد الله بن ياسين أفلا يحق  
لنا أن نطالب بإقامة ذكرى مرور تسعة قرون على وفاة بطل عظيم من  
أبطالنا، ومؤسس دولة من أقوى دولنا.

إنني أضم صوتي لأولئك الإخوان الذين يرون ضرورة الاحتفال  
بذكرى هذا الرجل العظيم، وإني آمل أن تتحقق هذه الذكرى في أقرب الآجال.

## الملك سيدي محمد بن عبد الله العلوي ودوره في الإصلاح

يعتبر الملك السلفي العالم، سيدي محمد بن عبد الله، من أعظم الملوك العلويين الذين أسدوا لهذه البلاد كثيراً من المفاخر، وحققوا لها كثيراً من المنجزات، ففي عهده وقعت نهضة علمية إصلاحية، كان لها أثرها في بعث الأفكار، وتجديد المفاهيم، والرجوع إلى روح الحنيفية السمحاء.

وفي عهده حظي العلماء العاملون بالمكانة التي يستحقها مركزهم، فقربهم إليه، واستشارهم في المشاكل والقضايا التي تهم نهضة البلاد وتطورها العلمي والثقافي، وفي عهده وقع الاهتمام الكبير بالسنة النبوية الطاهرة، وانتشرت الكتب الحديثية ومصنفاتها الكبرى، التي لم تكن معروفة بالمغرب قبل توليه الملك، وفي عهده انتشرت الخزائن العلمية المسجدية، وزودت بالكتب الصالحة والمفيدة، التي كان يصعب الحصول عليها للطلاب.

وفي عهده أدخلت الإصلاحات على المحاكم الشرعية، وألزم القضاة باتباع منهج في الأحكام سديد، من شأنه أن يحقق العدل الذي تقوم عليه الدولة، وتصدر الأحكام الخاضعة للشرع الحكيم، والتي تعطي الحقوق دون محاباة أو ظلم أو إحجاف.

لقد نظم شؤون الدولة على أحدث طراز في وقته، واطلع على ما كان يقوم به الملوك السابقون، والقادة المجاهدون لبيط النفوذ، وحسن سياسة التدبير والتسيير، وربط للعلاقات مع الدول الصديقة والشقيقة، حتى أصبح اسمه يرن في الآذان، وصيته ينتشر في الآفاق، وهيبته تعم الأقطار، فأصبحت الدول العظمى تتودد إليه، وتقدم له الهدايا والتحف، راغبة في صداقته والتعامل معه، عاملة على كسب رضاه، والظفر بصداقته.

و لم يقتصر اهتمامه بقضايا بلاده، وحل مشاكلها، والدفاع عن حوزتها، وإنما كانت نظرتة إلى القضايا الإسلامية جميعها، واهتمامه بها من أوائل ما كان يهتم به، فزيادة على توثيقه للعلاقات بينه وبين الدولة العثمانية الإسلامية، باعتبارها الدولة الإسلامية الكبرى، الحارسة للوجود الإسلامي في المشرق العربي والأقطار التابعة له، اهتم بالأسارى المسلمين الذين كانوا في حوزة بعض الدول المسيحية، فلقد جاء في كتاب درة السلوك، أن المولى محمد بن عبد الله فك من الأسارى المسلمين ما يزيد على الأربعة آلاف مسلم، وفي الاستقصا للناصرى، أن ما أنفقه من الأموال في فكك أسرى المسلمين يفوق الحصر، حتى لم يبق ببلاد الكفر أسير، لا من المغرب، ولا من المشرق، ولقد بلغ عددهم في سنة مائتين وألف، ثمانية وأربعين ألف أسير، ومآثره رحمه الله بالمغرب لا يأتي عليها حصر، خصوصاً في مجال تأسيس المساجد، والمدارس، والأبراج، وتهيئ وسائل الدفاع عن البلاد، لقد أسس مدينة الصويرة، ومدينة «طيط»، وغيرهما من القصبات والقناطر.

واهتمامه قدس الله روحه بالقضايا العامة، لم يمنعه من تخصيص كثير من أوقاته للمطالعة، والمذاكرة، والتأليف، فلقد كان مولعاً بمطالعة كتب التاريخ، والأدب، والسياسة، وكان يستحضر كما يقول الزباني : كل ما يطالعه، حتى كاد أن يحفظ كتاب الأغاني برمته، لا يعزب عنه منه إلا النادر.

أما اهتمامه بكتب الحديث ومطالعتها، والبحث عن أمهاتها شرقاً وغرباً، فحدث عنه ولا حرج، فلقد أصبح لا شغل له في أوقات فراغه من تسيير شؤون الدولة، إلا كتب السيرة والحديث، وهو الذي جلب من المشرق مسند الإمام أحمد، ومسند أبي حنيفة، والشافعي، وهو الذي أمر علماء وقته بشرح مؤلف في الحديث.

لقد كان رحمه الله يجلس كل يوم جمعة بعد الصلاة، بمقصورة الجامع بمراكش مع فقهاء مراكش وغيرهم من علماء المغرب، يذاكرهم ويناقشهم في المسائل الفقهية، والحديثية، والأدبية، ويقول : والله لقد ضيعنا أعمارنا في البطالة، واللهو، في حالة الشبيبة.

واهتم رحمه الله بالتأليف وترتيب الأحاديث النبوية، فكان يستدعي جلة من علماء وقته كالعلامة القاضي محمد بن عبد الله الغربي الرباطي والعلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن المير السلوي، وأبو زيد عبد الرحمان بوخريص، وأبو زيد عبد الرحمان المنجرة، وغيرهم، ليملي عليهم الحديث النبوي الشريف، ويشير عليهم بتأليفه وجمعه، وفق ما يشير عليهم به.

ولقد جاء في كتاب اقتطاف الأزهار، من حدائق الأفكار، لنجل صاحب الترجمة، المولى عبد السلام، كما ورد في كتاب الاعلام ما يلي : وكان والدي نصره الله، وأدام لنا وللمسلمين علاه، حريصاً على تعليم أولاده، تابعاً في ذلك سنة آباءه وأجداده، يجلب العلماء لحضرته السعيدة المباركة، ويحث على تعليم العلم في سائر القرى والمدن، ويكرم الأعلام، وهو نصره الله، مشارك في جميع الفنون العظام، قد وسع أهل العلم إنعاماً وإحساناً وعطاء وامتناناً، يُعلي مجالسهم، ويستخرج نفائسهم، ويكثر جوائزهم، ويقضي حوائجهم، وله مع الفقهاء مذاكرات ومحادثات في سائر الأيام، وممر الدهور والأعوام، فيلقي عليهم من المسائل المشكلات في الحديث، والسير، والاختبار، وضروب من الفنون العربية، ونكت من المقطعات الأدبية، فلا يهتدون إليها إلا بعد الاطلاع، وسواء في ذلك ذو العارض، أو قصير الباع.

إن المولى محمد بن عبد الله من مفاخر ملوك العلويين، بل من مفاخر ملوك المغرب على الإطلاق ولقد قال عنه المؤرخ الثبت سيدي عبد السلام ابن الخياط القادري : «الإمام الموهوب لهذه الأمة على رأس المائة، مجدداً لها دينها ثم قال : كان إماماً من علماء الإسلام، له تصانيف تقرأ بالمشرق والمغرب، نظر في المصالح، وقام بها قياماً لم يقم به أحد من أهل عصره من ملوك الإسلام، ولم يسبق إليه غيره غير الخلفاء الراشدين».

وقال عنه صاحب نشر المثاني : «وهو نصره الله وأيده، في العلم بحرٌ لا يجارى، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى، وقد جمع من دراية العلم، ما

تقف العلماء دونه، وتود زواهر الأفق أن تكونه إلى أن قال : فهو أدام الله نصره سلطان العلماء وعالم السلاطين».

وجاء في الاستقصا نقلا عن الزياني : عالي الهممة، يحب الفخر، ويركب سنامه، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، يضع المسائل في محلها، ويعرف مناصب الرجال، ويؤدي حقوقهم، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعي لأهل السوابق سوابقهم، ويتفقد أحوال خدامه في الصحة والمرض، ولا يغفل عن عرفه قبل الملك، متواضع، شاكر لنعم الله عليه، كلما ورد عليه فتح، أو خبر يسرّ المسلمين، سجد شكراً لله في وسط مشوره أمام الخاصة والعامّة، ينتخب الرجال، ويعدّهم ليوم ما، وينادي كل واحد باسمه وقت اللقاء».

لقد كانت ولادته قدس سره بمكناس الزيتون، سنة أربع وثلاثين ومائة وألف (1134) وقصد الديار المقدسة مع جدته السيدة خناتة المغفريّة سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف (1143) وبويع بالملك بعد وفاة والده يوم الاثنين خامس وعشري صفر عام واحد وسبعين ومائة وألف (1171) وسنّه ثمان وثلاثون سنة، وفارق هذه الدار الفانية وهو في طريقه إلى الرباط يوم الأحد الرابع والعشرون من رجب، سنة أربع ومائتين وألف هجرية، فجهز ودفن بعد الصلاة عليه، وتشيع جنازته، بقبة من قبب قصره بالرباط رحمه الله.

وبعد فبحلول شهر رجب الفرد الحرام سنتنا هذه (1404) يكون قد مضى على وفاة هذا الملك السلفي المصلح سيدي محمد بن عبد الله، مائتا سنة هجرية، أفلا يجب علينا أن نغتتم فرصة ذكرى مرور قرنين على وفاة هذا الملك العظيم، لإقامة ذكراه، والإشادة بما قدمه لبلاده وأمتة وإخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من خير ومعروف.

إن إقامة مثل هذه الذكريات، تعرف الأجيال الجديدة بما قدمه عظماء المغرب من ملوك، وعلماء، وزعماء، وصلحاء، من مكرّمات لهذا الوطن، ولهذه الأمة، ولهذه العقيدة.

إنه إقتراح أتقدم به لجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله أن يأمر وأمره المطاع، بالاعداد للاحتفال بذكرى هذا الملك السلفي الصالح على المستوى الوطني، حتى تدرك أجيالنا الجديدة، وجميع طبقات شعبنا، أن ملوكهم الميامين، وقادتهم المخلصين، لم يالوا جهدهم في الدفاع عن حوزة البلاد، وتثبيت مكانتها ونهضتها والحفاظ على إشعاعها الثقافي الإسلامي، والنضال في سبيل عزة المسلمين، ورفع مكانتهم في أنحاء المعمور، وتضامنهم معهم في السراء والضراء.

إنه إذا كان انعقد المؤتمر الإسلامي الرابع للقمة للمرة الثانية بالمغرب، فإنما جاء ذلك ليؤكد ربط ماضي هذه البلاد بحاضرها، وإنها لازالت تؤدي رسالتها في الحفاظ على وحدة المسلمين، وتوثيق عرى التضامن والتآزر والتكاتف فيما بينهم، والحفاظ على عزتهم ومكانتهم، ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ صدق الله العظيم.

## الذكرى المئوية لوفاة صاحب كتاب «الاستقصا» لأخبار دول المغرب الأقصى العلامة المؤرخ المجدد أحمد بن خالد الناصري

تخل يوم 16 جمادى الأولى عام 1415هـ ذكرى مرور مائة سنة على وفاة المؤرخ الكبير، والمصلح الشهير، السيد أحمد بن خالد الناصري، صاحب كتاب «الاستقصا» في أخبار دول المغرب الأقصى.

فلقد توفي رحمه الله يوم الخميس السادس عشر من جمادى الأولى عام 1315هـ.

والعلامة الشيخ أحمد بن خالد الناصري، من أكابر العلماء والمصلحين الذين أنجبتهم هذه البلاد المغربية، ويعتبر بحق من العلماء المجددين، الذين كانت لهم صولات وجولات في ميادين الإصلاح الديني والديني، كما يعتبر من أكابر العلماء الذين كانت لهم مشاركة كبيرة في مختلف العلوم العقلية والعقلية، والأدبية والسياسية، زيادة على ما اشتهر به من العلوم التاريخية.

وإن نظرة واحدة سريعة على ما كتبه وحرره من كتب في مختلف ميادين المعرفة، والتي لم يطبع منها إلا ثلاثة كتب هي (1) الاستقصا و(2) زهر الأفنان، من حديقة ابن الونان، و(3) طلعة المشتري، في النسب الجعفري، أما الباقي وهو أربعة وعشرون كتاباً أو فتاوى أو تعاليق، فلا زال ينتظر من يخرج به إلى حيز الوجود، ليستفيد منه الباحثون والعلماء، والمؤرخون والأدباء.

ويلاحظ أن تأليف الناصري، لا تهتم بموضوع واحد، أو بالأحرى لا يعالج فيها موضوعاً واحداً، ولكنها تعالج موضوعات متنوعة، فمن الأدب إلى التاريخ، إلى الطبقات، إلى الوصايا، إلى التمدن القديم إلى الفلسفة، إلى



الفقه والأصول، إلى الموسيقى إلى التراتيب الإدارية، إلى الشعر، إلى غير ذلك من المواضيع الوقفية، والمشاكل الاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع، ومن أهم المواضيع التي كتب فيها، واهتم بها الناصري، محاربة العوائد والبدع المحدثه في الدين، ومناصرته للفكر السلفي، والتنديد بما تقوم به بعض الطوائف الضالة، ومجابهته للبدع والمبتدعين، سواء بكتابه أو بدروسه التي كان يلقيها سواء بالزاوية الناصرية بسلا، أو غيرها من المساجد في مختلف المدن التي كان يحلّ بها. وفي موضوع مجابهته للطرق والطرقين، ونصرته للسنة، وحقيقة الدين، ألف كتابه: «تعظيم المنة، بنصرة السنة» تعرض فيه للبدع المحدثه في الدين، ومخالفتها للشرع الإسلامي الحنيف، منتقداً أشد انتقاد، التصرفات التي يقوم بها المبتدعون في مختلف البلدان الإسلامية، وداعياً إلى الرجوع إلى الإسلام الصحيح، الخالي من البدع والأهواء والطقوس التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومن الكتب التي ألف ولم تطبع، تعليقه على سفينة الراغب، للفيلسوف الشيخ محمد راغب باشا، أحد وزراء الدولة العثمانية، وذكر أحد الذين كتبوا ترجمة الناصري، أن هذا التعليق كله أبحاث فلسفية عقلية في علوم الطبيعة، وما وراء الطبيعة، ومن أهم مؤلفاته: رسالة في تحديد السلطة للولادة، ورسالتان في فن الموسيقى، وتوضيح النغمات العربية، والمقابلة بينها وبين الموسيقى الأجنبية، إلى غير ذلك من الأبحاث القيمة.

لقد كان بحرّاً في كثير من العلوم، ودرس على كثير من العلماء الأعلام، قبل أن يتعاطى للتدريس والفتوى والنصح للمسلمين، ومن جملة الذين درس عنهم، العلامة القاضي أبو بكر عواد، الذي قال عنه في كتاب الاستقصا: كان رحمه الله من أهل المشاركة في العلم والاعتناء به، كثير الدرس، كثير التقييد، ختمنا عليه رحمه الله، عدة كتب كبار، جعلها الله في ميزان حسناته، منها صحيح البخاري، نحو عشر مرات، وصحيح مسلم، ثلاث مرات، وشفاء القاضي عياض مراراً، وكتاب الاكتفا، لأبي الربيع الكلاعي مرّة، وشمائل الترمذي مرتين، بشرح ابن عبد الله محمد بن قاسم جسوس، وإحياء الغزالي رضي الله عنه، وعوارف المعارف، للسهروردي،

وتأليف غيرها من كتب النحو، والفقه، والبيان، والكلام، وغير ذلك مما يطول ذكره، كما درس عدة علوم أخرى كالتاريخ، والجغرافية، وعلم الكلام، واهتم بالرياضيات، والطبيعات، والإلهيات، وتتبع المعارف الوقتية الخ، واشتغل هو بالتدريس، فدرّس عدة علوم في مختلف المدن المغربية التي كان يحل بها، عندما عيّن ببعض الوظائف المخزنية، ولكن أغلب دروسه كانت بمدينة «سلا»، ولقد جاء في كناشة للفقيد الأديب الناسك السيد محمد المنصوري، أنه قرأ عليه عدة علوم، كالتفسير، والفقه، مثل مقدمة ابن رشد، وكشف الغمة، للامام الشعراي، ولقد جاء فيما كتبه الفقيه المنصوري نقلاً عنه أنه قال متحدثاً بنعمة الله عليه: (لنا والحمد لله، الباع الطويل في جميع العلوم) وفي دراسته للفقه، كان يعتني بتدريس كتب الأقدمين، ولا يقول بدراسة كتب المتأخرين، لما فيها من كثرة الغث، وعدم الفائدة.

لم يشتغل الناصري بالتدريس فقط، ولا بالتأليف فحسب، وإنما كانت له جولات وصولات في الفتوى، خصوصاً ما يتعلق منها بالقضايا التي جاء بها تطور المجتمع إذذاك، كقضية الجمر، وأخذ المكوس في الأبواب، والقضاء على الفتن، وشرط الدخول في حرب مع الأعداء، ومن هم أهل الحل والعقد؟ والتجارة في الأعشاب المرقدة، واستيراد الممنوعات شرعاً من البلدان الأجنبية، ووسائل الوقاية منها، ووسائل محاربة التدخين، إلى غير ذلك من الفتاوي التي أشار إليها في كتابه التاريخي الهام (الاستقصا) ونظراً لموقع المغرب الجغرافي، واتصاله بأروبا، وإطلاعه على ما وقع فيها من تطور، في مختلف ميادين الحياة، فقد دعا إلى الاستفادة من التطور الواقع فيها، خصوصاً فيما يتعلق بالدفاع عن حوزة الوطن، كتنظيم الجيش، ومسألة ربط العلاقات السياسية ما بين المغرب والدول الأوروبية.

لقد اهتم العلامة المجدد، أحمد بن خالد الناصري، بكل ما من شأنه أن ينهض بهذا الشعب، وكان من السابقين إلى تجديد الفكر، ومحاربة الخرافات والأضاليل، وولوج أبواب المعرفة على اتساعها، والتي كانت منتشرة ومدروسة بالمغرب والمشرق، كالطب، والفلسفة، والتاريخ، والرياضيات، وغيرها.

وإذا كان اشتهر كمؤرخ، فإن المهام الأخرى التي اهتم بها، وفي طليعتها دعوته إلى الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح من معتقدات صحيحة، ومقاومته للبدع والخرافات والأضاليل، يعتبر من المميزات التي ميزته عن غيره من العلماء الأعلام، والدعاة المصلحين، والشيء المثير بالنسبة لهذه الشخصية، أنها تعددت اهتماماتها، وكثرت إنتاجها، واختلفت أساليب دعوتها، رغم انشغالها بكثير من المهام المخزنية، وغير المخزنية.

هذه نظرة موجزة عن حياة ونشاط ودعوة العلامة المصلح، والداعية السلفي، السيد أحمد بن خالد الناصري، لا أدعي أنني استوفيت أي جانب من جوانبها بالشرح والتحليل، ولكنني أردت فقط، أن ألفت نظر المهتمين بالدراسة والبحث، والعناية برجال المغرب الأبرار، أن يغتنموا فرصة مرور مائة سنة على وفاة هذا المؤرخ المصلح، والداعية المجدد، لإقامة أيام ثقافية دراسية حول هذه الشخصية الفذة، من جميع الجوانب التي تتعلق بها، سواء منها الجانب الثقافي، أو الإصلاحي، أو السياسي، أو الاجتماعي، وحتى لا تكون دعوتي لإقامة أيام ثقافية دراسية، صحيحة في واد، أقترح أن يكون يوم 16 جمادى الأولى المقبل يوم ترحم على الفقيه العلامة المؤرخ المصلح، وتلقى فيه كلمة مختصرة عن حياته، ويحسن أن يزار قبره للتعرف عليه، واستمطار الرحمات له، أما الأيام الثقافية المقترحة، فتتأخر إلى اليوم الثاني عشر من أكتوبر سنة سبع وتسعين وتسعمائة وألف، وهو اليوم الذي تكون مضت على وفاته مائة سنة كاملة بالتاريخ الميلادي، على أن تكون لجنة من الآن من المؤرخين والباحثين ورجال الإصلاح الإسلامي، لتضع برنامجاً شاملاً للأيام الثقافية المقترحة، لا يتعلق بشخصية الناصري فحسب، وإنما يهتم ببعض جوانب أخرى، كالمجتمع السلاوي في ذلك الوقت، والنشاط العلمي في ذلك الظرف، والشخصيات العلمية التي كانت تعج بها سوازي المساجد في مدينة (سلا) والعلوم التي كانت تدرس فيها، والأدباء اللامعون والشعراء المجيدون الذين كانت تجود قرائهم بالشعر النابض بالحياة، رغم أن مواضيع الشعر كانت محدودة إلى حد ما، فكثير من هذه الشخصيات لا نعرف عنها إلا القليل، كأبي إسحاق الجريري المتوفى عام 1302هـ والفقيه

النحرير الشيخ محمد العربي بنسعيد المتوفى عام 1309هـ والفقيه الأديب الشاعر أبو الحسن بن ناصر معينو، المتوفى عام 1270هـ، والذي قال عنه المؤرخ ابن علي الدكالي : إنه كان فقيهاً أديباً شاعراً عدلاً محاضراً لبيباً، وأنه رأى له أشعاراً كثيرة، تدل على غزارة مادة أدبه، والقاضي العلامة النحرير السيد عبد الله بن خضراء، الذي ألف عدة تأليف في الفقه، والحديث، والسيرة النبوية، والنحو، والذي من تأليفه كتاب أسماه : تحذير عوام المسلمين من الاغترار بكلام من يتساهل في الدين، ولقد توفي رحمة الله عليه سنة 1324هـ، إلى غير ذلك من العلماء، والأدباء، والشعراء، والمصلحين، الذين لا يجمل برجال البحث، والتاريخ، والاصلاح، أن يتناسوهم ولا يعرفوا بحياتهم أجيالنا الحديثة، التي هي متعطشة إلى المعرفة، والبحث في مآثر وثرات الأجداد.

لقد رثى العلامة الناصري كثير من أهل عصره، ونأتي في آخر هذه الكلمة بأبيات من شعر مؤرخنا الكبير، العلامة السيد محمد بن علي الدكالي، المتوفى سنة 1945م، يرثي بها شيخه المؤرخ الناصري والتي مطلعها :

ماذا يكف مدامعي وهيامي      وقد انكوى قلبي بنا رحمامي  
من كان مغتراً بأحلام الدنيا      فكأنه فيها من النيام

إلى أن يقول :

أو ما ترى في كل حين ناعيا      يصمي النهى في الصحب والأعلام  
لم يخل عصر دون خطب فادح      ومصيبة في أنجم الإسلام  
كمصيبيتي في فقد أحمد ذي العلا      أعني أبا العباس خير إمام

إلى أن يقول :

أسفي على تلك المعارف بعده      من ذا يقوم بحفظها ويحامي  
أسفي على أخلاقه وصفائها      وسنائه الوقاد في الاظلام  
أسفي على فك العويص ومن له      بعد ابن ناصر ناصر الإسلام  
أسفي على علم الحديث وسيرة      ومناقب الانصار والأعلام  
أسفي على التفسير بعد غيابه      من يحسن التحقيق في الإبهام

فقدت بفقد جلاله المتسامي  
فأطاعه العاصي بلا إزام  
والمنتقي لمعين كل مرام  
بالنشر والتأليف والاحكام  
ما أشكلت معناه للافهام  
بقيامه فيها وحسن كلام  
ذهب الكفيل بكل ذا والحامي

أبو بكر القادري

أسفي على آدابه وعلومه  
أسفي على علم الأوائل سامه  
كان المشارك في جميع أصوله  
وأعاد ميت العلم حيا خالداً  
من ذا يحقق بعده من أمر ذا؟  
لهفي على تلك المواقف من يقم؟  
لهفي على نصح العباد ووعظهم

سلا في : 10 جمادى الأولى 1415

## الفهرس

5	مقدمة .....
	مذكرات في مواضيع مختلفة :
11	• مذكرة إلى الأمين العام لحزب الاستقلال .....
25	• مذكرة إلى الأمين العام لحزب الاستقلال .....
32	• مذكرة إلى الأمين العام لحزب الاستقلال حول التعليم .....
42	• مذكرة إلى المرحوم عبد الرحيم بوعبيد .....
48	• مذكرة إلى الأمين العام للمجلس الأعلى للمساجد .....
52	• مذكرة إلى الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين .....
56	• مذكرة إلى مجلس التنسيق الإسلامي الإفريقي .....
61	• مذكرة إلى رئيس مجلس النواب العراقي .....
63	• مذكرة إلى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي .....
66	• خطاب مفتوح إلى المؤتمر الإسلامي لوزراء خارجية .....
	دراسات إسلامية :
73	• المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري .....
79	• حق الشعوب في تقرير مصيرها .....
91	• الإسلام وضرورة تجنيد العالم للسلام .....
97	• مسؤولية المسلمين في تحرير القدس الشريف .....
106	• أعمدة الهوية المغربية .....
110	• تجديد الفكر الديني السلفي .....

## قضايا عامة :

- العمل على وضع ميثاق وحدوي إسلامي ..... 119
- ميثاق شرف للصحافة الإسلامية ..... 129
- افتتاحيات جريدة (الاستقلال) الناطقة بالفرنسية ..... 134
- تطور الممارسة الديمقراطية بالمغرب ..... 140
- الصهاينة يهدمون حي المغاربة بالقدس الشريف ..... 147
- خطاب في مؤتمر الحزب الفلاحي البلغاري ..... 149
- مع جمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا ..... 154
- خطاب إلى الأستاذ الدكتور صالح أوزجان ..... 156
- حديث في موقع (إسلام أون لاين) ..... 158

## لقاء ذكريات ومذكرات :

- لقاء تكريمي لدى صدور : (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) 167
- الذكرى السابعة والخمسون لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال .... 172
- في الاحتفال بالذكرى الستينية للمطالبة بالاستقلال ..... 181

## حواران صحفيان :

- حوار مع جريدة (الشرق الأوسط) ..... 191
- حوار مع جريدة (الأيام) حول الغناء والسماع وتلاوة القرآن . 204

## ثلاث شخصيات من التاريخ المغربي :

- مهدي المرابطين : عبد الله بن ياسين ..... 211
- سيدي محمد بن عبد الله ودوره في الإصلاح ..... 217
- الذكرى المئوية لوفاة صاحب كتاب «الاستقصا» ..... 222